

برق يمان على قدسيّة الإيمان وهو يماني .
تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَحَطّوري الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي - صنعاء .

www.almahatwary.org

برق يمان على قدسيّة الإيمان وهو يماني

تأليف

السيد العلامة الحجة

محمد بن محمد بن مطهر المنصور

أطال الله عمره



مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع

برق يمان على قدسيّة الإيمان وهو يماني .
تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَظْطَوْرِي الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي - صنعاء .

www.almahatwary.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

برق يمان على قدسيّة الإيمان وهو يماني .
تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَحَطّوري الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي - صنعاء .

www.almahatwary.org

الطبعة الأولى

طبعة مصححة ومنقحة ومزيدة

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

حقوق الطبع محفوظة



مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع

Republic of Yemen- Sana'a

الجمهورية اليمنية - صنعاء

Tel: 269091 - 2

تلفون: ٢٦٩٠٩١ - ٢

Fax: 26907 P.O.Box: 3801 . ب: ٣٨٠١ - ص - ٢٦٩٠٧٩

www.almahatwary.org

info@almahatwary.org

برق يمان على قدسيّة الإيمان وهو يمانى

هدفها الأسمى في قولى:

إذا قيل لي ما الدليل على
وفي وسع كل امرئ فهمه^(١)
فلو قال هل من دليل سواه
فإن قال ذا صدفة قل كذب
وحبّبت نفسك أشقيتها
أنتنن ذاك كله صدفة
فبئس الحياة حياة الكفور
فخذ في الطريق إلى جنة
وكن مخلصاً تُهد لا تتبع
على نهج طه ونهج الوصي

وَجُودِ إلهي أقولُ وُجُودي
وإن كان دون الغي البليد
أقول انتظامي وإتقان عودي
تَ عمدا وبؤت بوصف العنيد
بدار الفناء ودار الخلود
بلا خطأ لا تكُن باللدود
وبئس المماتُ مماتُ الجُودِ
وحد عن سبيل لذات الوُودِ
هوى إنَّها النارُ يوم الوعيد
سر لا على نهج آل اليزيد

الخميس / ١ / ١٤٠٠ هـ

محمد بن محمد بن إسماعيل مطهر المنصور

سأحمد الله آمين

(١) أي الدليل.

(٢) مقتبسة من آيات كثيرة حسبي أن أشير إلى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُدْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾
﴿[الأحزاب: ٣٣]﴾ ﴿فَمَنْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْهَلْ﴾ [آل عمران: ٦١] ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[المقدمة]

يا باحثاً عن الحق السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

اعلم أنه قد نَجَمَتْ في هذه الفترة باليمن جماعة من المجبرة والمجسمة والمبغضين لأمر المؤمنين كرم الله وجهه ولأهل بيته، ومن الذين ينتمون بعقائدهم وولائهم إلى الذين قاتلوا عليّاً حتى استشهد، وقاتلوا الحسن بعده، ثم الحسين يوم الطَّفِّ، وبقية المهاجرين والأنصار يوم الحرّة، ورموا الكعبة بالمنجنيق، وقاتلوا زيد بن علي يوم الكناسة وصلبوه وحرقوه، وقاتلوا الهادي يحيى بن الحسين ، وقتلوا الحسين بن علي الفَخِّي، وغيرهم من آل محمد ﷺ أجمعين.

هؤلاء الدعاة يَدْعُونَ أهل اليمن إلى عقائدهم الباطلة، ومنهم من يقوم في المساجد باسم الوعظ لترويج معتقداتهم بين العامة والجهال، الذين يسهل تضليلهم؛ لقصور فهمهم وقلة معرفتهم، فإذا ذكروا بينهم من الإرشاد النافع حرفاً ساقوا معه من التضليل ألفاً.

والشائع على الألسنة أنهم يأخذون مقابل ذلك أموالاً طائلة باسم مرتبات ومكافآت، وأن بعضهم يتبرع بذلك أولاً قبل أن يُكَلَّف به، ليكون أهلُ الأموال أكثرَ ثِقَةً به من مُجَنِّديهم وهؤلاء بذكائهم أصبَدُ للأموال ممن قبلهم.

أما ما يدعون إليه فمنه أن الله هو الذي يخلق الكفر في الكافر والفسق في الفاسق، وأن يُصدّقهم الناس بأنه لا اختيار للكافر ولا للفاسق في كفرهم وفسقهم ولا إرادة لهما في ذلك، وإنما يجبرهما الله على ذلك إجباراً.

ويزعمون للناس أن الله إنما خلق الذين كفروا ليكفروا ، وإنما خلق كل مذنب ليفعل تلك الذنوب التي ارتكبتها؛ لأن الله [وتعالى الله عما يقولون ويزعمون] يريد منهم الظلم، ويريد فجورهم ، وما خلقهم إلا لذلك، ولا يستطيعون بحال من الأحوال أن يتجنبوه، ويعملوا الصالحات؛ لأنها غير مقدورة لهم، ومستحيل عليهم الإيمان والتقوى والعمل الصالح، كما أنه مستحيل عليهم أن لا يظلموا، أو يفسقوا، ويفجروا.

فلو زنى مثلاً رجل بامرأتك التي تحبها وتحبك، والتي قصّرت وحصّرت رغبته وحبها وإعجابها عليك ، وحصرت أنت كل ذلك عليها، فاختطف الرجل منك حبها وإعجابها، واستلب عفافها وقلبها، وصارت بالرجل معجبة ومغرمة، وبك وبأولادك وبيتك مضجرة ومُبرّمة، فإن الرجل والمرأة عندهم في الحقيقة وواقع الأمر معذوران؛ لأنه لا اختيار للرجل، ولا إرادة، ولا فعل فيما صدر منه وقام به، بل هو مجبور ومقسور ومغلوب على أمره، وكذلك المرأة، وأن ما فعله كما تفعل الحجر إذا أهويت بها من كفك ورميت بها إنسانا في رأسه فقتلته؛ فإن الحجر لا اختيار لها، ولا إرادة في قتلها للإنسان، وكذلك الزاني بامرأتك، والمحتال على قلبها وعفافها، أو على ابنتك أو أختك، فإن

الذي يَفْجُرُ بأي منهن، والذي يهتك عرضك وشرفك، أو يسفك دمك، أو دم ابنك أو ينهب مالك لا اختيارَ له ولا إرادة ولا فِعْلَ، وإنما خلق الله فيه ذلك كله وقدره عليه.

فإذا قلنا لهم: هذا ظلم مبین، قالوا: لا يَقْبَحُ من الله قبيح؛ فله أن يفعل في ملكه ما يشاء. فإذا قلنا لهم: فقد نفى الله عنه الظلم في العشرات من الآيات الكريمة، قالوا: قد قلنا: لا يَقْبَحُ منه كما يقبح ذلك منا.

فإذا أدرك بعضهم الخجلُ من خزي المكابرة للعقل والنقل قال: ذلك لحكمة نجعلها، ويُسلِّمُ ضمنا بوضوح براهيننا العقلية والنقلية، ولكن تأخذه العزة بالإثم، وتُعْمِيهِ الأَنَفَةُ والكِبَرُ عن التسليم بالحق والرجوع إليه؛ فيتهرّب بما لا يجديه ولا يفيد بأن ذلك لحكمة مجهولة، وهذا فتح لباب الجهالات، وهو باطل وممنوع باتفاق الجميع.

وربما تعلق بظواهر آيات متشابهات وحملها على أبعد ما تحتمله ، وادعى بجرأة على الله وعلى العقل أن ذلك الذي ادعاه هو مراد الله سبحانه مما تحتمله الآية المتشابهة من المعاني، فإذا نبهته إلى أن ما زعمه يتعارض مع نصوص الآيات المحكمات مثل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، و: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]، و: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فإنه لا يخجل ولا يتردد أن يدعي أن المحكم متشابه، وأن المتشابه الذي تكلف في تأويله محكم، ولا يخفى تعسفه وتكلفه على أي ناظر وسامع، له طبع

مستقيم وعقل سليم.

كما لا يخفى ما في ذلك من التشجيع للناس على ارتكاب الكبائر، وعلى الفساد في الأرض باسم أنهم غير مختارين ولا مريدين لذلك إتحالي الله عما زعموه عُلُواً كبيراً] فإن الله ما كلف أحداً بواجب، ولا نهاه عن معصية إلا وقد أقدره على أن يفعل ما أمره به، وممكنه من ذلك، وأقدره على أن يترك ما نهاه عنه، وممكنه من اجتنابه. كما أنه تعالى قد بين لنا الطاعات ورغبنا فيها، وبين لنا المعاصي وحذرنا منها، ووعد من أطاعه بالجنة، وأوعد من عصاه بالنار؛ لأن الله عدلٌ وحكيمٌ وغنيٌّ ورحيمٌ، بل ودودٌ جلٌّ وعلاٌ وكريمٌ؛ ومن هذه صفاته يستحيل عقلاً ونقلاً أن يُجبرَ أحداً على ارتكاب أي قبيح، ويستحيل أن يُريدَه تعالى من فاعله، وأن يشاءَه منه ويرضاه؛ وإلا فلماذا يُحرّمُ اللهُ علينا ما لا نستطيع تركه، وكيف ينهى عبده عن الظلم والفجور والفسق، والحال أنه مجبرٌ عليه لا يملك الكف عنه؟

وإذا كان الأمر هكذا فلماذا سيعذبه على ما ليس له فيه اختيار ولا عمل؟، إن هذا يتنافى مع تسمية الله لنفسه عدلاًً وحكيماًً وغنياً؛ لأن العدل يستوجب أن يُقدِرَ المكلفَ على ما كلفه به، والحكمة تقتضي أن لا يقع العذابُ إلا لمن يستحقه، وكيف يستحقه من لا مناص له من ارتكاب الذنب الذي يستوجهه؟! ولأن وَصَفَ اللهُ سبحانه لنفسه بالغِنَى عن العالمين الغنى المطلق يتعارضُ مع زعمهم الباطل أنه خلق المذنبين لِيُذنبُوا وَيُعذَّبُوا؛ لأنه غنيٌّ عن ذلك وغير محتاج

إليه، فكيف يفعل ذلك وهو غنيٌ عنه، وغير محتاج إليه؟ وفي الوقت نفسه، فيه أشد الضرر على العبد الضعيف العاجز المسكين الذي لا يملك من الأمر شيئاً، سبحانه الله عما يصفون؛ ولأن ذلك يتنافى مع تسمية الله لنفسه بالرحمن الرحيم، وبالحنان المنان، وبالرؤف ونحوها أتمّ المنافاة، بل سمي نفسه تبارك وتعالى الودود، فتأمل ملياً في معنى الودود، فإنه سمي نفسه الغفور الودود، وهذا أبعد في المعنى من اسمه الرحمن الرحيم، عزّ الله عما زعموه وجلّ.

كلا كلا إن الله لا يرضى لعباده الكفر، فهل يقبل عقل عاقل أن الله يفعل ما لا يرضاه؟ ومن ذا الذي سيجبره على أن يفعل ما لا يرضاه، وأن يُقدّر هذا الظلم الفظيع، ويقضي هذا القضاء الشنيع؟ ولا موجود حين قضى وقَدَّرَ إلا هو وحده لا شريك له في الأزل والوجود -تعالى الله عنه علواً كبيراً.

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ، فكيف تقبلُ أَتْفَهُ الْعُقُولِ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ وَيُقَدَّرَ حِينَ لَا سِوَاهُ بَأَنْ يَخْلُقَ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ، وَيَخْلُقَهُ وَهُوَ لَا يَجِبُهُ، لِمَاذَا؟ هل هناك من سيرغمه على أن يفعل ما لا يجبه ولا يرضاه؟ ﴿وَاللَّهُ

لَا تُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، هذا نص قرآني فكيف خَلَقَ ما لا يجب؟!!

إن الله لا يريد بنا العسر، فهل يتصور ذو عقل سليم أن يفعل بنا ما لا يريده من العسر؟، ومن الذي سيضطره إلى أن يفعل بنا ما لا يريده ولا يجبه ولا يرضاه؟

إنه تعالى لا يحب الكافرين، ولا المستكبرين، ولا الظالمين بنص القرآن

الكريم، ولا المختال، ولا أي متكبرٍ جبارٍ، ولا المسرفين بنصه تعالى على كل ذلك في كتابه الحكيم، فمنّ ذا الذي أجبره حين قضى أفضيته، وقَدَّرَ أقداره على أن يقضي بذلك ويُقدِّره؟!، وأن يطبّق أقداره بِخَلْقِهِم وَخَلَقَ قِبَائِحِهِم: من الكفر والظلم والإسراف والفجور؟!، كلا كلا وتعالى الله عما يقول الظالمون لأنفسهم علواً كبيراً، وسبحان الله عما يصفون.

إن الله نمانا عن الفحشاء والمنكر والبغي، ومن المستحيل عقلاً ونقلاً أن يجبرنا على فعل ما نمانا عنه، وعلى فعل ما يُغضه ولا يريد ولا يحبه ولا يرضاه، كما نصت على ذلك آيات الذكر المبين، ولا يجهل هذا إلا ذو فهم سقيم، ولا يتجاهله إلا ألدُّ الخصام، وهو في خصامه غير مبین؛ لأنها نصوص لا تحتمل غير معناها الواحد فقط، وهذا واضح وضوح الشمس في رآئعة النهار، وأجلى من ابن جلا.

فإذا أمعنت النظر في هذا وفي أدلته القرآنية والعقلانية والعلمانية تجلى لك إلى أي حد قَصَّرَتْ وَأَسْفَّتْ بعض المدارك، وإلى أي دَرَكٍ هَوَتْ بسوء فهمها، وإلى أي حضيض وقعت بتأويلها المتكلفة، وتصوراتها الفاسدة المتعسفة، وإلى أي حد تجاوبوا مع وسوسة الشيطان الذي أقسم بعزة ربنا ليغويننا أجمعين إلا عباده المخلصين.

ومن الأمثلة على هذا تشبثهم بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ [الرعد: ١٦]. وهذا من باب كلمة حق أريد بها باطل محض، فالحق

هو أنه خالق للكون بأسره ومبدعه من العدم المحض: سماؤه وأرضه، ومياهه وأجواءه بحاره وأثماره، وأشجاره وثماره، جامدة ونامية ومتحركة، المُسَنَّ لسننه، المصور لتراكيبه، المنظم لتحركاته وسكناته، المتصرف فيه وحده بما يبهر الألباب، ويستنفد العجب العجاب في الصنع الحكيم والإبداع العظيم في كل ذرة من ذراته، وبأنه صاحب الخلق والأمر كليهما ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]. وصاحب الملك والحمد فيهما لا شريك له في ذلك ولا معين.

هذا هو الحق في معنى ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، والعموم فيها منصبٌ إلى هذا وما في فلكه يدور من العجائب والغرائب الدالة على عظمة ذي العظמות، وقدرة ذي الملكوت، وحكمة ذي الجبروت، وإتقانه لما صنع وبرى جل وعلا.

أما الباطل الذي أرادوه فهو إدخالهم لأفعال العباد في عموم المراد باسم أن عمل العبد شيء فالله خالقه، مع أن الله يقول في شأن بلقيس حاكيا لقول الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل:٢٣]، فهل أوتيت الإحياء والإماتة؟، هل تُنَزَّلُ الأمطار؟، هل تُكَوَّرُ الليل على النهار؟! كلا كلا مع أن هذه أشياء، إلا أنها لم تقصد في عموم "كل" هنا، فالعموم المراد هو ما سبقت الإشارة إلى أمثاله مما يدل على الله وعجائب

ملكوته، لا ينصرف إلى ما لبس عليهم به الشيطان، بل يتجه إلى الأشياء التي
تَمَجَّدَ اللهُ بها في السياق ولأمثالها، وليست من الحصر والقصر الحقيقي الذي قال
البيانيون: إنه لا يكاد يوجد.

ولهم شبهة ثانية أشد هُزالاً من الأنفة، ساء فهمهم فيها وتأويلهم، وهي
قولهم: لا يكون في ملك الله إلا ما يريد، قالوا: فإذا لم تكن المعاصي مرادة لله
تخلفت القاعدة، مع أننا نقول: حقٌّ، إنه لا يكون في ملك الله إلا ما يريد، ومن
ذلك أنه خلق لنا قدرة، وجعل لنا إرادة واختياراً لما نعمل ونترك، وما كلفنا
سبحانه إلا بما نقدر عليه، وبذلك تقوم الحجة لله علينا، كما أن قولنا هذا أعظم
تمجيذاً لله وقدرته، وزعمهم الفاسد يشعر أن الله لا يقدر على إيجاد القادرين.
هذا ولا يلزم من جعله للعبد قادراً على فعل المعصية أنه أرادها منه، كلا.

ولتقريب الفهم، أقول لك : لو أنك أعطيت إنساناً مدفعاً يحمي به الضعفاء
وحوزة المسلمين، فإذا به يقاتل به الضعفاء ويهاجم المسلمين؛ فكون المدفع
صالحاً لأن يستعمل مع الحق وضد الحق لا يستلزم أنك أردت به ما حدث من
ذلك الرجل ضد الضعفاء والمسلمين. ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا
يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] وهاهو الكفر قد وقع، ومحال أن يريد ما لا يرضى
هذا واضح، ولسنا بصدد استكمال القول في هذه المسألة والتحقيق، إنما القصد
التحذير من التغيير، ومن أراد الاستيفاء فأمامه كتب الأصول.

ومما يدعون إليه تجسيم الله تقديس عن ذلك، ويصورونه للناس كإبن آدم،

ويقولون إن الله خلق آدم على صورته، أي صورة الخالق، ويقولون: إن الله يَدَيْنِ
ورَجُلَيْنِ الخ، وإنه يطلع وينزل وينتقل كالمخلوقين، ويضللون العامة أتباع كل
ناعق بحمل آيات من القرآن على المعنى الحقيقي مثل: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:
١٠]، فتوهموا وأوهموا الجهال أن الذين بايعوا رسول الله كما حكّت الآية الكريمة
وهي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، فأوهموا
الجهال أنه كانت يدٌ حقيقةٌ فوق أيدي المبايعين لرسول الله.

والمعنى الحقيقي هنا غير جائز؛ لأنه يستلزم التصور لمن ليس كمثلته شيء،
والتفكر في ذات الله، وتحديد يد الله بيد المبايع؛ وكل ذلك ممنوع باتفاق.

ويستدعي التساؤل النفسي هل كانت اليد فوق يد النبي والمبايع؟، فلماذا
لم يقل فوق يدك وأيديهم؟، أم كانت فوق يد المبايع، ويد النبي فوق الكل؛
فتكون اليد بينهما ويد النبي فوق يد الله؟!، تعالى الله عما توهموه.

على أن المؤلف المعروف عند مصافحة العهد والميثاق لمبايعة وغيرها أن
تكون اليدين معترضتين، ومن ذلك مبايعة الرضوان المذكورة في الآية الكريمة، لا
أن تكون يد المخلّف متجهة الراحة إلى أسفل ويد الحالف إلى أعلى، وحينئذ فلا
فوق ولا تحت، إنما هناك جهة يمين وجه شمال لا فوق وتحت.

ومثل هذا قولهم في: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨] إن الله وجهها بهذا
الدليل؛ وهذا غلط واضح؛ لأنه يستلزم أن الله هالك أيضا ما عدا وجهه، فالمراد

إذن غير ما فهموه بجهالة، وإنما جيء بالوجه لتأكيد المعنى مثل: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. وإنما المراد أن كل شيء هالك إلا الله سبحانه، كما يقول أحدنا لمن لم يف بوعده: بيّض الله وجهك، أو ما بيّضت وجهك، أراد ما وفيت أنت كُلك، ولم يقصد ما طليت وجهك بالبياض، ولا خصص بإرادته الوجه، أو عنى ما غسلت وجهك بالصابون، بل أراد ما تحليت بالوفاء.

والقرآن أنزله الله على العرب بلغتهم وحسب مصطلحاتهم، فيه الكناية والمجاز والحقيقة؛ مثلاً أمره تعالى لنا بقوله: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] أمرٌ بالتواضع للأبوين واحترامهما وتعظيمهما؛ إذ لاجناح لنا فنخفضه، والله عالم أنه لا جناح لنا فلم يقصده، وإنما قصد أن نبرّ بهما، ونكافي عطفهما وإحسانهما إلينا وتعبهما وسهرهما وكرمهما إذ ربانا صغاراً. ونحن كعرب فهمنا ما قصد ربنا، ولم نسمع أن أحداً سمع الآية فتحسس جسمه عسى أن يجد له جناحاً لم يكن قد علم به.

ومثلاً قال جلّ جلاله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]. فإن مراده تعالى أنه عاقبهم بالجوع والخوف، وما هناك شيء يؤكل، اسمه الجوع حتى تذوقه ألسنتهم، ولا شيء يلبس فيحسّ لابسُه بالخوف، وذائقه بالجوع.

والذي حملهم على هذا الهراء من الرأي الفجّ بنكران المجاز في القرآن
خَطَلٌ وَجَهْلٌ، وفي تصورهم أنه من التقوى، وتنزيهه للقرآن من اللبس فيه،
وتفديس الله من التلبيس على عباده؛ وبذلك أسلموا قيادهم لوسوسة عن نية
حسنة وقصد حسن^(١)، كما وسوس لقوم أن عليّاً عليه السلام قد كفر فكفروه عن
حسن نية وخطأ وجهل في الاعتقاد، فكانوا جميعاً من كلاب النار.

ولقد لاحت لي المناسبة اللطيفة ووجهها والحمد لله، وذلك في تسميتهم
كلاب النار، وهي تشبيه الذين يلبسون الحق بالباطل بما يُدْلُون به من الشُّبهِ التي
تُوقَعُ الجاهلين وضعاف المدارك في الخطأ الذي لا يغتفره الله لهم، والشُّبهِ التي
يستظهر بها المستكبرون عن قبول الحق، ويَحْسُونَ بالغضاضة، من ذلك
الغضاضة التي تحملهم على ركوب اللجاج والاستمرار في العناد. شَبَّهَ النبي
صلى الله عليه وآله صراخ ألسنتهم وأقلامهم بالباطل الذي يشبه الحق بنباح الكلاب، وبذلك
صَيَّرَهُمُ اللهُ في النار حاملين لهذا اللقب العجيب، ولا غرابة أن وَصَفَتْهُ
بالعجيب، فقد قال سبحانه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

(١) قال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في الطراز ١/٨٣ " أجمع أهل التحقيق من علماء الدين ، والنظار
من الاصوليين وعلماء البيان على جواز دخول المجاز في كلام الله تعالى، وكلام رسوله في كلام
نوعيه المفرد، والمركب، ويحكى الخلاف في إنكاره عن أبي بكر بن داود الاصفهاني، ثم تولى الرد
عليه وأمثاله فليراجع.

أليس من العجيب أن يُصِرُّوا على أن الهبوط إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير لا يراد به هبوط الرحمة، وَفَتَحُ أبواب الاستجابة والبركات في ذلك الوقت الذي تكون القلوب فيه أقدر على استجلاء الحقيقة، وأكثر فهماً ووعياً لما يكشفه الظلام، وتكتشفه الأحلام من جلال الكون، وظهور النجوم التي لا عدَّ لها، ساجحةً في أفلاكها المتباعدة المترامية الشاسعة الواسعة، التي تدل بعظمتها، وبأنوارها، وبسيرها المحكم، وعظم أحجامها وتقيدتها بنظامها وانتظامها، وخضوعها لما قدره لكل منها: من المكان والسرعة والدوران حول نفسها أو حول غيرها بحيث لا تستقدم عن شيء من ذلك، ولا تتأخر، مع استحضار القلب وصفاء الذهن في الأسحار أكثر من غيرها.

ولعل هذا بعض وجوه الحكمة في قسمة الله للزمان إلى ليل ونهار. ولكن هؤلاء المعاندين والمكابرين أَنَفَّةً منهم أن ينكشف أننا أولى بالحق منهم أبو إلا أن يقولوا: الهبوط حقيقة لا مجازاً.

ومن البعيد جدا أنهم يجهلون أن الهبوط يستلزم إخلاء المكان الذي يقع منه الانتقال لو كان حقيقة لا مجازاً، وإخلاء المكان، وسد الفراغ هو شأن الأمثال، لا شأن القدوس المتعال، الذي لا نَدَّ له ولا مثال، فقد كان الله قبل أن يخلق المكان والزمان، وهذا مما يتعالى إدراكه على العقول.

وأما تَفَصِّيهِم بنفي الكيف فذلك مغالطة واضحة ليس عليها أثارة من علم، وما أُثِرَتْ قَطُّ عن حجة من نبي أو كتاب، وإنما هو مجرد تهرب عن التسليم

بالحق الواضح من بعض الأولين خطأً وزللاً، ومن بعض المتأخرين كِبَرًا
وجدلًا، والله يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن تَجَدَّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا
كِتَابٍ مُّنبِئٍ ۗ ثَانِي عِطْفِهِ ۗ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۗ وَنُذِيقُهُ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۗ﴾ [الفتح: ٨ - ١٠]، فإننا نذكرهم بهذه الآيات الزواجر، وبمثل قوله سبحانه:
﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]، فإن
الآيات غير مقصورة على أسبابها. ولو لم يكن من باطل زعمهم إلا أنهم يسلبون
من القرآن الكريم بإنكارهم للمجاز فيه أبرز صفات بلاغته وإعجازه البياني، و
ينكرون دلالة على أسمى المعاني - لكفاهم زاجرا. نور الله بصائرنا جميعا بالحق
المبين.

هذا وكثير من هؤلاء الدعاة إلى العقائد الباطلة لا يعرفون إلا ما لقنهم
مشائخهم، فأمنوا بما لقنوههم؛ لقصور معرفتهم وأفهامهم، كما آمن الجهال بما
زعم رؤسائهم يوم صَفِّينَ بأن عليًّا ارتدَّ عن الإسلام بقبوله للتحكيم، وكما
صدَّق معاوية أتباعه لما قُتِلَ عمارُ بن ياسر، وانكشف لهم أنه الداعي إلى الجنة،
وأهم دعاة النار، فقال لهم معاوية: إنما قتله من جاء به، فقال الإمام كرم الله
وجهه: إذن فالنبي قتل حمزة. وبالرغم من أنه اكتسح بكلمته تأويل معاوية
الباطل، إلا أن بغضهم لصاحب الحق، وحبهم للدنيا وصاحبها أعمى أبصارهم

وبصائرهم وأصمهم: البعض منهم جهالة، والبعض عمالة، ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تَأْتِكُمْ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١] .

فلا تنخدع بكثرة وغنى موليهم، فإن الله يقول: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ولا بالمغالطات المصوغات في سحر البيان، فإن الله تعالى يقول:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئدة الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢ - ١١٣]، أي لو شاء مشيئة قسر وإجاء، مثل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ﴾ [يونس: ٩٩] .

وانظر إلى استدلالهم السقيم بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، إذ قالوا: المراد خلقهم وخلق عملهم الذي هو عبادة الأصنام، وهذا تأويل فاسد باطل؛ لأن الآية والتي قبلها حكاية لقول إبراهيم لقومه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، أي كيف تعبدون حجارة وخشبًا لا تسمع ولا تبصر ولا تغنيكم شيئًا، كما في آية سورة مريم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]،

فإبراهيم عليه السلام وَيَبْخَهُمْ بهذا الاستفهام الإنكاري الإبطلاي على عبادتهم لما نحتوه
وصنعهو بأيديهم من الأخشاب والحجارة، والحال أنهم أشرف منها بالحياة
والعقل والقدرة والإرادة والاختيار، وهي لاحظ لها في شيء من ذلك، ومع هذا
يتركون عبادة الذي خلقهم وخلقها، فإن الأحجار والأخشاب خلقها الله؛
فالمعنى إذن: أتعبدون ما تنحتون، والله خلقكم وما تنحتون. وأي حديث يخالف
هذا: مصادمٌ له قطعاً، وما صادم نصاً فهو مرفوض. وهذا الإنكار والاستدلال
حجةٌ لإبراهيم على قومه قويةٌ مفحمة لهم.

فأما ما ذهب إليه أهل الجبر والتجسيم والإرجاء بأن الله خلقهم وخلق
كفرهم فإنه يُصير استدلال إبراهيم عليه لا له، وكأنه قال لهم: أتعبدون
الحجارة؟ ولكن لا لوم عليكم بعبادتها، لأنكم لا تقدرُونَ على ترك عبادتها
لأنكم مرغمون على عبادتها.

فهل مثل هذا الكلام أيها القارئ الكريم إلا هذيان مجنون يترفع عنه أقل
العقلين فهماً، فما بالك بكامل العقل والفهم، فما بالك بالعارف، فما بالك
بني بليغ آتاه الله قوة الحجة وقوة البيان.

ثم إن قواعد النحو والبيان وضرورة المناسبة لمقتضى الحال ترفض ما تكلفوه
بتاتا، وهو مع ذلك تشويه لمراد الرحمن ولبلاغة البرهان في القرآن، ولبيان الخليل
عليه الصلاة والسلام، والله المستعان.

وكل هذا لا يخفى على من لديه أدنى عرفان، ولكن الناس عن التحقيق

رقود، والنظر الصحيح بينهم مفقود.

قلنا: إنهم يجسّمون الله - سبحانه عما يصفون، ويقولون بِالْجَبْرِ الحَض، وهو قول القدامى، منهم جهم بن صفوان أول من عُرِفَ به وأتباعه. ولما عز عليهم الصمود أمام النكير، قالوا: هو بلا كيف. ولا يغنيهم هذا التفصي شيئا، إذ هو إحالة على المجهول، وهو عند الجميع غير مقبول.

وقلنا: إنهم مُجْبِرَةٌ. وتَفْصِيهِمْ بأنه لا يُسْئَلُ، وبأنه لحكمة نجعلها؛ لا يخرجهم من الحرج أصلا، لأنه فيما يصادم النقل والعقل، وبلا دليل.

فإذا تأملت بإمعان عرفت أنهم إنما يؤمنون بإله مجسّم، له صورة كصورة الآدميين، يجبر الخلق على فعل القبائح، ويعذبهم في النار خالدين بما لم يكن منهم بإرادة ولا اختيار. وأنت لا تستطيع أن تجد فارقا بين من أله فرعون، وبين من أله ظالما، له صورة إنسان، وبين من نحت من الأحجار صنما وعبدته، فالصور الثلاث تجعل الله كالأمثال، والله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

وأقوالهم تتنافى مع النهي عن التفكير في ذات الله، ومع التسليم بأن من فكر في ذاته أُلْحِدَ، ومن فكر في مخلوقاته وحد. أما نحن فنزّه الله عما نزه نفسه عنه من الجسمية، وعما يجوز عليها من النقائص والظلم، ونصفه بما وصف به نفسه من صفات الكمال المطلق المتعالي عن الأضداد والأنداد. وهو الذي أقدرنا على ما كلفنا به، والذي لا يرضى لعباده الكفر، والذي يريد بنا اليسر ولا يريد بنا

العسر، والذي حرم على نفسه الظلم الذي حرمه علينا، والذي يغار من المعاصي، كما جاء في حديث (يا سعد)^(١) وفي حديث: (يا عمر أنا أغير منك، والله أغير مني)، والذي هو أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا ومن أنفسنا، والذي سمى نفسه الرحمن الرحيم.

أما على معتقد الجحيرة فأين الرحمة ممن يخلق خلقاً ضعفاء عاجزين، لأجل أن يعذبهم في جهنم خالدين؟ يا لها من فرية ما فيها مرية. وأين الحكمة التي زينت كل ذرة من ذرات الأكوان، وكل حركة وسكون، وكل تركيب أبدعه وصنعه، وكل أمر ونهي قضى به؟! سبحان الله عما يصفون! وسنوضح إن شاء الله أثناء التعليق الذي يتخلل المنظومة أنهم هم لا سواهم القدرية بما لا يبقى معك شك أنهم المرادون بالقدرية.

ومما يدعون الناس إليه تنفيرهم من آل محمد، ومن شيعتهم وشيعة علي عليه السلام، باسم أنهم غلاة وحاشا أن يوجد في اليمن غلاة، وباسم أنهم لا يعملون بكتاب الله وسنة رسوله وإوآله، وهذه تهمه فاجرة نبراً إلى الله منها، وتبرئ منها كل طائفة مسلمة؛ لأنه ليس بمسلم من لا يعمل بكتاب الله، أو سنة رسول الله التي تصح لديه.

(١) البخاري رقم ٦٤٥٤ بلفظ " أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني " .

ويدعون الناس مع ذلك إلى حب معاوية ويزيد وتعظيمهما. فإذا وَجَدَ أحدهم قبولا لكلامه خطأ الخطوة التي تليها؛ وهي أن الحسين السبط خارجي مُخْطِ يستحق قَتْلُهُ؛ لخروجه عن طاعة "أمير المؤمنين يزيد"، فإذا أحس باستنكار أظهر تأسفه لقتل الحسين، وذاذ عن قاتليه بأنهم مجتهدون، وأخذ ينشر محاسنهم وانتحل لهم مناقب، فإذا سمع ذكر فضيلة لأحد من الخمسة أهل الكساء ضاق بها ذرعاً، وكذّب بعضاً وضعّف بعضاً، حتى لو روى الفضيلة أصحابُ الأمهات الست وأمثالهم كالإمام أحمد بن حنبل والإمام الشافعي وغيرهما، فإنهم لا يقبلون من مناقب علي فيها إلا ما تقبله أهواؤهم من صغارها، مع تضعيف لما قبلوه، وفي الحلوق شجى، وفي العيون قذى.

أما إذا ثمة منقبة لسواه وسوى ولَدَيْهِ فيرحبون بها بدون قيد أو شرط، ويعظمون من شأنها ويجسمونها في تلسكوب من البيان، يراها القارئ والسامع من خلاله في أضعاف حجمها الحقيقي، كما يشاهد الميكروب الذي تتعذر رؤيته على العين المجردة من عدسة التلسكوب التي تضاعف حجمة حتى تتأتى رؤيته.

وترى البعض بإزاء المناقب الكبرى لعلي وأهل البيت إذا أعياه التكذيب لها والتضعيف لا يتردد من تناول المنظار وتعكيسه ليراها القارئ والسامع من خلال المنظار المعكوس في معنى منكوس، أو يصغر حجمها حتى يخفيها أو يكاد. وليس في هذا مبالغة، فإنك إذا وضعت هذه الملاحظة نصب عينيك كلما

قرأت شيئاً من هذا وجدته الحقيقة المجردة من الغش والمبالغة، لكن الله سلك من بين يدي المناقب ومن خلفها رَصَدًا ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأَنْفَال: ٤٢] .

وَتَجَهُمُهُمْ فِي وَجْهِهِ مِنْ ذِكْرِ شَيْئًا مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ الْكَذِبِ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَذَرِيَّتِهِمْ، وَتَهْلُلُ وَجُوهَهُمْ إِذَا ذَكَرَ أَعْدَاءَهُمْ بِخَيْرٍ، وَعَدَمُ التَّحَاشِي مِنْ تَكْذِيبِ مَا رَوَاهُ عُلَمَاءُ السَّنَةِ الْأَكْبَارِ، أَوْ تَضْعِيفِ مَا صَحَّحُوهُ مِنْهَا، أَوْ التَّعَسُّفِ فِي تَأْوِيلِهِ، وَتَجَهُمُهُمْ أَيْضًا فِي وَجْهِهِ مِنْ رَوَى أَوْ ذَكَرَ مَأْسَاةً مِنْ مَأْسِيَتِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ أَيْضًا لِأَنْصَارِ الْإِمَامِ وَالْمَوَالِينِ لَهُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ، وَرَمِيَهُمْ بِالْكَذْبِ، وَجَرَحَهُمْ بِالتَّشْيِيعِ لَهُ، مَعَ تَزَكِيَّتِهِمْ لِأَنْصَارِ مَعَاوِيَةَ وَمُحِبِّيهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ، مَعَ تَحَقُّقِ بَعْضِهِمْ لِعَلِيِّ رَغْمِ تَصْحِيحِ أَهْلِ السَّنَةِ لِحَدِيثِهِ: ((إِنْ حَبَهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَبَغَضَهُ مِنَ النِّفَاقِ))^(١)، كُلُّ ذَلِكَ وَاضِحٌ جَدًّا، وَحَسْبُكَ أَنْ تَتَأَمَّلَ فِي هَذَا بِإِمْعَانٍ .

وفي قتل الحسين، وتسميم معاوية للحسن سيدي شباب أهل الجنة، وفي قتل زيد بن علي، والحسين بن علي الفخري ومن معهم، وفي قتل علي كرم الله

(١) الترمذي / ٦١١ رقم ٣٧٣٦، ٥٩٤، رقم ٣٧١٧، مسلم ١/ص ٨٠٦، وشرحه النووي مج ٢ ص ٦٤-٦٥، ابن ماجه ١/٤٢ رقم ١٢٤، فتح الباري ١/ص ٦٣، المستدرک ٣/ص ١٢٩، الاعتصام ١/ص ٤٢-٤٧، أمالي أبي طالب ٤٩، أسد الغابة ٤/٣٠، الخصائص للنسائي ١٠١، ١٠٢، مجمع الزوائد ٩/١٣٣، تاريخ الإسلام عهد الخلفاء ص ٦٣٤، تذكرة الحفاظ ١/١٠١ وغيرهم كثير.

وجهه، وذكّر معاوية وابنه يزيد، وابن العاص، وعبد الملك، وعمرو بن سعيد الأشدق. قال ابن عبّدونَ رحمه الله في بسامته الخالدة:

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن
فبعضنا قائل ما اغتاله أحد
وأردت ابن زياد بالحسين فلم
وأعملت في لطيم الجن حيلتها
وأحرق شلواً زيد بعدما احترقت
وأظفرت بالوليد بن اليزيد ولم
وأسبلت دمعة الروح الأمين على
وليس بخاف عليك المراد من قوله: وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر، وأن
صولة الباطل وجبروته أسكت الألسنة عن قول الحقيقة، وأنطق أخرى بالباطل
الذي هو الزعم بأنه ما اغتاله أحد.

والذين يمتعضون من ذكر آية مأساة وقعت على آل محمد إنما يصُدُّرون في
امتعاضهم عن محبتهم للظالمين وكراهيتهم للمظلومين، وبعضهم من حيث لا
يشعرون. وربما بادر بعضهم بالنهي عن ذكرها بحجة أنه يثير فرقة بين المسلمين،
أو بقوله: هذا كذب أو نحوه، أو مبالغ فيه من صنع الغلاة.

وربما قيل: هم مستحقون؛ لأنهم خارجون أو خوارج على أولي الأمر مثل

يزيد وابن زياد وهم ظل الله في الأرض، لكن إذا ذكرت منقبة لأعداء آل محمد
تمللت وجوههم فرحاً ولو كانت الرواية ضعيفة أو مصادمة للصحيح، بل
يتعمدون السكوت عما يعلمونه من أي قادح فيها، وفي الحديث
الشريف: (حبك للشيء يعمي ويصم) ^(١) ، وقال شاعر:

وعينُ الرضى عن كل عيب كليلَةٌ كما أن عين السُّخْطِ تُبْدي المساويا
وتبجُّحُ البعضِ بأهم أهل السنة تعريضٌ بأن غيرهم من المسلمين والزيدية
على الخصوص لا يعملون بالسنة أو جاهلون بها، ويتجاهلون إيمان جميع
المسلمين بأنهم يؤمنون أن رَدَّ ما صح لديهم عن رسول الله كُفْرٌ وَرِدَّةٌ، وإذا
كانت المخالفة على وجه المعصية ففسق في الكبيرة لا يَخْرُجُ به عن كونه
مسلمًا.

فلو كانوا صادقين في أنهم يكرهون إثارة الفتنة والشقاق بين المسلمين
لَعَقَّتْ ألسنتهم وأقلامهم عن الولوعِ بِسَبِّنا باستمرار، ولما ولعوا بتأليف ونشر
وطبع ما فيه شتمنا بالباطل زوراً علينا وبهتاناً بأننا شرُّ أُمَّة، أو شر من اليهود، أو
من الطائفة الفلانية الخ.

(١) أي داود/ ٥ / ٣٤٦ رقم ٥١٣٠، أحمد بن حنبل/ ٨ / ١٦٣ رقم ٢١٧٥٢، البخاري في التاريخ
١٠٧/٢ برقم ١٨٥٣ عن أبي الدرداء .

والمتأخرون والمعاصرون أشد إقذاعا وبغضا من أول سلف لهم في بغض آل محمد عموماً، وخصوصاً الزيدية، حتى إنهم أو بعضهم إذا بالغوا في الشتيمة بينهم يقال " يا زيدي " لما تُوغِرُ صدورهم به علماءهم من نحو ما سبق، وبأننا مشركون ومبتدعون وأهل ضلال. ولو كانت لهم قلوب يفقهون بها، وعلى جانب من تقوى الله، وعلى شيء من الحرص على رأب الصدع بين المسلمين، وجمع قواهم في وجه الكفر وهجومه الشرس لما استمروا في ذلك، ولكن البغض يعمي ويصم.

﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢١﴾ * يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٢٢﴾ * قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٢٩ - ٣١] ، ﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢١﴾ * يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٢٢﴾ *
[آل عمران: ٢٩ - ٣٣] صدق الله سبحانه. ومن آل إبراهيم محمد وآل محمد كما قال ابن تيمية وابن القيم وغيرهما. أفي تعاملهم معنا بهذا ما يدل على الإنصاف أو على

تقوى الله؟، أفي هذا ما يدل على غير البغضاء الظالمة والشنتان؟! والله المستعان.
أما ادعاءؤهم أنهم يحبون آل النبي المتمسكين بسنته، فإنما يحبون الذين اتبعوا
أهواءهم، وفي الحديث الشريف: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما
جئت به) (١).

ومما ابتلى به عصرنا انتشار الإلحاد والذين ينكرون وجود الله، ويقولون
﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الحاكية: ٢٤]، ويقولون: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا لَنَا بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، وهي مصيبة عظيمة وداهية
دهيئة.

ويزيد الطين بلة أن هجوم السَّبَابِ من قبل المجبرة، والتشويه ضد الزيدية
مَهْدَدٌ وَيَسَّرَ سلوك التشكيك الإلحادي ضد الإسلام من حيث هو عند العامة
وأنصاف المتعلمين أتباع كل ناعق، وزاد الشيوعية قوة وانتشارا ودفع كثيرا إلى
الانضمام إلى الخارجين على الحكومة بحجة أن الخارجين لا يعارضون المؤمنين
في عقائدهم، بل يعارضون النظام المالي فقط، وهذا أهون عندهم من مصادرة
القلوب وإجبارها على التنازل عن الحق وانتشار الضلال باسم أنه الهدى.
وفي ظل هذا الواقع الأليم يَرْتَعُ المنافقون الذين يظهرون الإسلام، وأتيح لهم

(١) كنز العمال ٢١٧/١ برقم ١٠٤٨، فتح الباري ٢٨٩/١٣، تاريخ بغداد برقم ٢٢٣٩.

العمل والقول تشفيا وحقدا على المسلمين عامة وآل محمد خاصة. وترى الأَخْسَاءَ منهم الذين سيطرت عليهم عقدة الشعور بالنقص والضعف في المجتمع، وعقدة الشعور بالجهل، وعقدة الحقد والحسد لمن يكرمهم المجتمع بأعمالهم وأخلاقهم، تراهم يحاولون إخفاء شعورهم بالنقص، واحتقار المجتمع لهم بالتحري على الكذب، وتناقل الكذب، والاستناد إلى الكذب، ولكونهم لا شرف لهم بين الأحياء فيحافظوا على صونه أن يُخَدَشَ ولا حياء ولا مروءة تُكفّنهم عن الزور والبهتان، ولا علم يستر فضائح جهلهم وكذبهم؛ فإنهم لذلك لا يترددون عن الإفك والاختلاق لمثالب ينسبونها إلى الأَخْيَارِ، واختلاق مناقب للأشرار؛ غافلين أن التاريخ ورجاله والحديث وأمثاله في ماضيه ومستقبله يفضحهم ويخزيهم ويكشف ما يحاولون إخفاءه من سوأَتهم، ولا يحتقرهم أحد كاحتقارهم لأنفسهم بأنفسهم.

وعلى سبيل المثل الترويح بين العامة أن ذرية رسول الله ﷺ انقرضت يوم الطّفِّ، فهم كالذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] فهم بأباطيلهم إنما يسخرون من أنفسهم بأنفسهم، ويسجلون بأقلامهم حساستهم، ويشهدون على أنفسهم بما يزعمونه بأقلامهم وألسنتهم أنهم هم الكاذبون والجاهلون والمفسدون والملحدون، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. وفي تفسير ابن تيمية، وابن القيم، والشيخ محمد عبده في تفسير سورة الكوثر ما ينفك به الله.

وتجهيل المجبرة للناس بعدل الله وحكمته، وتجهيل الملحدّين للناس بإنكار وجود الله يؤديان بالجمتمع إلى أسوأ العواقب وأخبث النتائج، وخسرانه لذيابه وآخرفته معاً؛ فإن الناس إنما يعيشون بالأمل في رحمة الله، وانتظار الفرج في العاجل، والإنصاف والانتقام لهم في الآجل؛ ويصمدون بذلك أمام العاتيات من المصائب والمظالم، ويهزمون العاديات العاصفة من البلايا والمغارم: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ولولا الإيمان بالله وكتابه، والبعث؛ لثوابه وعقابه لتكاثر الاعتداء على الأرواح انتصافاً أو انتهاكاً للحرّمات مبادرةً إلى التشبع بمتع الحياة ولذائذها، وتكاثر بهذا الدافع الفساد بكل ألوانه وأشكاله في الفروج والأعراض خاصة، وكثرت الإنتحارات ضيقاً بالحياة وآلامها، ويأساً، وتكاثر البؤس والفقر بصورة لا يتصورها الناس.

والذي يتصوره الدعاة إلى شيوعية الأموال ويصورونه للرعاع من أن مصادرة الأموال المكتسبة بالطرق الحلال باسم العدالة وإنصاف الفقراء من الأغنياء وأنها ستسعد الفقراء إنما هو خيال و﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْئَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ وما هو إلا ظلم وعدوان تأباه العقول السليمة والطبائع المستقيمة.

والتجربة في الشعوب الاشتراكية كشفت أنه ظلم وجهل مركب سماه الشيطان علماً وعدلاً وهو عين الجهل والظلم للمنهويين، وقَتْلٌ للمواهب والهمم

في خدمة الأمم، فإن عامة السواد الأعظم فيها بؤس شديد وعناء، وإن الفرد في العالم الرأسمالي: الفردُ الفقير فيه أحسن حالاً بكثير جداً ممن هم في جدته وحريته، وكلا النظامين فاسد في جملته وتفصيله. وكلا النظامين باطل في محتواه، ضره أكبر من نفعه، وشره غالب لخيره ^(١).

والإسلام لا سواه هو دين الحق، ونظام السعادة والعدل والحرية إذا تأمل في تفاصيله منصف ذو عقل سليم بعد أن يميّط عن وجهه الوضّاء ما لطخه ونسبه إليه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، والحقّد على الدين الحنيف.

فالإسلام وحده هو الذي جلى ماهية الحقائق الغيبية حتى كأنها بمرآى ومسمع، وقام بالقسط في كل ما دق وجل من التشريع وما برى وسوّى، وهو الذي في العمليات في جميع نواحي الحياة ارتدى بالعدل الأكمل وتأزر،

(١) أطل الله عمر المؤلف ، فقد تحقّق ظنه في الشيوعية، فقد فشلت، وتمزقت دولتها العظمى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م شر ممزق ، وها هي بقايا شظايا تتسول على أبواب الدوائر المالية الغربية؛ رغم الثروات الهائلة في أرض روسيا. أما النظام الرأسمالي والذي تترعمه أمريكا؛ فإنه في طريقه إلى الانحدار لقيامه على أنانية الفرد، واحتقار الغني للفقير، وقد بدأت أمريكا تضرب العالم شرقاً وغرباً، جرياً وراء السراب من جنون العظمة والجشع الذي جعلها تسعى للسيطرة على ثروات العالم، وهي الآن تخوض حرباً مدمرة ومعها بريطانيا ضد العراق، ولا أتوقع إلا أنها تحفر لحتفها بأنفها، سواء انتصرت أم انهزمت. بقلم د/ المرتضى بن زيد المحطوري.

وبالفضيلة الفضلى وإسعاد البشرية تجلب وتدثر، لاسيما في نظامه الاقتصادي، والأنظمة الاجتماعية، وتوفير أوفر الحرية للفرد وللمجتمع على الوجوه الصائنة لهما من النظام والتغابن، الكفيلة لهما بكل ما تجود به الحياة الدنيا من السعادة والإسعاد للبشرية، والحماية من الشقاء بحيث لا يدنو من كماله أي دين ولا نظام.

إلا أن استكبار المستكبرين، وتعصب الباغضين والحاقدين من جماهير المبلغين والحرص على التشبع من رذائل الشهوات ودناياها التي يُطَهَّرُ الإسلام منها ذَوِيه قد جعلهم يَمْرُونُ بالإسلام النقي وهم عنه معرضون ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ [المثّر ٥٠:٥١] لاسيما إذا كانوا قد وقفوا على شيء من الخزعبلات والترهات التي نسبها إليه المجبرة، وشوّه وجهه بها الفجرة من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فإنهم يتخذون من ذلك حُجَجًا يُفحمون بها الدعاة إلى الإسلام، وتحمل المدعويين على السخرية بدين يُقِرُّ العُتْثَ والفساد، ويساند باسم الإسلام الظلمَ والظلمة ضد المظلومين، ويفرض باسم الإسلام الاستسلام لهم، وينهى عن معارضتهم، وَيُؤْمِنُونَهُمْ مع ذلك أن في عفو الله سَعَةً لهم ونحو ذلك مما يتنافى مع صرائح القرآن والسنة الصحيحة والعقول السليمة والفطرة السليمة المستقيمة.

فلا يعقل إذن أن تقبل عقول أهل الأنظار الدقيقة، والمعارف الواسعة عند المدعويين إلى الإسلام لاسيما في الماديات، لا يعقل أن يضع هؤلاء مقادهم في

أيدي جهال مُهَوِّوسين، هذه تصوراتهم للحقائق، ودعوتهم إلى الإيمان برب
ودين، هذا شأنهما.

فالإسلام دين الحرية والعدل والحفاظ على حقوق الفرد والجماعة، جعل
لكل فرد الحق في أن يدرس حتى يكون أكبر عالم فيما يجب من العلوم، لم يحجر
علما ولا أحدا عن أي علم ولا عن مزاولة أي عمل، وجعل مع ذلك لكل فرد
الحق في الكسب والعمل الحلال حتى يكون أكبر غني، لم يحجر أحدا عن أي
عمل، وجعل لكل فرد الحق في احترام دمه وعرضه وماله، وفي حفظ كرامته،
وجعل لكل فرد الحق في الحياة، وساوى بين الناس في كل ذلك، وجعل ميزان
المرء عند الله سبحانه وتعالى عمله لا نسبه ولا تشبهه، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَىكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فلن تسعد البشرية بغير الإسلام بعض سعادتها به، ﴿وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْرَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠].

لكن الكفر بالله واليوم الآخر، ومخالفة ما أمر ونهى أينما حل الكفر
وطبقت أنظمتها لاسيما النظام الماركسي؛ فإن الهمم القعساء والجِدُّ يتلاشى
ويقل دخل الأمة والفرد، وتسوء حالتهم، وتختم القوة على أفواههم، والمشائق
تعمهم؛ فلا تأذن لهم فينطقون إلا أن يقولوا زورا كما قد جرب هذا كثير غيرنا
وتسربت أخباره المتواترة من خلال الحجاب والستار الحديدي ووصلت بهم
الحال إلى هذه النتائج السيئة.

والناس يتفاوتون في همهم ونشاطهم وذكائهم وفهمهم وجهودهم

ومساعيهم، وباب الحرية في العلم والعمل مفتوح في ظل الإسلام النقي من الشوائب مفتوح على مصراعيه للعلم والعمل والكسب الحلال للجميع. والإسلام يحمي مكاسب كل كاسب عن اغتصابها ومشاطرته فيها كما يحمي عرضه ودمه، وعن انتزاع شيء من حلال كسبه وجده لكسول أضع فرصته ووقته، أو باسم كسول ظاهراً؛ هذا هو الظلم المبين، وهذا هو الجبروت لا الحرية، وهذا قسوة لا رحمة، ودعوة غير مباشرة لكبت الهمم والتواكل والتخاذل، ووآد الهمم والنشاط.

فاحذروا خداعهم لكم عن دينكم وإيمانكم وتشويه الدين بأنه أفيون الشعوب، فإنه مجرد خداع يقوم على تحسين القبيح وتقبيح الحسن بمنطق خلاب، وفي سحر من البيان الجدلي أو الخطابي أو الشعري أو المغالطة التي ينخدع بها السذج والهمج.

وبمناسبة ذكر المغالطة أمليت عليّ أمس نكتة معناها: خياط أخلف مواعيده مرارا بإنجاز بدلة، فقال له صاحبها متألماً: خلق الله العالم كله في ستة أيام فبادره الخياط قائلًا: ألا ترى كيف العالم؟ وما الناس فيه؟، وهو من باب سألته عن أبيه، فقال: خالي شعيب.

فاحذروا خداعكم عن دينكم وسعادتكم في الدارين معا وإلا خسرتموهما معا. فالناس في ظل الشيوعية في أضيق من سم الخياط، وفي العالم الرأسمالي الكفري لا حصر لحوادث الانتحارات وحوادث السطو الإجرامي على الدماء

وعلى الأموال لفساد في قوانينهم لا صلاح له إلا الإسلام .
وختاماً لا تغتر بشبههم ولا بشبه الطاعنين في آل محمد وأتباعهم؛ فهي معارضة للكتاب والسنة الصحيحة بأقوال مختلفة، أو تأويل فاسدة انطلت على القاصرين، وصادفت هوى من المغرضين؛ فمَجَّدوها، فراجت بين السواد الأعظم الذين ظنوها أموراً مسلّمةً نصرُوا بها الباطل وأهله -حباً لهم- ضد الحق وأهله -كراهية لهم- فليس بدع أن يطعنوا فيهم وفي روايتهم، وأن يتخذوا من ذلك سلاحاً لإسكات الحق وإنطاق الباطل وبحكم تزلفهم بذلك إلى ذوي السلطان ووجهتهم بذلك، والجِدّة في جميع الأزمان مقرونة بضيق ذات اليد عند المحقّين .

ومهما يخفى من شيء فلن يخفى أن الخارج على إمام حق عندنا، وعلى إمام جور عندهم باغٍ، وأن عليّاً من الراشدين بتسليمهم بذلك، فالخروج عليه أشد من الخروج على غيره؛ ألا ترى أنهم في التناقض يتهافتون. كما لا يخفى أنه الداعي إلى اللجنة لحديث عمار^(١)، وخصومه دعاة النار، وأن أتباع علي هم الذين استجابوا دعوة الله إلى دار السلام، وأن خصومه استجابوا دعاء الشيطان،

(١) البخاري ١٧٢/١ رقم ٤٣٦، ١٠٣٥/٣ رقم ٢٦٥٧، مسلم ٥/ ٤٣٠ رقم ٢٩١٦ عن أم سلمة، والمستدرک ٣/٣٨٦، الترمذي ٥/٦٢٧، رقم ٣٨٧، الطبراني في الكبير ٤/٥٨ برقم ٣٧٢٢، مجمع الزوائد ٧/٢٤١، ٢٤٢، طبقات ابن سعد ٣/٢٥٢ .

﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦] ، لا يقال: إن مبايعته لا تلزمهم؛ فإن المهاجرين والأنصار هم القوم كل القوم، وبيعة الحاضر تُفرض على الغائب شرعا ولعله إجماع.

وأما قولهم: لا نخوض فيما جرى بين الصحابة فبدعة ابتدعوها يرفضها وجوب موالاته أولياء الله ومعاداة أعدائه وليست من الدين في شيء، ﴿ تَخَدُّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:٩]، فما خالف القرآن فهو خداع ووسوسة من الشيطان أضلّ بها كثيرا موهما لهم أنها غير مخالفة للكتاب والسنة فصدقوه.

فاحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك عن غلط أو مغالطة تجاه النصوص القرآنية مثل: ﴿ يٰٓيٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ [الأحزاب:٣٠]، وهن في قمة الفضل بالصحبة وزيادة عليها لا يجحد فضلها إلا مكابر. ولو كان الأمر كما سول لهم الشيطان لقال نحو: مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ فَلتصنع ما تشاء، أو فلا تخف فقد غفر لها ما تقدم من ذنبها وما تأخر.

كما أنها مغالطة تجاه مثل قوله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة:٢٢]، ومثل قوله سبحانه: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا مُّجْزَءًا

بِهِ» [النساء: ١٢٣] ومثل الحديث القدسي: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)^(١)
فتلك عمومات غير مخصصة، وتأويلهم لها متعسفة فاسدة. وإذا أُفْحِمَ أحدهم
ومنعته الأنفة والبغضاء عن التسليم بالحق لاذ بالشتيمة، وربما يقول أحلمهم:
الخوض يثير الفرقة بين المسلمين وتَرْكُهُ يجمعهم، وهذا صحيح: ظاهره رحمة
وباطنه عذاب؛ لأنهم الخواضون باستمرار جيلا فوق جيل وجيلا بعد جيل
بمواصلة سبنا واتهامنا بالشرك والغلو والبدع الضالة والشرّة والضلال والكذب،
يسبوننا في المؤلفات القديمة والحديثة والمجلات والجرائد والرسائل والفتاوى
المرئية والمسموعة والمقروءة، وحتى مجلة الإرشاد بصنعاء فقد كان سبنا من براعة
استهلالها وفي عقر دار الزيدية. ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾
[البقرة: ٤٤].

وكان الجدير بأهل القبلة أن يقوموا بجملات بين طوائفهم تزيل التواش
وتستوجب الصفاء والقضاء على الشحناء وتشيع بينهم إحسان الظنون ببعضهم
بعضا ويلتمس كل للآخرين المبررات مهما وجد سبيلا ليكونوا على الخير
أعوانا، ولتتمكنوا من الوقوف في وجه عدو الجميع من الكافرين، ولكن
ويالأسف الشديد كانوا باشتغال بعضهم ببعض أجنادا لتحقيق أهداف

(١) سبق تخرجه .

الكافرين، ضدّ أنفسهم وضد الإسلام.

رأيت وأنا في أثناء كتابة هذه المقدمة في المنام، رأيت إبليسَ في صورة إنسان يكلم إنساناً مُصَغِياً لحديثه، فكان إبليس يكلمه وعيناه مشغولتان بي والرجل مُؤَلِّني ظَهْرَهُ تقريباً، وإذا في يدي شِبْهُ سيفٍ طُوْلُهُ نحو أربعة أمتار، أعلاه من جهة الذبابة نحو شبر كسائر السيوف شكلاً وقدرًا، وبقائه نحو أسنان الشَّرِيم، فرفعته وضربت به رأس إبليس وأغمدت بعضه في جانب رأسه، فحاول أن يُهدِّئني وهو مشغول بمواصلة كلامه للمقبل عليه، فضربته ثانية في رأسه كالأولى، ثم ثالثة ورفعت السيف لأضربه الرابعة معرضاً عن محاولته تهدّأني؛ حتى أسمع ما يقول، فلما أيس وثب من مكانه وتحوّلت صورته إلى جسم شفاف ووقف أمام عيني ووجهي يحاول التأثير عليّ بوسوسته، وأخذت في محاولة لضربه فاستيقظت. اللهم اجعل تعبيره خيرًا.

أيها القارئ الكريم طالع كتب الزيدية فإنك لن تجد بها شرًّا، ولن تجدنا مبتدعين في الدين ما ليس منه، ولن تجدنا نعتقد في القبور، ولن تجدنا نُقرُّ أحدًا على ذلك. وفي المثل العامي: (إذا كان المتكلم مجنونًا فالمستمع بعقله)، وفي المثل العامي أيضا: (ما عمّاله تحب عمّاله)، وفي الحكمة:
وعينُ الرضى عن كل عيب كليلَةٌ ولكنَّ عينَ السخط تُبدي المساويا
ولا أدل على إنصاف الزيدية من أنهم يقبلون أحاديث خصومهم ويعملون
بها حتى ما يروونه عن أشد أعداء علي كرم الله وجهه الذين اتخذوا سبّه بالإلحاد

وَلَعَنَهُ سُنَّةٌ، كَعَمْرٍو، والمغيرة، وُبُسْر بن أرطاة الذي ذبح طفلين فوق المصحف
الكريم^(١) أمام أمهما، وقتل الآلاف من اليمنيين، بل إن الزيدية يرجحون رواية
البخاري ومسلم على غيرهما كما تجده بالنص في باب الترجيح من أصول
الفقهاء^(٢) .

ولا أدل على تعصب خصومهم عليهم، وغلوهم في العداوة والبغضاء،
وعلى عدم المبالاة بتقوى الله فيهم: مِنْ رَفَضِهِمْ لِأَحَادِيثِ الزيدية وكتبهم
مطلقا، والظعن في عدالتهم بالكذب ونحوه، فإن قبلوا شيئا فهو نادر جدا،
وفيما سمع عنه قبل ظهور ولآئه للإمام وإلا رفضوه، بالرغم من أن معاوية كان
يوعز إلى من يسأل عليا فيما اتبهم عليه.

فأين هذا العمل من قول الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا
قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن
يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن
تَلَوْرَأَ أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، وحسبُ

(١) والدم موجود فوّه إلى الآن وهو الآن بمكتبة الوقف وقد أفاد المؤلف حفظه الله أنه كان يدرس فيه .
(٢) قال في كافل لقمان" ويرجح المشهور ومرسل التابعي ومثل البخاري ومسلم على غيرهما"الكاشف
باب الترجيح/ص ٥٠٤ مطبوع بمركز بدر . عند الفقهاء .

المؤمن من التهديد أن يذكر الله بأنه خبير بما يعمل، عليم بما يسر ويعلمن .
وإذا نظرت فيما كتبه العلماء الأفاضل مثل محمد أبو زهرة، ومثل الدكتور
صبحي عن الزيدية، وفيما كتبه عن آرائهم ومعتقداتهم التي أجملها مثل الشيخ
محمد عبده، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ محمد الشعراوي، والدكتور عمارة،
والدكتور طه حسين، وغيرهم، فإنك ستميز بين الأجر والسليم، وعند ذلك
تعرف أن الطاعنين في الزيدية: إما جاهل مغرور، أو عميل ماجور، وما أكثر
هؤلاء في كل مكان وزمان لاسيما إذا مازجهم الحسد، والحقده على من
أكرمهم الله، وأفاض عليهم نعمه: من الشرف والوفاء والسخاء والفضل كما
جاء: ((كل ذي نعمة محسود)).

وكما استطابوا الكذب على الزيدية استطاب المزيد منه آخرون كما
زعموا أن ذرية النبي ﷺ انقطعت، وكما زعموا أن آل سعود الأجداد ليسوا
عرباً، وما ذاك إلا حسدٌ على ما آتاهم الله من فضله؛ ولأنهم جعلوا المملكة
مضاهية لأمريكا في العمران، ولأن أياديهم البيضاء طوقت الكثير من الدول
والأفراد، ومن حقهم أن يُشكروا لا أن يُكفروا؛ فالكذب إذن سلاح الحاسدين
الأندال، ووسيلة الحاقدين الجهال، قال سعود، وآل محمد في غرة الأمة الشاذخة
رغم أنوفهم . وليست الزيدية كما يصورونهم للقارئ، ولكنهم قوم صالحون .

لئن أنت ناصبتَ بدر الدجى ونازعت شمس الضحى أوجَهَا^(١)
لما كنتَ أفضل في حالة من القط^(٢) يوماً ولا أوجَهَا^(٣)
لقد استغل الكفار هؤلَاءِ الخوارجِ السذج الذين جنوا على الإسلام أكبر
جناية، كما استغل الكفار للقضاء على الإسلام طرقات شتى منها إغراء الشباب
بالخمر والجنس، ومما جندوا لذلك فتيات من داخل كل بلد وخارجه من مختلف
الأديان، واستخدموهن للعهر في كل مكان إسلامي نزلوه باسم قنصلية، أو
تجارة، أو سياحة، أو مفوضية؛ فسرى وباء الفاحشتين سريان النار في الهشيم،
وهذه أخطر الطرق؛ إذ التجاوب معها، والميل لما تنزع إليه الغريزة أسرع من
السييل في منحدره.

ومنها إذكاء نار الخلافات المذهبية وغيرها، وممن استخدموه في هذا السبيل
متخرجو دراسات عليا من بلدانهم في مسأئل الخلافات، بثوهم بين المسلمين
باسم أنهم مسلمون فنجحوا كثيرا، ثم أضافوا إليهم تدريس هذه الشبهات في
الكلليات التي أنشأوها فيما بعد في بلدان الإسلام، وصاروا يلقونها في الأفكار
الخالية القابلة بسهولة لكل ما يلقي فيها.

(١) علوها .

(٢) من الكلب : أصله من الكلب إلا أن المؤلف لطفه كما طبعه .

(٣) من الوجه .

ومنها جهود المبشرين بين العوام، وجهود الملحدين، ثم استخدموا هاتين الطائفتين للذين وقعوا في شباكهم وهم كثرة كاثرة.

ومنها العمل على استيلاء مَنْ أفسدوهم على السلطة، وتثبيتهم في المراكز القيادية والحساسة: في الحكومات والأحزاب التي تخدم هدفهم من حيث يدرون ولا يدرون.

ومنها استخدام أهل الغيرة والحمية على الإسلام وإقناعهم بأن واجبهم الخروج والنضال والقتال للولاة الظالمين وأنصارهم الفاسقين وعلى المجتمع الإسلامي الذي أضاع الإسلام بتعاطفه معهم، وهذا في حالٍ ما حقّ يتوصل به إلى سحق الإسلام وأهله.

وهدفُ الكفار من هذا: إيجادُ التناحر بين المسلمين، وضرب بعضهم ببعض، وتمزيقهم بهذا كل ممزق مع كامل اطمئنانهم إلى أن الذين سيخرجون على أهل الجور لن يكتب لهم النجاح بإعادة الأمر إلى نصابه، والإسلام إلى سابق مجده، فقد رصدوا له كل مرصد، وأقاموا تجاههم من الموانع والحوائل التي: منها تجنيد الشباب الفاسد المتجاوب مع شهواته، والعمالة مع الكفار ومع هواه، واستساغته للحياة الماجنة، ونفوره مما يحول بينه وبين ذلك، هذا إلى جانب اطمئنان الكفار بأن الأمة الإسلامية ستكون حينئذ قد تمزقت قواها بالخلافات المذهبية والعنصرية شر ممزق.

ومنها محاربة التقاليد والعادات والأعراف الإسلامية القائمة على العقيدة

والأخلاق المحمودة، وزرع ما يضادها من الأوضاع القائمة على سوء السلوك
والعقيدة والأخلاق الذميمة التي لم يلبث الناس أن صاروا عليها فأصبح المعروف
بينهم منكرا والمنكر معروفا.

ومنها العمل على اختلاط الجنسين، وماذا ينتظر من اختلاطهما يا أيها
المتغابون.

وباستخدام هذه وتلك يكون الإسلام قد كبل بالحديد: من التفريق
والتشكيك والتلحيد، ويكون قد لفظ آخر أنفاسه، ولم يبق إلا اسمه، ومن
القرآن إلا رسمه. اللهم إلا من العوام البُلّه، ومن القلة القليلة العارفين الذين لا
يلتفت إلى نصحهم، ولا سماع لكلمتهم في خضم زاحر بالمغريات والجهل بالله
ودينه، وبغطرسة أهل النفوذ والسيطرة الواقعيين في أسار سكرة الشباب والسلطة
حيناً، والفراغ والجِدّة وخداع الكفار أحياناً.

ومن تتبع ما كتبه غير واحد من الغربيين في مذكرات وغيرها عن الجهود
والخطط التي رسموها للقضاء على الإسلام فإنه لا يشك في شيء مما ذكرت
لك.

الداء الدوي:

دأونا الدوي هو التفرق والتمزق والتوجيه السيء من وسائل الإعلام
والتعليم المقروءة والمنظورة وغيرها، والتربية الفاسدة لأبناء الأمة من أول السُّلْم
إلى نهايته، والعهدّة في تعليم كثير منهم إلى مدارس وجامعات المبطلين.

الدواء النافع:

هو تعاون القادة والمسؤولين مع العلماء المخلصين من كل فرقة إسلامية على القيام بحملة صادقة مخلصمة متواصلة يقوم بها علماء كل فرقة في أتباعهم بشرح الداء المعضل، والدواء الشافي: من تحريم زرع الشحناء والبغضاء وسوء ظن بعض المسلمين ببعض، وتحريم الجدل العقيم، لاسيما بين الجاهلين، وماعدا النقاش المخلص لطلب الحق بين العلماء، على أن لا يحضره جاهل ولا متعلم. وذلك النقاش عندما يجب أحدهم التثبت لدينه فقط. وتعاون أجهزة الإعلام والتعليم جميعها على تحقيق هذا.

ولا سبيل إلى إهراض المسلمين من كبوتهم وإقالتهم من عثرهم غير هذا، لا سبيل إلا بالدعوة الجماعية ترتفع أصوتها من كل دولة إسلامية، وبين أفراد كل أمة إسلامية بإخلاص، لا مجرد شعار وستار خداع فقط. يقولون كما مضى بألستهم ما ليس في قلوبهم، دعوة إلى التحاب والتواد والتعاون والتناصر والتعاضد والتآلف، وتحذير جاد من التعادي والتباغض والتخاذل والتظالم والتناحر، ومن تعميق هذه الموبقات في نفوس العامة والخاصة.

كما يجب مع هذا أن يبينوا للناس أن كل مجتهد في الظنيات مصيب، وأنه يكفي العامي في عقيدته الإيمان الإجمالي لقصوره عما فوق ذلك، وأن الذين يشحنون قلوب العامة والتلاميذ بمعاداة مخالفهم إنما يقومون بما يسخط الله ويغضبه، ويهدمون الإسلام باسم الإسلام أكثر مما يهدمه عملاً والكافرين.

وأنة يجب المبادرة إلى وضع حد لهوان المسلمين وضعفهم وذلمهم بالعمل بما أمرهم الله ورسوله وإوآله، وبالتوبة الصادقة عما نهاهم الله عنه ورسوله، هذا هو البلسم الشافي الملخص في حديث شريف: (لَا يَصْلُحُ أَمْرٌ آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَّحَ بِهِ أَوْلَاهَا).

هل عَزَّ المسلمون بترك التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات، أم ذلوا بعد عزة وصاروا كغثاء السيل؟

هل عَزَّ المسلمون بتمردهم على ما صَلَّحَ به أمر أوليهم؟

هل عَزُّوا بانتشار الخمر والعَهْر والفجور؟

هل عَزُّوا بترك الصلوات الخمس وفطر رمضان؟

هل عَزُّوا بالنظام الرأسمالي أو بالنظام الاشتراكي؟

هل عَزُّوا بتقليد الكفار في أخلاقهم وسلوكهم وعاداتهم وملابسهم

وفسادهم؟، أم ذلوا بعد عِزَّة؟ فكانوا بين الأمم أهون من الجُعَل!!!

هل عَزُّوا باختلاط الجنسين؟ حتى إذا ما ابتهلت فاتنة، وغار شبابها، وشاب

غُرَابُهَا، وتجدد إهابها، وخمدت جذوة التهاجها - انصرفت عنها القلوب،

وازورت العيون إلى ناشئات الحسان؛ فعند ذلك ربما عَرَفَتِ الصواب، وفضيلة

الحجاب، ولات حين مناص.

وربما حملها القمُرُ^(١) والأنفة على التجلد؛ وفي الحلق شحى، وفي العين قذى،
وربما جادت بوصل حيث لا ينفع الوصل؟

هل عزّ المسلمون بتذليل الصعاب بين الجنسين؟! كلا كلا.

وليت شعري كيف خفي على الذكيات منهن أن تجاوب المرأة مع
المشجعين لها على البروز إنما هو تعاون معهم على ما يمليه الهوى عند الجنسين،
ويجافي مصلحتها، فإن مكانة المرأة في نفس الرجل بحسب صَوْنِها لأنوثتها،
وترفعها عن مواقف التهم. أما من ابتذلت كرامتها فلن تعدو في النفس مكانة
حذاء يَحْتال بها جديدةً، فإذا بليت قذفها في الزبالة. إن مكاتبتها العزيزة في أنفـس
الفحول في تَرْفُعِ أنوثتها، فهو عندهم الكل في الكل، لا في ابتذالها.

هل نفع المسلمين أو ينفعهم مثلا اللهو واللعب؟، أو أن اللاعب الفلاني فاز
بجائزة كذا، أو النادي الفلاني فاز على نادي كذا بهدف أو هدفين؟ هذا ضلال
مبين.

هل حَمَى هذا وذاك وذلك أعراضنا أن تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُها؟ هل حمانا ذاك وذا
من أن تَسْفِكَ الكَفْرَةَ دماءنا ودماء أطفالنا ودماء نساءنا بعد العبث بأعراضهن
بمرأى ومسمع من العالم بأسره؟ وهذا لا يحصى.

(١) لغة محلية أي العناد.

يوماً بحَزْوَى و يوماً بِالْعَقِيقِ وَيَوْمًا بِالْعُذَيْبِ وَيَوْمًا بِالْخُلَيْصَاءِ
ويوما بل أياما بصبرا و شتلا وما لا يحصى ولم ينقطع في مختلف الأزمان
والبلدان الإسلامية من مئات السنين.

إن كل هذه السفاسف التي تابعنا فيها الكافرين، أو تتلمذنا فيها للمتعالين
ما زادتنا إلا ضعة وخبالا وهوانا ونكالا مهما طَبَّلَ المطبلون، وزمر لها المزمرون.
ولو أن المسلمين أخذوا الكفر بحذافيره لكانت دنياهم أحسن مما هم فيه،
لكنهم اقتصروا على أخذ الأسوأ من الأعمال والأخلاق والعقائد الكفرية؛
وبذلك خسروا الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِقَائِدِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٥﴾ [الكهف]:
١٥. وكذلك سكان البسيطة لا تقيم لنا وزناً.

ما أجهل الأحلام، وأسقم الأفهام التي تتصور أن تقدّم الغربيين وتفوقهم
نتيجة لخلاعة مجتمعاتهم وتمافتهم في أحوال الرذائل! بل إن هذا سبب لما يعانونه
ويشكونه. أما سبب تفوقهم فهو جد الجادين منهم ومقصود عليهم.

ما أتفه العقول والأحلام، وأسقم المدارك والأفهام التي تربط بين تفوق
الغرب وخلاعة الماجنين فيه، وتحسب هذا سر التقدم والحضارة المادية! فإن
الغرب لم يكتسح الشرق ويخضع أهله بالرقص والغناء والفساد الذي يمارسه فيه

الفاسدون وبالخلاعة والمجون، ولا بكرة الطاولة ولا بأي لعبة من الألعاب التي
سيطر الشغف بها على مشاعر شباب الشرق المقلد للغرب، وإنما تقدم الغربيون
لأنهم اخترعوا مثلاً الطيارة وطاروا، والغواصة وغاصوا، لا لأن الماجنين فيهم
غنوا ورقصوا.

تقدموا لأنهم أنتجوا الأسلحة الفتاكة والدبابة والدكاكة، لا لأنهم لبسوا
الكفرية والبنطلون، ولا لأن المرأة صارت عارية أو كالعارية.
تقدموا لأنهم اكتشفوا الكهرباء و و و و و إلخ.

أما الماجنون فيهم فإنما تأخرت الإنسانية بهم، وسببوا لها مشاكل يذوقون
منها الأمرين.

لم يُنصَرُوا في حروبهم بالفسق والمجون، بل بالسلاح والجدِّ، ولم يتحضروا
بما يقلدهم فيه حمقاء الشرق، بل بالعلوم الدنيوية والجد والعمل.

إنه لا أتفه من الذين يربطون بين المجون والحضارة، ولا أحقق منهم إلا
الذين يصدقونهم ويعتبرون قولهم قضية مسلمة؛ إنهم حقيقةً في الفهم دون
الأنعام، فلو عقلت البهائم فإنها لا تربط المسببات إلا بأسبابها، ولأنفت أن يظن
بها أحد أنها ترى الحضارة مسببةً عن فسق الفاسقين وخلاعات التافهين، فمن
ظن أو ربط مثل هذا الربط فقد بلغ غباؤه الغاية التي ذكرها الله بقوله: ﴿إِنَّ

هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۗ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]. فهم بذلك دون الأنعام، بلا
كلام، وأكبر ظني أن أكثر هؤلاء متجاهلون لا جاهلون، وإنما يقولون: ذا؛

ليبرروا إشباع شهواتهم، وإرضاء نزواتهم، وأذكرهم بعاقبة النهم والشره في قول
أبي نواس:

ولقد نَهَزْتُ مع الغواة بدلوهم وَأَسَمْتُ سرح اللهو حيث أساموا
وبلغتُ ما بلغَ امرؤُ بشبابه فإذا عصارة كل ذلك أثم

قدسية الإيمان

عَلِمِي بِرَبِّي شَامِخُ الْأَرْكَانِ بِالْعَقْلِ أَشْهَدُهُ^(١) وَبِالْقُرْآنِ
مَا مَرَّ بِي جَهْلٌ بِرَبِّي لِحِظَةٍ وَأَحَاطَ جَهْلِي بِي جَمِيعَ زَمَانِي
لَمْ أَدْرِ مَا أَنَا؟ هَلْ أَنَا أَنَا؟ أَيْ أَنَا، أَلْ مُتَحَيِّزُ الْمَحْكُومِ بِالْحَدَثَانِ^(٢)
أَنَا جُزْءٌ أَوْ كُلٌّ أَمْ حَسُوسٌ فَحَا سَبُّ أَمِ الْمُشَاهِدِ لَيْسَ غَيْرَ مَكَانِي
هَلْ مَا تَبَخَّرَ أَوْ تَجَدَّدَ مِنْ وُجُو دِي أَوْ تَبَقَّى كُلُّهُ جُثْمَانِي^(٣)
هَلْ حَدِّي^(٤) الْجَمَاعُ وَالْمَنَاعُ فِي دُنْيَايَ حَدِّي فِي الثَّرَى أَمْ ثَانِي
أَنَا هَيْكَلِي أَمْ رُوحِي أَمْ نَفْسِي أَمْ الـ إِذْرَاكُ أَمْ مَجْمُوعُهَا إِنْسَانِي
إِنْ قُلْتُ مَجْمُوعِي أَقْلُ أَفْمِي ذَا فِي لِحْدِهِ سَيُجِيبُ بِالْإِيمَانِ^(٥)
أَلْكُلَّهَا حَشْرٌ وَلِلْكَوَلِّ الْجَزَا رَبُّ أَهْدِ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ جَنَانِي
هَلْ يَقْبَلُ الْعَقْلُ اعْتِبَارِي جُثِّي كَمَشِيْمَةٍ أَمْ ذَا مِنْ الْهَذْيَانِ

(١) لا يخفى مواترة " أشهده " على " أعلمه " . لقد مرت بي في حياتي لحظات قصيرة يتجلى فيها يقيني بالله سبحانه، وهو أقوى من يقيني بسائر المحسوسات، ومن يقيني بنفسي، ولهذا عبرت بأشهده؛ لأنها أدل على اليقين دائم الثبوت أيضاً من كلمة أعلمه .

(٢) بكسر الحاء، نواتب الدهر .

(٣) في القلائد للمهدي: ودامغ الأوهام .

(٤) حد كل شيء: الجامع لأفراده المانع من دخول غيره فيه .

(٥) إذا سئلت في قبري : من ربي؟ فهل سأجيب بغمي كما أتكلم به في الحياة؟

وَتَفَكَّرِي فِي الرُّوحِ أَوْ فِي النَّفْسِ لَا
فَالرُّوحُ مَا هِيَ وَالْحَيَاةُ أَهْيَ أَنَا
أَخَزَاتْنُ الْمَعْلُومِ جِسْمِي أَمْ سِوَا
مَا حَجْمُ ذَا أَمْ أَيْنَ ذَا أَمْ كَيْفَ ذَا
مَا كُنْهُ ذَا مَا كُنْهُ مَا كَمُّهُ
عَجَبًا أَجْهَلُ مَا أَنَا وَأَنَا الَّذِي
أَلَّهُ أَشْهَدُهُ وَأَشْهَدُ غَيْرَهُ
حَبَبَ الْإِلَهِ حَقِيقَتِي عَنِّي وَعَنْ
جَهَلْتِ جَمِيعُ الْكَائِنَاتِ حَقِيقَتِي
مَا كَانَ أَوْ سَيَكُونُ ذُو عِلْمٍ بِهَا
إِنْ شَاءَ أَطْلَعُ مَنْ يَشَاءُ أَوْ لَمْ يَشَأْ
لَمْ يُعْنِ مَا قَالُوهُ فِي الْغَايَاتِ شَيْءٍ
فَهُوَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الدِّ

يُفْضِي إِلَى شَيْءٍ سِوَى الْمِيلَانِ
يَاللُّغْمُوضِ وَيَا لَعَجْزِ بَيَانِي
هُ وَأَيْنَ تُصْبِحُ بَعْدَ مَوْتِ عَيَانِي
أَعْظَمَ بِيَجْهَلِي مَا حَوَتْ أَرْدَانِي
مَا كَيْفَهُ هَذَا الْعُمُوضُ كَيْانِي
بِاللَّهِ بِالرَّحْمَنِ ذُو الْعِرْفَانِ
غَيْرِي وَغَيْرِ حَقِيقَةِ الْحَيَوَانِ^(١)
كُلُّ الْبَرَائِيَا إِنْسِيهَا وَالْجَانِ
لَا عِلْمَ إِلَّا لِلْعَلِيمِ الْبَانِي
الْعِلْمُ مَقْصُورٌ عَلَى الدِّيَانِ
فَهُوَ الْمُحَالُ مُجَاوِزُ الْإِمْكَانِ
نَا غَيْرَ قَوْلِ الْبَعْضِ جِسْمُ فَانِي
آيَاتٍ فِي التَّنْزِيلِ وَالتَّبْيَانِ

(١) العيان: الجسم ، وقد تساءلتُ في البيت: أين معارفنا مخزونة الآن؟ فإن كان المحسوس منا هو خزائنا، فأين تغدو إذا صار المحسوس منا رميمًا؟ ولو محا الله معارفنا من أذهاننا لكان كل شيء بالنسبة لنا عدمًا محضًا لا وجود له: لا ذهني، ولا خارجي، ولا كلامي، بل ستندعم الثلاثة الوحودات. ومن تأمل في رجوع طرفه وقلبه خاسئًا وهو حسير، فسبحان العليم القدير. أما بعد البعث فإنها ستعود على صورة لا يتطرق إليها النسيان، فسبحان الله العظيم وبحمده!

وَالظَّنُّ مَدْلُولُ الظَّوَاهِرِ لَا سِوَى
وَأَمِيطُ الْقَطْعِي كَالْوَجْدَانِ^(١)
فَرَعُونَ يُعْرَضُ فِي الدَّوَامِ عَلَى لَظِي^(٢)
أَرْمِيْمُهُ أَمْ رُوْحُهُ أَمْ ذَانِ
وَأَخُو النَّمِيْمَةِ فِي الْعَذَابِ وَهَلْ فَمِي
هَذَا الْمُجِيبُ: اللَّهُ يَا مَلَكَانَ^(٣)
مَجْدُ لِعِزَّةِ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ
عِلْمُ الْغُيُوبِ وَعِلْمُ هَذَا الشَّانِ
ثم ثبت عنان النظر والتفكير نحو الأهم، فقلت:

مَا لِي وَمَاهِيَّتِي أَنَا الْعَمَلُ الَّذِي
آتِي بِهِ فِي الْحَشْرِ لِلْمِيزَانِ
أَنَا مَنْ تُوعِدُ إِنْ عَصَى بِلَظِي
رَبِّي بَرَاهُ لِدَائِمِ الْإِحْسَانِ

(١) لا يخفى مؤثرة، أشهده على أعلمه، وهو تنزيل العلم الاستدلالي منزلة المعلوم بالبصر. وهو أحد

اليقينات الست، أي كالعلم الوجداني .

(٢) إشارة إلى آية ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر: ٤٦].

(٣) إشارة إلى حديث أنه مر بقيرين يعذبان ، وحديث منكر ونكير ، وكان لسؤالهما من ربك؟

حياة البرزخ

لموتُ طَفَّلٍ^(١) والحياةُ ببرزخِ
مهما يكنُ فالمرءُ حسَّاسٌ
وتساؤلي هل يعلمون بحالنا
أبروننا لكنهم لا يملكو
أيسرُهم ما سرَّنا ويسؤُّهم
لكننا لظلام أنفسنا توا
منا عَشٍ عَنْهُمْ وَاخِرُ مُبْصِرٍ
منهم نيامٌ كالعروس
أما الشهيدُ فلا تسَلَّ عَنْ حَالِ مَنْ

تطوى على ما ليس في الحسبانِ
أضحى رهينَ اللحدِ والأكفانِ
وتعاورُ الأفراح والأحزانِ
نَ القولَ أم في عالم النسيانِ^(٢)
ما ساءَ إن صحَّ الحديثُ شفاني^(٣)
روا عن مداركنا توارى الجانِ
بتقاهُ والجمهورُ كالعُميانِ
للظَى ونظَّارُ لروض جناني
تَبَّتْ لَهُ عِنْدِيَّةُ الرَّحْمَنِ^(٤)

(١) أُقْبِل .

(٢) ليس من الإضمار قبل الذكر ، فالمرء في البيت السابق مرجعه ، وهو جنس عموم .

(٣) أم نحن في عالم المنسيين عندهم .

(٤) في الموضوع أحاديث جمّة ، تبدو كالمعارضة ، ومع ذلك هي ظنية فقط مهما صحت .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ..

الحشر والبعث

وعلمتُ أيّ سوف أُنشَرُ ثانيًا
جسمي وما يحويه أشهدُ أنّ لي
جسدي وما فيه لأشهدُ أنه
من مدّني بالسمع والإبصار مَنْ
من صاغ مِنْ عَدَمٍ وجودي قادرٌ
مَنْ صَاغَ مِنْ عَدَمٍ كياني أوّلاً
ما خَلَقْنَا إِلَّا كُنُفْسٍ كُنَّا
عِلْمَ اليقين ومنتهى الإيقان
حشرًا بنص^(١) العقل والقرآن
سيعيده مَنْ زَانِنِي بِنَانِي
بالعقل كَرَّمَنِي وَنُطِقَ لِسَانِي
أَنْ يَجْمَعَ الْأَنْقَاضَ لِلْبِنَانِ
أَهْوَنُ بِشَأْنِ إِعَادَةِ الْجَثْمَانِ
فَإِذَا أَرَادَ أَعَادَنَا^(٢) بثواني

(١) استعارة تبعية.

(٢) الدقيقة ستون ثانية ، وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ
وَاحِدَةٍ﴾ [نعمان: ٢٨].

الإرادة الإلهية^(١)

بل لا ثواني فالمراد هو الإِرا
فالله فردٌ لا يحِلُّ ولا يُحَا
كم آية فينا تشامخ فهمها
ما أتقن الملكوت جلَّ حكيمة ال
جلَّ الذي من محض عُدْمِ جاء بي
وكما يشا ومتى يشا الخلاق من
سيعيد تركيبي كما قد كان لل
دع عنك زعمَ تقادُمِ الذرات أو
من لوثة الهذيان زعمَ تقادُمِ ال

دَّةُ إنْ هُدَيْتُ لما إليه هَدَانِي
لَّ ولا يُجَزَّأُ ذِي شُؤْنُ الْفَانِي
عن فَهْمِ بُقْرَاطٍ وعن لِقْمَانِ
صمْدُ الْبَدِيعِ مُفَنِّنُ الْأَفْنَانِ
وبقدرة صِفَةِ الْوَجُودِ كَسَانِي
منْ سَابِقِ الْعُدْمِ الْقَدِيمِ بَرَانِي
أَحْرَى^(٢) به وشهادة الإمكان
قَدَمَ الثَّبُوتِ فذا من الهذيان
ذَرَاتٍ لَا التَّرْكِيبِ^(٣) ذِي لِحْدَثَانِ^(٤)

(١) الإرادة الإلهية استطراد في بيتين، ثم عاد الكلام في الحشر، فالعنوان خاص بالبيت الذي يليه فقط لأهميتها.

(٢) الإعادة أولى، والأولى هو الأرجح ، والاستقراء قضى أن الله لا يفعل مرجوحا ويدع الراجح، والثاني شهادة إمكانه ويسره على الله وكلاهما يوصل إلى اليقين.

(٣) لا خلاف في حدوث التركيب ، أما أجزاء المركبات فالدهرية زعموا قدمها وتسليمهم بحدوث التركيب مناقض للزعم تماما ، أما قدم الثبوت فيعض المسلمين قال به ليصح تعلق العلم بالمعلوم وفرارا من نفي العلم الأزلي ، وكلاهما لا يلزم البتة عند التأمل انتهى.

(٤) بكسر الحاء ، مصدر كالحدث.

هذا التناقض^(١) لا سبيلَ لدفعه
لم يَعُدْ ذاك وذا العنادَ أو القصو
ومِنَ المقرَّرِ في العقولِ وفي الأصو
فهو الذي^(٢) وجب الوجود لذاته
ودليلنا^(٣) العقليُّ أَحْجَمَ كُلَّ كَفِّ
لولا قضى بمعادنا ما كان تكليد
ما لللمات بُرِيَتْ كَلًّا. لا ولا
اللَّهُ من عَدَمِ بَرَأْنَا ثم في الـ
ما آدَ رَبِّي بَدُوْنَا ومعادُنَا
ما شَدَّ شَيْءٌ مَّا عن الإِحْكَامِ في

أبدا لدى الدَّرَاكَةِ الفَهْمَانِ^(٤)
رَ أَوِ الإِبَا رَغْمًا لِكُلِّ بِيَانِ^(٥)
لِ حَدُوثِ غَيْرِ الخَالِقِ الدِّيَانِ
أَزْلًا وَعَزَّ وَجَلَّ عن إمكانِ^(٦)
سارِ دليلِ الكونِ والأَكْوَانِ
فَ ولا كُنَا ولا الكونانِ
لقصير عيش شَابَهُ الضُّدَّانِ
أَطْوَارِ سَيَّرْنَا الحَكِيمِ الباني
لكماننا التطويرُ لا النقصانِ
ملكوتك اللهم والإِتْقَانِ

(١) أن الثبوت غير الوجود.

(٢) سيأتي توضيحه. وهذا البيت يشير إلى أن الثبوت غير الوجود.

(٣) يشير إلى الخلاف مع الدهرية.

(٤) تعريف الطرفين إحدى طرق القصر المشهورة.

(٥) الله من الممكنات ؛ لأنه واجب الوجود ، لا يخرج عن ذاته ، أما المخلوقات فهي ممكنة جائزة الوجود.

(٦) هو المسمى دليل الدعاوى ، صاغه أبو الهذيل رحمه الله ، وهو أقوى حجة تفحم الملحدين ، حيث إنهم لا يحجون بالمنزل إلا بعد حجهم بالعقل .

مَا ذَرَّةٌ كَوَّنتَهَا عَبَثًا وَلَا
وَمِنَ الْمُحَالِ وَجُودٌ مَخْلُوقٌ خَلَا
الجد والإحكام والإحسان من
وخلودنا في فضله ونعيمه
ودوامه^(١) الأوّلى فَمَنْ غَيْرُ مِم
ومفاد آيات الخلود وإنما
ومدللًا أن المعاد ضرورة
وحياتنا فيها التّظالم فالمعا
وفناؤنا بالفعل قبل خلودنا
فوجودنا وفناؤنا ومعادنا
وأصولنا حكمت بأن فعّاله
تلك الأدلة آية أو حكمّة

لعبًا ولا لهوًا خُذُوا برهاني^(١)
عَنْ حِكْمَةٍ بَهَرَتْ وَعُظْمِ الشَّانِ
طَبَعَ الوجودِ وطابع الأكوان
أولى ببرهانيين^(١) لا برهانيان
نون مفاد الوصف بالمتّان
بيّنت حكم العقل للحيران
لرجوحه وزيادة اطمئنان
د ضرورة للعدل والإحسان
أولى من الإبقاء في الإمكان^(٤)
فخلودنا في غاية الإتقان
لن تعدّو الموصوف بالرجحان
يمينة الإيمان وهو يماني

(١) النظر في هذا الدليل وحده فيه الكفاية لمريد الهداية ، وفي كل شيء له دليل .

(٢) هما وعد الله به، ومنه ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [سورة ص: ٥٤]. والثاني أرجحيته على انقطاعه، والله سبحانه وتعالى لا يفعل إلا الأرجح. القرآن قال: ﴿خالدين﴾، والواقع أننا خالدون في الآخرة.

(٣) أي الإحسان.

(٤) القدرة بالفعل وظهور المقدور أولى من بقائه في الكمون ، ولو خلقنا وخذلنا بدون إفناء قبله ، لظلت القدرة على الإفناء كامنة .

فإلى الخلود وأرتجي من فضل رب
ومن العذاب ببرزخي والخوف عند
يا من ذخرتَ أجل رحمتك التي
خلاقَ رحمة كل أم أو أب
في الصقر يغدو ساغبا من وكره
رُحْمَاكَ بي يا خالقي رحماك بي
عملي يجرّعني المخافة والأسا
طوبى لمن فازوا بحسن خواتم
ويل لمن فتنتهم الدنيا بزح
هل عنه أَعْنَتْ أَلْفُ عامٍ قد مضت
إِيَّايَ بَلْ إِيَّاكَ بَلْ إِيَّايَ قد
سي أن ينجيني من النيران
مد النَّفْخِ في صُوري وفي ميزاني^(١)
وأجل غفرانٍ ليومٍ الثاني
في الوحش والحيتان والثعبان
بعزيمة التموين للفرخان
يا رازقي رحماك يا دِيَّاني
أملني بعفوك لا سواه أمان
ويل لمن ولّى صريعَ أمان^(٢)
رُفْهَا وِغْرَهُمُ القليلُ الفاني
ألفٌ مضى أو لحظة^(٣) سِيَّانِ
حذرُته فليحذر الإثنان

(١) جمع صورة كدور، ومرادي صورتي، أي في أجزائها، ومن ميزاني عطف على النيران، أي عاقبته من مجاز الحذف.

(٢) جمع أمنية أو من باب ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ، وتنوين (خواتم) للسلاسة ، مثل ﴿سلاسل﴾ في سورة الدهر .

(٣) أي : مضت ، أو أي لحظة مضت .

(٤) كررت ضميري لأي أحوج إلى الموعظة .

وصية ونصيحة

أوصيك بالإخلاص عند البحث عن حَقُّ وبالتقوى عن البهتان
وعن اتباع هواك والتقليد أي لَأَ كَانَ لِلْقَاصِمِينَ أَوْ لِلدَانِي
وعن العداية لما جهلت والانخدا عِ بِشُهْرَةٍ لِفُلَانٍ أَوْ لِفُلَانٍ
وانظر لما قالوه لا تنظر لمن قَالُوا وَحَاذِرُ فِتْنَةِ الْفِتَانِ

الثقلان

ياحائرُ استمسكْ بجبلِ الله إن خِفْتَ الْوَقُوعَ غَدًا بِدَارِ هَوَانِ
لا تعدُّ عن نهج الكتاب ونهج آ لِ مُحَمَّدٍ إِنَّ الْهُدَى الثَّقَلَانِ
من مثل باقرهم وصادقهم وكا ظَمِيهِمْ وَكَالسَّجَادِ وَالْإِيرَانِي
من مثل زيدٍ يا ثرى والناصرال أَطْرُوشِ أَوْ كَالْقَاسِمِ الرَّبَّانِي
ما غاربُ إلا وأخرُ طالعُ بِالسُّنَّةِ الْعَرَبِ وَالْقُرْآنِ
مرضاة ربك في لزومهما وإن شَنَّ الْقُلَاةُ عَلَيْكَ حَرْبَ عَوَانِ
إن الكتاب وإن آل محمد يَا عَابِرَ الدُّنْيَا سَبِيلُ أَمَانِ
إياك تقدم أو تأخر عنهما وَاعْلَمْ بِأَنَّ هَلَاكَكَ الطَّرْفَانِ
انظر بإنصاف إلى أنظارهم وَالنِّصِّ وَالتَّوَيْلِ بِالْإِمْعَانِ
في العدل والتوحيد تعلم أنهم أَهْلُ الْهُدَى وَالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

قل لا غضاضةً في الرجوع إلى الصوا
هم بابُ حِطَّةٍ والسفينةُ والأما
هم حجةُ الله التي قرنَ الكتا
فعليك بالثقلين تَنْجُ لا تُبْلُ
وعليُّ الكرَّارُ والحسنان والـ
وبنو علي هم وشيعتهم تَرَا
تلك السفينةُ في حِضْمٍ هَاتِحِ
وحذارٍ من تأويلٍ أو تحريفٍ
جعلوا الحقائقَ والهدى تبعَ
لأخو النبي ودأده وولآؤه
لَهُوَ الأَحَبُّ إلى النبي وربِّه

ب عن الخطا ومزالتق الشيطان
ن وهم أدلُّنا إلى الرضوان
بُ بهم بلا ريبٍ مدى الأزمان
إن أنكر الملوآن والثقلان
جهادي^(٣) جُمانُ العِقْدِ أيُّ جُمان
جمَّةُ البلاغِ^(٤) وشوكةُ الميزان
فاركب معي إركب مع الربَّاني
ترويرِ قالِ آلَهُ أيُّ شاني
ويلُ لهم ويلُ لهم ويلان
عَلَمُ النجاةِ علامةُ الإيمان
ما دار إلا دار بالفرقان

(١) رضوان الله أو رضوان الجنة خازنها .

(٢) الأول غير الثاني وكلاهما معلوم . والملوان: الليل والنهار.

(٣) هو إمام الأئمة الأعظم يحيى بن الحسين بن القاسم عليه وعليهم السلام.

(٤) البلاغ من أسماء القرآن الكريم.

(٥) الخبير بخوض البحار عبر الأمواج الهائلة ، بضم الراء رئيس الملاحين ، بنون أو مع ياء مشددة

عندها .

فمن ادعى حبّ الوصي
ضدان ما اجتماعاً ومن زعم
ومال من عاداه قعر جهنم
كم حجّه متواترٌ وصحيحٌ آ
فأبي قبول الحق ثابٍ عطفه
ووسيلتي يا رب حُبُّ محبّهم
حي لشيعته وبغضُ عدائهم
أعداءه فهو الجهولُ الماني
عهما أسيرٌ وساوسِ الولّهانِ
إن لم يتب عن زلة الشنتانِ
حادٍ وآياتٍ من القرآنِ
أوما يخاف الله هذا الثاني
والبغضُ للقالين كلّ أوانِ
زادي لنيل العفو والرضوانِ

العدل والتوحيد، أو الجبر والتشبيه، والمجاز إلى المفاز

في الخلق كُنْ مُتَّفَكِّرًا تُبْصِرُ وَمَنْ
قَدَّسَهُ عَنِ جَبْرٍ وَعَنْ جِسْمٍ وَعَنْ
دَعَّ عَنْكَ رَأْيِي فُلِّيْ وَزَعَمَ فُلِّيْ^(١) أَفِقُ
لا تنخدع بالاشتهار وشبهة
لا تسلبن الذكر أجملاً حلة
صفه بما وصف الكتاب وما عني
وانعته نعتهم ما المطابق للحقيـ
واحذر تبالداً أو تعصب ضالع
صفه بما وصفاه منه حقيقة
ألحق فيما قلته لك واحداً
لا يفتننك بالخطابة قائل
ذا القول تشويه خطابي لتـ
فهمي سيقدر قدره فهامة

في الله فكَرَّ صَارَ فِي الْعَمِيَانِ
فَعَلَّ الْقَبِيحَ وَسَاءَتِ النِّقْصَانِ
فَالْحَقُّ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْإِمْعَانِ
صِيغَتْ بِزَخْرَفَةٍ وَسِحْرِ بِيَانِ
مِمَّا بِهِ فَضَّلَ الْجَهُولَ الْفَانِي
وَصَحِيحُ أَخْبَارٍ مِنَ الْحُدُثَانِ
قِيقَةً فِي مَقَامٍ أَوْ مَجَازٍ مَعَانِي
وَتَنَكَّرًا لِنَهَاكِ وَالتَّبْيَانِ
وَكَنْيَاةً وَكَذَا مَجَازٍ مَبَانِي
مِنْ زَاغٍ عَنْهُ بَاءً بِالْخُسْرَانِ
ذَا يَقْتَضِي التَّلْبِيسَ فِي الْقُرْآنِ
فِرَّ عَنِ جَلِيِّ الْحَقِّ فِي الْمِيزَانِ
عِلَامَةً مَتَّوْفِرٌ الْإِمْعَانِ

(١) أصله: فلان فحذفت النون للعلم بها ولاستقامة الوزن.

متوفّرُ الإخلاص في طلب الهدى
أمثالُ نعمانِ بنِ قائدِ بنِ را
في فضله والنبل والتحقيق من
لا تصرفنك عِزَّةً بالإثم عن
في الحق عِزُّكَ والتعصبُ ذلَّةً
ماذا سيغني عنك من قلدت أو
ما خلَّةُ إلا تعود عداوةً
والبغضُ مثلُ الحبِّ كم أعمى وكم
يا ويلَ مَنْ صدفوا وَمَنْ صدوا عن ال
الجهلُ ليس بعاذر أحدًا غدًا
في مثلهم قال النبي لأقتلنَّ
لم يُعْنِهمُ طَلَبُ لِحَقِّ أخطأو
النار تنتظر اللدودَ ومالكُ
لا ينحني للكبر والشنان
جح^(١) سالذي لم يختلف إثنان
حَلِّي ابن يعقوبٍ إلى بَعْدَانَ
حق أتاك بنيّ البرهان
في الدين والدنيا وثوبُ هوان
أيّدت أو عظّمت بالبطلان
إن لم تكن بالحق يوم رهان
باع النجاة بأبخس الأثمان
مُثْلِي وَسَلُّوا صارمَ العدوان
في مثل ذا يا معشر الخُلان
هُمُو كَقَتْلِ ثمودَ يا ثَقْلان^(٢)
ه فهل أمّنت مكائدَ الشيطان
في الإنتظار وسائرُ الخُزّان

(١) كان زميل المؤلف في مجلس الشعب، كان فقيهاً علامة عرفه في ذمار؛ إذ كان رهينة لأبيه من

بيت الوجيه من بعدان.

(٢) مناسبة نداء الثقليين هنا وهما الإنس والجن، أن الحكم هذا مما تعم به البلوى علما وليس مجرد

تفجيل، وفي الآتي يعمهم المقول.

ونعيم جنات الخلود مهياً
والشاكرون من العباد أقلهم
أو أن تغرك كثرة مفتونة
يوم التبري يوم يلعن بعضهم
رضوان ينتظر الجميع بجنة
هذي النصيحة تحفة يمنية
إن الصراط عقيب هول عمره
لولا بأن الموت مات لما احتمل
أو قبله يا هول ماذا قبله
أو بعده أعظم بأمر بعده
فانظر لنفسك ما يحوطك من ردى
أنظر لنفسك وأسع في تخلصها
تُب واجتنب ما عشت كل محرم

لك في قصور الحور والغلمان
إياك تجهل قلة الشكران^(١)
أكثر بمفتون وكم فتان
بعضاً وتعظم حسرة الندمان
مع قاصرات الطرف والولدان
قدسية الإيمان وهو يماني
خمسون ما الخمسون^(٢) يا ثقلان
ت دقيقة منها لدى الميزان
سيكون من جزع الأثيم الجاني
خلد النعيم أو الحميم الآني^(٣)
تلك المواقف واجتهد في الآن
من كل شر قبل فوت أواني
تُب واجتهد في طاعة الرحمن

(١) ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦] ، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبا: ١٣] .

(٢) ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [العارج: ٤] .

(٣) شديد الحرارة والغليان .

وَأَنْعَمَ بِمَا فِيهِ الْهَدَاةُ مِنَ النِّعَمِ مِ الْآنَ مَا لِنَعِيمِهِمْ مِنْ ثَانِي
قَسَمًا بِرَبِّكَ لَوْ تَذَوَّقُ سَعَادَةً فِيهَا يَعِيشُ الْعَابِدُ الرَّبَّانِي
قَسَمًا بِرَبِّكَ إِنْ لَذَّةَ طَاعَةٍ لَتَفُوقُ لَذَاتِ الْخَطَامِ الْفَانِي
مَا الْمَالُ مَا الْأَبْنَاءُ مَا جَاءَ وَمَا مُلْكٌ وَكَأْسٌ وَاحْتِضَانُ غَوَانِي

دعاء الختام

يا صانع الأكوانِ إذْ لا جُزءَ لا
إذْ لا هِيولَى مطلقاً أو صورةً
لا طَبَعٍ فالطَّبوعُ يأتي أوْلاً
إذْ لَيْسَ يُعقلُ قَطُّ مَطْبُوعٌ بِلاَ
فَلِذا اسْتَحالَ وجودُ طَبَعٍ قَبْلَ مَطْ
يا مَنْ ذَخَرْتَ أَجَلَ رَحْمَتِكَ الَّتِي^(٣)
خالِقَ رَحْمَةً كُلُّ أُمٍّ أوْ أبٍ
في الصَّقْرِ يَعْذُو ساعِياً مِنْ وَكَرِه
جِهَةً ولا زَمَنٌ مِنَ الأزمانِ
أو سالبٌ أو موجبٌ وُحداني^(١)
فيما ترى والطبعُ يأتي الثاني^(٢)
طَبَعٍ وَلا طَبَعٌ بغيرِ مَكَانِ
بُوعٍ وَهَذا المُنتَهَى لبياني
وأَجَلَ غُفْرانِ لِيومِي الثَّانِي^(٤)
في الوَحْشِ وَالْحِيتانِ وَالثُّعْبانِ
بِعزيمَةِ التَّموِينِ لِلْفُرْخانِ

(١) هو الواحد بمعنى المنفرد لا سواه ، لا أول مراتب العدد .

(٢) يقال للذين يسندون الخلق إلى الطبيعة : أين كانت الطبيعة قبل وجود المطبوعات عليها؟ الجواب : لا وجود لها ولا مكان ، وإنما توجد بعد وجود المطبوعات عليها .

فنقول لهم : فكيف تسندون المخلوقات إليها وهي لم توجد إلا بعد وجود المطبوعات .
وإذا قلنا لهم : هل للطبيعة قدرة وعلم وإرادة ؟ قالوا : لا . فنقول : فكيف جاز إسناد المحكمات
المنظمات غاية الأحكام إلى ما لا يفهم ولا يعلم ولا يريد .

فإن قالوا : بل تعلم وتريد وتقدر ، قلنا : هذا هو الله ولا يصح الإسناد إلا إليه سبحانه .

(٣) تشير إلى الآية : ﴿ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .

(٤) أو الدان .

رُحْمَاكَ بِي يَا خَالِقِي رُحْمَاكَ بِي
غُفْرَانِكَ اللَّهُمَّ لِي وَلِوَالِدَيَّ
فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْ وَسَامِحْ أَنْتَ ذُو الْ
وَصَلَاتِكَ اللَّهُمَّ وَالتَّسْلِيمِ يَغْ
وَمَشَاتِحِي وَأُصُولِنَا وَفُرُوعِنَا
يَا رَازِقِي رُحْمَاكَ يَا دَيَّانِي
وَمَنْ أَحَبُّ فَأَنْتَ ذُو الْغُفْرَانِ
فَضْلِ الْعَظِيمِ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ
شَيْ الْمُصْطَفَى وَالْآلِ كُلِّ أَوْانِ
وَالأَصْدِقَاءِ وَسَائِرِ الْإِخْوَانِ

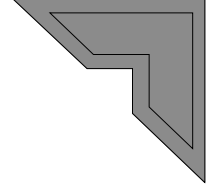
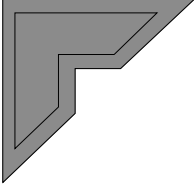
محمد بن محمد بن إسماعيل مطهر المنصور ، غفر الله لهم آمين ،

ذو الحجة الحرام سنة ١٣٩٩ هـ على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام

والحمد لله رب العالمين ، آمين

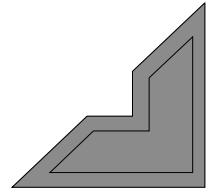
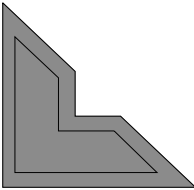
برق يمان على قدسيّة الإيمان وهو يمانى .
تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَحَطُورِي الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي - صنعاء .

www.almahatwary.org



نظرات

حواء منظومة برق يمانى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلّى اللهم وسلم على عبدك محمد سيد العالمين
وآله، اللهم وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وثبتنا عليه حتى نلقاك، وأرنا الباطل
باطلاً واصرفه عنا تفضلاً منك ومنّا يا أرحم الراحمين، وبعد:-

فهذه نظرات ضيقة النطاق، واسعة الآفاق، تلقي شيئاً من الضياء على
بعض ما اشتملت عليه المنظومة التي خطر ببالي في هذه اللحظة أن أجعل لها اسماً
يدل عليها، وأن يكون الاسم: **(برق يمان)** لتسهيل الإشارة إليها كلما لزم
كتابةً، أو نطقاً لمن لا يعرفها.

فالنظرات الآتية كمزيد من البيان ربما يحتاجه بعض القراء للمنظومة، أما
البعض الآخر فلا؛ لعدم التعقيد فيها؛ ولأن المباحث قد درسها في كتب
الأصول. وسأرتبها بحسب الأهمية: فالأول ما يتعلق بالله سبحانه الذي لم يخلقنا
إلا لنعرفه معرفةً صحيحةً، ثم ما يتعلق بالفقراء إليه وإلى رحمته وإحسانه وتوفيقه
وغفرانه.

النظرة الأولى

نظرة حول البيت:

فِي الْخَلْقِ كُنْ مُتَفَكِّرًا تُبْصِرُ وَمَنْ فِي اللَّهِ فَكَّرَ صَارَ فِي الْعُمَيَانَ
...والذي يليه

أجمعت الأمم المسلمة الحمدية وما قبلها من المسلمين على كفر المشبهين لله
بخلقه والمجسمين لذاته، الذين يصورونه ويتصورونه بصورة مآ، وما شذ عن
الإجماع أحدٌ إلا بعد انعقاده، أو بعض من ثبتوا على كفرهم، ولم يستجيبوا
لأنبيائهم، واستحكمت فيهم شبهة إبليس الذي أقسم فيما حكى الله عنه،
مخاطبًا لله سبحانه بقوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٧﴾ إِلَّا عِبَادَكَ
مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٧٢]، وفي قوله: ﴿لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧].

لقد مهد الله صراطه المستقيم، وعبّده لنا، وجعله واسعًا واضحًا مستقيمًا
تسير فيه البرايا من الثقلين الإنس والجن من بدايته. وبدايته حيث يبتدىء
التكليف إلى حيث ينتهي بأبواب الجنة الثمانية، شاقًا لحياة البرزخ، ثم لأرض
الحشر، ثم يمتد شامخًا فوق جهنم مسافة هائلة قُدِّرَتْ بمئات السنين إلى حيث
انتهى بأبواب جنات الخلود التي يتدفق منها أهلها إلى دار النعيم.

ولكي يتم الامتحان للبرايا بالتكليف كان لا بد أن يمكن الله إبليس

وجنوده من أن يُعبدوا مئات الطرقات المتفرعة عن صراط الله، فعبدوها، وزخرفوها، وزينوها للناس، وانتصب إبليس وأجناده على فتحاتها يدعون السّاثرين في صراط الله إليها، وحيث إنهما لا تنتهي بمن يسير فيها إلا إلى الجحيم؛ فإن الله نصب على جوانب هذه البُنَيّات المتفرعة علامات الخطر، فلا يلتفت السّاثر فيها يمينًا ولا شمالًا إلا نظر إشارة الخطر تحذره وتذره وتدعوه إلى الرجوع من حيث أتى، لا تنقطع هذه الإشارات اللامعة إلا عند آخر خطوة يخطوها سالك هذه البُنَيّات الخادعة بزخرفها وعاجل لذاتها، وحيث يفاجأ بترديه إلى النار ويئس القرار.

ومن ضمن هذه البنيات طريق الجبر، وطريق التجسيم، وطريق المعادة لأولياء الله وحزبه، وطريق الموالاتة لأعداء الله وأحزاب الشيطان، وطريق التكبير والعدا، وطريق الجهالة فيما يجب على المكلف الخروج من ظلماتها إلى النور، فلم يحاول الخروج إلى غير ذلك من الطرق المردية بالغواية في المعتقد أو بالعمل. على أن إسناد التجسيم والجبر إلى الإسلام وهو منهما بريء من أعظم الصوارف لعلماء الملل الأخرى عن الإسلام؛ لأنّ درايتهم تحكّم باستحالته، فإذا رأوه مسندًا إلى الإسلام حكموا بديهة بأن الإسلام ليس دين الله، وإنما هو مفترى عليه، واعتقدوا كذب رسول الله ﷺ وما أنزل عليه.

وإذا عرفوا براءة الإسلام منهما لا يسعهم إلا إكباره وأن يتبعوه، وهكذا سائر الخرافات التي اعتقدتها بعض الطوائف المسلمة صارفة عن الإسلام، ما عدا

أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم فعقائدهم منزهة عن ذلك كله .
وإذا نظرتَ فيما أشار إليه البيت المذكور وجدتَ معظمَ الفرق الإسلامية
تستشهد في كتبها بالحديث المضمن فيه: (مَنْ فَكَّرَ فِي الْخَالِقِ أَلْحَدَ، وَمَنْ فَكَّرَ
فِي الْمَخْلُوقَاتِ وَحَدَّ) .

فلنسر على ضوئه وهو تحريمُ التفكير في ذات الله وماهيته وكنهه، والوقوفُ
عند حد الإيمان به الضروري الاستدلالي فيما أعتقد، والاستدلالي فقط فيما قاله
جمهور أئمة الهدى والتقى والعلم من ورثة الأنبياء وآل المصطفى الأصفياء الذين
وقفوا عند معنى: (مَنْ فَكَّرَ فِي الْخَالِقِ أَلْحَدَ)، وعند معنى قول الله عز وعلا:
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فنفوا عنه كل صفة من صفات المخلوقين،
وكل ما يمتُّ بأية صلة لمماثلة المخلوقين، ونزهوه عن كل ما يجوز على خلقه،
وقدسوه عن كل ما يفتقر إليه العباد: من الجسم، والحيز، والانتقال، والحلول
وغير ذلك؛ للآية الكريمة؛ وللبراهين العقلية القاضية بأن وجودَ العباد وسائر
الكائنات جائزٌ لا واجب، وأن الله واجب الوجود لا يجوز عليه العدم، ولا أن
يكون له أول أو آخر، ولا أن يشبه شيئاً جائز الوجود.

وأن الله قدير وعليم وغني وحكيم وعدل ورحيم، لا يعجزه شيء، ولا
يخفى عليه شيء، ولا يحتاج، ولا يعيب، ولا يلهو، ولا يلعب، ولا يظلم مثقال
ذرة؛ لعلمه بقبح هذا كله، واستغنائه عن هذا كله، وعلمه باستغنائه عن هذا
كله، وأنه وحده لا شريك له في صفات الكمال التي وصف بها نفسه، صفات

الكمال المطلق غير المحدود بحد مطلقاً. بينما العباد فقراء عاجزون ضعفاء،
قُدْرُهُمْ ومعارفهم محدودة زائدة على ذواتهم لا ذاتية، تقتلهم الشرقة، وتنتنهم
العرقّة، وتؤلمهم البقّة، فقراء إلى الهواء والماء والأمن والغذاء وسائر النعم التي لا
تحصى.

والله هو الغني الحميد لا يُنقصه عطاء، ولا يزيده حرمان، ولا تنفعه
الطاعات ولا تضره المعاصي، القدير على كل شيء، لا يعجزه شيء: ﴿إِنَّمَا
أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، عليم لا يخفى عليه
شيء، ولا يضل ولا ينسى، ولا يشغله شأن عن شأن، الحكيم في كل ما قضى
وقدر، وحكم وأمر ونهى وهدى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، الرحيم
الرحمن، الكريم المنان ذو الفضل والإحسان، يقبل التوبة، ويمحو الحوبة، ينادي
جميع عباده بقوله: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن
رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

أنعم الله علينا بالعقول، وأقدرنا على كل ما نفعنا وندرك ونقول، وبيّن لنا
الصراط المستقيم ووعده من أطاعه بجنات النعيم، وأوعده من جاءه متلوثاً بذنوبه
غير تائب بالعذاب الأليم، وكرر علينا البلاغ بهذا في كثير من آيات الذكر
الحكيم، منها قوله تعالى أوائل سورة النساء مخاطباً للمسلمين لا للكافرين كما
يحاول أن يوهمك المتوهمون، قال تعالى بعد أن بيّن للمسلمين ما يستحقه كل
وارث من مورثه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ

جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا
وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿النساء: ١٣-١٤﴾ .

أنظر إلى أن قوله: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ شامل للمذكورة بالنص وباسم الإشارة قبلها وهي: ﴿تَلَّكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، شملتها بطريق الأولى من غيرها وأن المشار إليه بـ ﴿تَلَّكَ﴾ هي أحكام المواريث قبلها، والعدل بين الأزواج، وحسن القوامة على أموال اليتامى، وكلها أحكام كُفِّ بها المسلمون، وخوطب بها أمة الإجابة لا أمة الدعوة فلم يُكَلَّفُوا بها إلا بعد أن يدخلوا في دين الله، ولكنَّ الشيطانَ وأولياءه من الإنس والجن ضاقوا ذرعًا بمثل هذا النص وأمثاله، كقوله تعالى في سياق الخطاب للمسلمين وتحذيرهم من الربا: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

فتارة يتأولون الخلود، ويفرقون بين الخلود في النار والخلود في الجنة بدون وجود أي فارق، وتارة تعلقًا بأحاديث ظنية السند ظنية الدلالة إن صحت، بل بمجرد ما وسوس به إبليس لبعض اليهود فقالوا به كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿١٣﴾ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا

يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ [آل عمران: ٢٤].

هكذا بكتهم ربنا سبحانه، وأنكر عليهم، وأبطل زعمهم، وفند أمنيتهم، وسماها غروراً وافتراءً، فلم تقف محادعة الشيطان للعباد عند مسألة أو عشرٍ أو مائة؛ فقد أقسم ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيانهم وعن شمائلهم، وهذا مجرد تمثيل لمحادعته، فلنعد لما أشار إليه البيت وما بعده وهو أن واجب المؤمن أن يؤمن بما كلف بالإيمان به من صفات الله التي وصف بها نفسه، وأن ينزهه عن كل ما نزه نفسه عنه، فلا يصوره للناس بصورة البشر، ولا يتصوره في ذهنه، وكيف يتصور من لا نحيط به وقد أحاط بكل شيء رحمةً وعلماً؟ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

كما يجب أن نقده عن الظلم للعباد، ومن كل عمل تدرك العقول أنه ظلم، كما نزه نفسه عن ذلك في الحديث القدسي^(١): (إني حرمتُ الظلمَ على نفسي وجعلته بينكم محرماً؛ فلا تظالموا)، أي حرم على نفسه نفساً ما حرمه علينا وحكمت عقولنا بأنه ظلم.

ومن ذلك ما زعمه المجبرة أن الله هو الذي أجبر العاصي والكافر على ما عملوه ولا قدرة لهم على ترك ما عملوا ولا اختيار لهم في ذلك، وأن الله إنما

(١) مسلم ٤/ص ١٩٩٥ رقم ٢٥٧٧، أحمد بن حنبل ٨/ص ٩٦، رقم ٢١٤٧٧.

أراد بخلق الذين كفروا أن يَكْفُرُوا ليعذبهم، هكذا زعموا رغم قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ورغم علمهم أن "أل" الداخلة على جن وإنس هي هنا أداة استغراق لكل الأفراد، ورغم أنه سمي نفسه الرحمن الرحيم الرؤوف العدل الكريم.

ولو قلنا: هذا خلاف ما تقضي به العقول، لقالوا: إنها لا تقضي عقولهم بشيء، وزعموا أنهم لا يعقلون، فإذا ذكرناهم بمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، وقلنا: كيف يَحُجُّنَا بها إذا هي لا تُدْرِكُ، وقلنا: القرآن حَاكِمَنَا إليها في مثل قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ تُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]، فكيف يحاكمنا إليها وهي لا تدرك حُسْنًا ولا قُبْحًا، ولا حقًا ولا باطلاً؟ لم يسعهم إلا أن يقولوا: هو ذاك، ورجحوا شبههم السقيمة على براهيننا الساطعة القاطعة، كما رجع قاضي حمص الشهادة فيما زعموا أنه جاءه ناسٌ فقالوا: إن فلانًا مات ونحن ورثته، فقسم القاضي بينهم ماله، فأتى صاحبُ المال من غيابٍ فأنكر على القاضي، فأحضر المقتسمين، فأصروا على أنه مات، فطلب منهم البينة، فأحضرُوا شهودًا شهدوا أن فلانًا هذا مات ودفناه، فقال له القاضي: قد قامت البينة على موتك فأندفن، فقال: أتصدقهم وتكذبي وأنا حي أكلمك؟، فردَّ عليه: لو فتحنا باب المراجعة للأموال لراجع الكثير منهم فأندفن.

غلب الميّن منذ كان على الأر ض وماتت بغيظها الحكماءُ

قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩] صدق ربنا الله، أبى أكثرهم. والقليلُ هو المخلص لله المتأبّي على المعصية.

فيا ترى ما هي الرحمة والرفقة التي أثنى الله بها على نفسه، وبها تمجّد؟ إذا كان هو الذي يخلق عبادًا ضعفاء عاجزين لا يملكون أن يدفعوا عن أنفسهم ضرا ولا يجلبون لها نفعاً، يخلقهم لأجل أن يعذبهم خالدين في النار بما أجبرهم على فعله من الكفر والمعاصي. أين الرحمة في هذا؟.

ثم يا ترى ماذا سيكون الظلم الذي حرمه على نفسه إذا لم يكن هو ما حرمه علينا، والذي هدى الله العقول فقضت بقبحه، وعلى من ذا سيقع لو فرض وقوعه من الله حتى يسمى ظلماً إذا لم يكن هو ما يحدث بين العباد، وما تستقبحه عقولهم؟، يا لضلال المضلين: إما غروراً واغتراراً، وإما عناداً واستكباراً. إن الله لا يأمر بالفحشاء فضلاً عن أن يفعلها: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]، وليس هذا من الصراط المستقيم في شيء.

وقد سَوَّلَ لهم الشيطان أنهم بهذا الزعم يتزهون الله وإنما سبُّوه بذلك، وسمَّوْا سِبَابَهُمْ تزيهًا، ونسبوا إليه القبائح، وقالوا: لا نسميها منه قبائح، كأن المهم الاسم لا المسمى!! وبناءً على هذا إذا شرب أحدهم خمرًا وسماه ماءً فلا حرج.

ثم أي شيء يمكن أن يسمى عندهم وعند الله ظلماً لو وقع منه - وتعالى عن ذلك - مع قاعدتهم الفاسدة: لا يُقْبَحُ من الله قبيح، فكل ما يُفْرَضُ وقوعه لا يسمى عندهم ظلماً بموجبها، ومقتضى الحديث القدسي: (إني حرمت الظلم على نفسي)، أن ثَمَّةَ ما يُسَمَّى ظلماً لو صدر منه؛ وهذا تصادم، فإذا لم يكن ما حرمه على نفسه هو ما حرمه علينا كما نقول - لزمهم التدافع بين قاعدتهم وبين الحديث والقرآن الكريم.

تأمل هذا يامعان فهو كافٍ وحده لهدم زعمهم الفاسد واجتثاث قاعدتهم الباطلة من أساسها.

هذا والمؤمن الذي ينزه الله عن صور البشر لم يَنْفِ صفةً مَّا فلم يلحد؛ فلا يغالطك المغالط بنحو أن يقول: تزعم أن الله بلا وجه، وأنه أقل كمالاً وشأناً من الآدميين؟. فقل له: الله أعز وأجل وأكرم من أن أُثبتَ له ما لم يثبت له نفسه، أو أن أنفي عنه ما أثبت له نفسه، وأعز وأجل من أن يقاس به.

فإن قال: هذا القرآن أثبت له ذلك، فقل له: كلام الله فيه المجاز والكناية، خاطب الله به أهل لغة الحقيقة والمجاز والكناية، وليس شُفْرَةً بينه وبين نفسه، إنما خاطبهم الله بأبلغ كلام وأفصح، ومن أنكر ذلك فإنما كابر الحق وحااص عنه، إما غروراً واغتراراً، وإما عناداً واستكباراً .

وعليك بالرجوع إلى مظان هذا البحث من كتب الأصول تعرف أنهم بنوا على أوهام وعلى شفا جرف هارٍ انْهَارَ بهم في نار جهنم، وكل وجه دافعوا به

عن غلظهم الفاحش أَوْهَى من نسج العنكبوت، وجهالات كثُروا بها وشغلوا بها الأفكار، وأضلوا بها كثيراً من العباد، وما أعتقد إلا أنهم أشد عند الله إثماً ممن أنزل فيهم قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [قصص: ٦]، فقد نبزوا المقدّسين لله عن التحسيم والجبر بالتعطيل، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٨]، والله محاسبهم عليه حساباً عسيراً، وهي من مغالطاتهم الأثيمة، ومن شُبّههم السقيمة التي لا تنطلي إلا على ضعفاء الفهم والعقول، والرعا ع أتباع كل ناعق، كما تغالط اليوم الدول المستعمرة الكبرى الأمم الضعيفة بأنهم قد حرروا الشعوب من الاستعمار، وأعطتها حريتها واستقلالها، بينما لا تزال مربوطة في عجلاتها أشد من ذي قبل ماليا وتعليميا وفكريا وحربيا، أرواحهم بأيديهم كما لا يخفى إلا على البُله والمجانين، ولكن تغرير المجبرة والمجسمة والنواصب أعظم كيداً ومكرّاً منهم، وهم القَدَرِيَّةُ الذين سماهم ﷺ: مجوس هذه الأمة؛ لأنهم يقولون: الله قَدَّرَ عليهم المعاصي والكفر.

وتأمل يامعان في أن النسبة دائماً إنما تكون لمن يُثبِتُ لا لمن ينفي؛ فلا تقول: جَبْرِيٌّ لمن ينفي الجبر، بل لمن يثبته، كذلك لا يقال: قَدْرِيٌّ لمن نفي تقدير الله للمعاصي ونفي جبر الخلق عليها.
ولمَّا أُفْحِمُوا بهذا قالوا: المراد به من يُثبِتُ القدرة للعبد، قلنا: هذا بضم

القاف [قُدْرِيٌّ] فبهتوا، ولكنهم أصروا واستكبروا استكباراً، وأسندوه إلى من لا يصدق عليهم - وإن أكذبتهم اللغة القويمة، والأفهام السليمة، وإن أكذبهم الله بمثل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]

ولا تعبأ بكثرهم فإن الله قال: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] ، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] ، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سأ: ١٣] ، ﴿فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِيقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦] ، وأهل الجنة بالنسبة لوفد النار كالشعرة البيضاء في الجلد الأسود، وقد تمكن إبليس من إقناع الحجر أن الجبر من الله لا يسمى ظلماً لأنه مالك، وتنزيه له عن الشريك، وهو هذرٌ سخيف أشبه شيء بقول خليع في أغنية يخاطب معشوقته:

بَادِرْ بِوَصْلِكَ شِتَا نَدَفَا وَنِتَلَمَّمْ وَنِعْتَبِرْ وَصَلْنَا خَالِصَ لَوْجِهِ
فأين يتاه بهم عن أن العلم والعالم بأسره إنما يبحث في جوهر المعاني لا في الألفاظ، فلا يعتبرها إلا أداة لا كاعتبار المعنى للفجور عبادةً، فالظلم ظلمٌ - وإن سموه عدلاً، وهو ذمٌ وسبٌ - وإن سموه تنزيهاً وتقديساً.

النظرة الثانية

تلك الأدلة آية أو حكمةٌ يمنيةُ الإيمان وهو يماني
في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ دعا لأهل اليمن بقوله: (اللهم بارك لنا في يمننا)، وكلما طلب منه أن يدعو لآخرين قال: (اللهم بارك لنا في يمننا)، ثلاث مرات. وممن روى هذا الحديث البخاري في صحيحه، وفي حديث شريف أنه ﷺ قال: (إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن) وهذا من المجاز عن إيمانهم، وأنهم من جنود الله؛ وجنود الحق وأنصاره.

وفي حديث شريف أنه ﷺ قال^(١): (الإيمان يمان والحكمة يمانية)، وممن رواه البخاري.

إذا تأملت هذا عرفت أن الفارق الذي تميزت به اليمن عن غيرها من بلدن الإسلام هو عقائدها المشرقة من ضياء القرآن وسنة رسول الله ﷺ، المؤيدة بالعقل السليم، وفهم الفطرة التي فطر الله عليها خلقه بلا التواء، ورفعهم لراية الجهاد الذي لم ينقطع إلى زمننا في الدفاع عنها وعن شريعة الله، الأمر الذي احتفى في غيرها منذ تحولت الخلافة الإسلامية إلى ملكٍ عضوض، فإن لاحت

(١) البخاري/ رقم ٣٣٠٨ ، الترمذي ٥ / ٦٨٣ رقم ٣٩٣٥ ، مسلم ١ / ٧٣ رقم ٨٩ ، ٩٠ / أحمد بن حنبل ٣ / ٧٠ رقم ٧٥٠٨ .

بوارقه في غيرها ففي فترات متقطعة قصيرة لا تكاد تظهر حتى تغيب، وهذا هو المراد من الأحاديث الشريفة بأن "الإيمان يمان" ^(١) و "إني لأجد نفس الرحمن من قِبَل اليمين" ^(٢) وحديث (اللهم بارك لنا في يماننا) ^(٣) و (الركن يمانى وأنا يمانى) ^(٤) وغيرها، ولا تفسير لها غير هذا.

أليس هذا كافيًا لكف المعتدين، وتثبيت اليقين في نفوس المهتدين؟.

فبخ بخ لأهل اليمن الميمون بهذه المناقب والفضائل التي لم ينلها سواهم، وبُشْرَى لأهل اليمن الميمون بدعوات الرسول الأعظم ﷺ الدعوات المستجابة، وبشرى لهم بشهادة من لا ينطق عن الهوى ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]، بأن الإيمان يمان، بل بشرى لهم بهذه المبالغة الشريفة، وتصوير الإيمان بصورة محسوسة كأنه إنسان، وهذا الإنسان الذي هو الإيمان يمانى النَّسَب، يمانى الدار، يمانى الجنسية، لم يكتف النبي بأن أهل اليمن أهل الإيمان

(١) مجمع الزوائد ١٠/٥٣، أحمد ٣/٧٠، برقم ٧٥٠٨.

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/٢٦٠ رقم ٨٠١، قال العراقي: لم أجد له أصلا .

(٣) البخاري ١/٣٥١ رقم ٩٩٠، أحمد بن حنبل ٢/٤٠٠ رقم ٥٦٤٦، الطبراني في الأوسط ١٢/

٣٨٤.

(٤) الركن اليماني، كنز العمال ١٢/٢٢٠ رقم ٣٤٧٥٥ وعزاه العقيلي.

حتى صورّه واحداً منهم.

وفي اليمن أحاديث شريفة كثيرة، وفي أهلها ما يستوجب أن يعتزوا ويفتخروا، وأن يضاعفوا حمد الله وشكره على هذه المزية حتى قال النبي ﷺ في حديث (وأنا يماني)، فالنبي بموجه يماني، والإيمان أيضاً يمان.

بشرى لنا معشرَ الإسلام إن لنا من العناية ركنًا غيرَ منهمد وقد تحقق بالفعل ما أخبر به النبي الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم؛ فلم تزل طائفة منهم تناضل وتقاتل في سبيل الله وإعلاء كلمته في كل عصر منذ القرن الأول من الإسلام لم يتركوا الجهاد والدفاع عن الحق، عاملين بكتاب الله وسنة نبيه، مؤالين لأهل بيت نبي الله سبحانه لم يضعوا سيوفهم عن عواتقهم جيلًا بعد جيل منذ حملوها في يوم بدر يوم الفرقان وما بعده إلى يوم الناس، هذا بينما جميع أقطار الإسلام الأخرى خضعت لحكام الجور والظلم منذ استشهد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، وبعضهم من قبل إلى يوم الناس هذا، ما سلوا سيفًا للجهاد، ولكنهم خضعوا تارة للظالمين وأيدوهم بالأقوال والأفعال، وتارة للمستعمرين، اللهم إلا اليمن الميمون فلم تزل طائفة من أهله تقاتل في سبيل الله حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال.

وليس المراد أننا ننكر فضل العلماء والمؤمنين وأنصار الحق في سائر أقطار المسلمين، كلا؛ ففي كل وطن إسلامي منهم من لا يُنكرُ فضله، ولا يُجْهَلُ مقامه، ولكنهم متفرقون لا تجمعهم مثلنا قيادة ورياسة ودعوة، وإنما اختص بهذا

اليمن فقط، وكتب التاريخ تشهد بهذا، حتى قال صاحب فتح الباري عند الكلام على حديث: (لا تزال طائفة من أمّتي على الحق)^(١) ، أو في سياق الكلام على حديث بمعناه أو قريب منه، قال ما خلاصته: لم يبق من يصدّق عليه الحديث هذا إلا الذين في جبال اليمن، وإمامهم يحيى بن الحسين بن القاسم الرّسّي^(٢) .

ونحن نقول والحمد لله: نعم إن لم يكونوا هم فمن ذا سيكونون ؟ وإذا لم يكونوا هم أهل الإيمان - وهم أهل نفس الرحمن؛ بشهادة رسول الله - فمن هم إذن ؟ وهم الذين لهم طابع مخصوص مميّزهم عن عداهم من المسلمين .

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٦ / ٥٢٧ ، المستدرك ٤ / ٥٥٠ ، كنز العمال ١٤ / ٥٥٥ ، ٥٥٦ رقم ٣٩٥٨٨ ، ٣٩٥٨٧ .

(٢) ونص كلام الحافظ : " ويحتمل أن يكون بقاء الأمر في قريش في بعض الأقطار دون بعض بالبلاد اليمنية وهي النجود، منها طائفة من ذرية الحسن بن علي لم تزل مملكة تلك البلاد من أواخر المائة الثالثة، وأما من بالحجاز من ذرية الحسن بن علي، وهم أمراء مكة وأمراء ينبع. ومن ذرية الحسين بن علي وهو أمراء المدينة فإنهم وإن كانوا من صميم قريش لكنهم تحت غيرهم من ملوك الديار المصرية، فبقي الأمر في قريش بقطر من الأقطار في الجملة، وكبير أولئك - أي أهل اليمن - يقال له الإمام، ولا يتولى الإمامة فيهم إلا من يكون عالماً متحريراً للعدل". فتح الباري ١٣ / ١١٧ . وقال أيضا في ص ١٩ من نفس الجزء " وقد جاء ما يؤيد ذلك لمسلم حديث أبي هريرة: (إن الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته).

كما أننا لا ننكر أن في اليمن من لا يَصْدُقُ عليهم الحديث أيضاً، ومن لهم أشباه وأمثال من المنحرفين عن الحق، ومن القاعدين عن الجهاد، فهؤلاء موجودون، ووجودهم لا يضر بمن صدق عليهم وفيهم البشريات النبوية، ولا يطعن في صدقها وصحتها.

وقد نجم في عهد قريب وإلى يومنا من يتناول بلسانه وقلمه، وما أكثر المتناولين من هذا النوع من اليمن ومن غير اليمن، يتناولون على أهل اليمن ويتهمونهم بالجهالة للإسلام والإيمان، وبالشرك والابتداع وغير ذلك من باطل التهم.

فيا لله العجب أيرُدُونَ شهادة رسول الله لنا بالإيمان ونفس الرحمن؟، أو يدعون أن دعاء رسول الله لنا لم يقبله الله - وهو مجاب الدعاء عند إله الأرض والسماء - ؟ زد على هذا أن بعضهم من جهال يمينيين متعلمين!!.

فما أحقَّ أهل الإيمان أن يقولوا: لو ذات سوارٍ لَطَمْتَنِي^(١).

(١) أي لو لطمتني ذات سوار؛ والمعنى حرّة لا أمة؛ لأن العرب قلما تلبس الإماء السوار، فهو يقول: لو كانت اللاطمة حرة لكان أخف عليّ، ومعنى المثل لو ظلمني من كان كفؤاً لي لهان علي ولكن ظلمني من هو دوني. ولهذا قال الشاعر:

فلو أني بليتُ بهاشمي خولتُه بنو عبد المِداد
لهان عليّ ما ألقى ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

نعم لا ننكر أن في اليمن ضللاً وملحدين، أيضاً في عصرنا وفيما قبله،
كما لا ننكر أن في كل بلد غير اليمن مؤمنين وصالحين، ولكن مدار الكلام
هو في مدار الحديث بل الأحاديث الشريفة التي بشرت بأن شوكة الإسلام
وراية الجهاد والعمل بالكتاب والسنة لا تزال في اليمن وأهله حتى تأتيهم
الساعة، فلا غرورَ إن كرّرتُ الإشارةُ إلى الحديث الشريف في أهل اليمن الميمون
مرتين في المنظومة وجعلت شطراً منه عنواناً لها، والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات.

وفيهم يقول أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه:

تيممت همدان الذين همُّ همُّ	إذا ناب أمر جنّي وسهامي
فوارس ليسوا في الحروب بعزّلٍ	غداة الوغى من شاكر وشبام
ومن أرحب الشم المطاعين بالقنا	ونهم وأحياء السبيع ويام
ووادعة الأبطال يخشى مصالها	بكل صقيل في الأكف حسام
ومن كل حي قد أتتني فوارس	كرام لدى الميحاء أي كرام
يقودهمُ حامي الحقيقة ماجد	سعيد بن قيس والكريم محامي

وأراد المؤلف: لو أن الطاعن على اليمنيين من غيرهم أو منهم علماء أفذاذ لهان الأمر، أما دراويش
وشحاتين فهي مصيبة وغبن. ينظر مجمع الأمثال ٢ / ٢٠٧ لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري
الميداني.

جزى الله همدان الجنان فإنهم سمّ العدا في كل يوم سمّ
رجال يحبون النبي ورهطه لهم سالف في الدهر غير أيام
ولو كنت بواباً على باب جنّة لقلتُ لهمدانَ ادخلوا بسلام
وهمدان هو الجد الأكبر لجميع أهل اليمن إلا اليسير . ومنهم حاشد بن
همدان، وبكيل بن همدان، والثناء في أبيات الإمام شامل لجميع أهل اليمن، وممن
ذكرهم بالنص أرحب وخولان وشاكر وحمير وغيرهم.

النظرة الثالثة

حول:

لا تَعُدُّ عن نَهْجِ الكِتَابِ وَنَهْجِ آ لِ مُحَمَّدٍ إِنَّ الهُدَى الثَّقْلَانِ
ثَبَتَ حَقًّا أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأُمَّتِهِ: (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ
بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ وَعَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي؛ إِن اللطيفَ الخبيرَ نبأني أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا
حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضِ، وَإِنِّي سَأَلْتُكُمْ كَيْفَ خَلَفْتُمُونِي فِيهِمَا؟)، وَقَدْ رَوَى
بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ مُتَّفِقَةٍ المَعْنَى ، وَهُوَ مِنَ الأحَادِيثِ المَتَوَاتِرَةِ، وَقَدْ اسْتَشْهَدَ بِهِ ابْنُ
تَيْمِيَّةٍ فِي عَشْرَاتِ المُنَاسِبَاتِ مِنْ كِتَابِهِ، وَابْنُ القَيْمِ، وَابْنُ حَجَرِ الهَيْثَمِيِّ ^(١) .

(١) حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة فقد رواه:

ابن تيمية في فتاويه ٢٨ / ٤٩٣ ، ابن حجر الهيتمي في الصواعق ١٤٩ ، الإمام زيد بن علي
العلي في المجموع ٤٠٤ ، وعلي بن موسى الرضا ٤٦٦ ، والإمام الهادي في الأحكام ١ / ٤٠ ،
والمرشد بالله ١ / ١٥٢ ، ١٥٤ ، وينظر الاعتصام ١ / ١٢٣ وما بعدها ، وأخرجه مسلم ٤ / ١٨٧٣
رقم ٢٤٠٨ عن زيد بن أرقم، والترمذي ٥ / ٦٢١ رقم ٣٧٨٦ عن جابر بن عبد الله ، وأحمد ٤ /
٣٧ رقم ١١١٣١ عن أبي سعيد و ٤ / ٣٠ رقم ١١١٠٤ عن أبي سعيد ، ٧ / ٨٤ رقم ١٩٣٣٢ ،
١٣٨ / ١٥٤ رقم ٢١٦٣٤ عن زيد بن ثابت ، ٤ / ٥٤ رقم ١١٢١١ ، ٤ /
١١٨٢ ورقم ١١٥٦ ، وأحمد في فضائل الصحابة ٢ / ٩٧٨ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ٧٤٧ رقم
١٠٣٢ ، والطبراني في الأوسط ٣ / ٣٧٤ رقم ٣٤٣٩ ، ٤ / ٣٣ رقم ٣٥٤٢ ، البيهقي ٢ / ١٤٨ ،
٣ / ٣٠ ، ١٠ / ١١٤ ، صحيح ابن خزيمة ٤ / ٣٦ رقم ٢٣٥٧ ، والطبراني في الكبير ٥ / ١٥٣ رقم

وهناك حديث آحادي صحيح غير متواتر فيه بدل عترتي سنتي، وهي تفرض علينا العمل بسنة رسول الله، ومن ضمنها ما أوجبه الرواية المتواترة من متابعة الكتاب وآل محمد.

وقد ذكر ابن القيم في بعض رسائله أربعة أقوال في بيان الآل وسرد حجة كل قول، ورجح رابع الأقوال وهو من حرمت عليهم الصدقة إلى يوم القيامة، وترجح له ولابن تيمية، ولابن حجر الهيتمي ولابن كثير في تفسيره أن نساء النبي إنما دخلن فيهم بالتبعية لا بالأصالة^(١)، والمراد أن آل محمد العلماء منهم أعلم وأهدى سبيلاً؛ فمتابعتهم فيما رجحوه عند الاختلاف مع غيرهم هو الواجب؛ لأن الحق لا يخرج من جملتهم، لا من أفرادهم فلا، فعلمهم هو العلم، وفقههم هو الفقه، ومن خالفهم فتقدمهم أو تأخر عنهم هلك.

وفي الآيات بعد ذلك إشارات إلى عدد من الأحاديث النبوية التي رويت في أهل بيته منها: (أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها

٤٩٢٣، ٤٩٢١، والصغير ١ / ١٥٠، ص ١٥٣، ومختصر زوائد البزار ٢ / ٣٣٣ رقم ١٩٤٦،
١٩٧٤، عن أبي هريرة، وابن كثير في البداية والنهاية ٥ / ٢٢٨ وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي:
وهذا حديث صحيح.

(١) لابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة / ص ١٤٦، ولابن كثير ٣ / ص ٤٨٦ في تفسير الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

هلك^(١) .

وانظر ما قاله الجلال رحمه الله في الحديثين وحديث من تقدم أو تأخر عن الثقلين في رسالته (العصمة عن الضلال) ، وما قاله ابن الهيثمي في الصواعق^(٢) ، وابن القيم وغيره في مكانها من كتبهم ، وأن أهل البيت أمان لأهل الأرض فإذا ذهبوا أتى أهل الأرض ما يوعدون .

ومن أغرب الغرائب الإنكار على من يصلي على آل محمد تبعاً للصلاة عليه مع العلم بأنه لم ترد في كتب السنة جمعاء أي صلاة علمناها رسولُ الله ﷺ إلا وصلى فيها على آله ، ولم تَرِد في الكتب أيضاً أي صلاة قالها صحابي

(١) أخرجه الهادي في الأحكام ١ / ٤٠٠ ، والإمام علي بن موسى الرضى عن آبائه في صحيفته ص ٤٦٤ بلفظ " أهل بيبي كسفينة نوح من ركبها نجى ، ومن تخلف عنها زج في النار " ، والمرشد بالله في أماليه ١ / ١٥٢ ، وأبو طالب في أماليه ١٣٦ ، والحاكم ٢ / ٣٤٣ ، عن أبي حنث الكسفاني قال : سمعت أبا ذر يقول وهو أخذ باب الكعبة : أيها من عرفني فأنا من عرفتم ، ومن أنكر فأنا أبو ذر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول " أهل بيبي الخ " ، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ، وأخرجه أيضا في ٣ / ١٥٠ ، وقاله صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والطبراني في الأوسط ٥ / رقم ٥٣٩٠ ، والكبير ٣ / ٤٥ رقم ٢٦٣٦ ، والبزار ٢ / ٣٣٤ رقم ١٩٦٧ من مختصر زوائد لابن حجر .

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٥٢ .

إلا وفيها الصلاة على آل رسول الله^(١) . زد على هذا حديث: (لا تصلوا علي الصلاة البتراء)^(٢) .

وهاهي أكثر المطابع وأكثر الناطقين بالصلاة عليه قد تواطئوا على أن يفردوه بالصلاة عليه كتابة ونطقاً إلا القليل، ولم يكتفوا بذلك بل يظهر الإنكار إذا سُمِعَ المصلي على النبي يصلي على آله، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً فتأمل.

هذا وقد روى حديث الثقلين أيضاً من يُتَّهَمُ ببعض آل محمد، فساقه الله على لسانهم وأقلامهم ليكون حجة ومزيداً من الحجة عليهم، حيث تكلفوا أحياناً التأويل المتعسف، وبعضهم حاول الإنكار والتضعيف، والكل يَظْهَرُ لطالب الحق بأدنى تأمل. وهو ما حذر منه بعض الآيات في السياق.
وهناك من زوروا أحاديث حاربوا بها الحق، وعلياً ومن بعده، ومنهم

(١) انظر البخاري/ الأنبياء/ باب ١٢ / ج ٣ / ص ١٢٣٢ رقم ٣١٨٩ ورقم ٣١٩٠، ومسلم رقم ٤٠٧ في الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ورقم ٤٠٦ نفس الموضوع ، وفي الدار قطني / ١ / ٣٥٥ عن النبي ﷺ: (من صلى صلاة لم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه) ونقل عن أبي مسعود الأنصاري أنه قال : (لو صليتُ صلاة لا أصلي فيها على آل محمد ما رأيت أن صلاتي تمت) .

(٢) هذا لفظ لصاحب الصواعق ١٤٦ والشافي ٤ / ٩١ بسنده .

متظاهرون بحب الإمام علي وهو مجرد تظاهر بدلالة حبهم لأعدائه في حياته،
وأعداء ذريته وأعدائه من بعده، وتعظيمهم لهم: إما عن جهالة بالباطل، وإما
عن حب أعمى القلوب، وهو ما أشار إليه بعض أبيات المنظومة:
والحُبُّ مثلُ البغضِ كم أعمى باعَ النجاةَ بأبخس الأثمان
وإنك لتكاد تجزم أنه لو عاد يومٌ صفيين لوجدتهم من أصدق المحاربين قتالاً
لعلي، أو يومٌ كربلاء لما كانوا إلا تحت راية عُمَرَ بنِ سعد وابن ذي الجوشن، أو
يومَ الحَرَّةِ لكانوا مع عقبة بن مسلم المُرِّي، وفتلات ألسنتهم وأقلامهم وأعمالهم
وبغضهم الشديد لأنصار الإمام علي وجرحهم لهم ورميهم بالكذب كافٍ في
الدلالة على ذلك؛ بينما هم يزكون ويوالون أعداءه ويوثقونهم على الإطلاق،
ولن يجبه ويحب أنصاره إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، بهذا قضى الله
سبحانه ^(١) .

يا أهل اليمن والإيمان لا يفتننكم الشيطان عن عقائدكم الصحيحة كما
أخرج أبوكم من الجنة، لا يُعْشَنُّكُمْ عنها بالمال، فكم أمالَ بالمال، وفَتَنَ من
رجال، لا يخدعنكم بالشبهات وسحر البيان، فكم له من ضحايا في هذا الميدان.

(١) راجع لزاما مبحث التشيع في كتاب (عدالة الرواة) للدكتور المرتضى بن زيد المحطوري وقد طبع
مبحث التشيع منفرداً لأهميته.

لا يصدنكم بمكره عن مجد أسلافكم الباسق، وتراثكم العلمي العظيم، كما
صد السامريُّ قومَ موسى عن طاعة هارون، وعبدوا العجل فقالَ موسى: ﴿رَبِّ

إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۗ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٥] .

لقد استيقظ أكابر علماء قرننا الرابع عشر المشرف على الغروب من
المسلمين وغيرهم إلى مجد أسلافكم العلمي العقائدي والفقهية، ونوهوا به، ولا
زالت اليقظة تكبر ويكثر أصحابها، فلا تجهلوا هذا وابتحوا تجدوه حقاً، ولا
تُخَدَعُوا فتخدعوا فتمدغوا أنفسكم بوصمة الجهالة وخزيها، فالتأريخ سيحاسب
المنحرفين والجاهلين ويصب عليهم اللعنة، وفي إمكانهم تجنب ذلك، ولكن لا
تهدي من أحببت.

ومهما أقل لكم أنكم أهل الإيمان والحق وأحباب رسول الله الذي
ينتظركم في اليوم الموعود على الحوض المورود فيذود الناس لأهل اليمن حتى
يشربوا، ولكن لا غُنْيَةَ لكم عن الحث على تقوى الله والاستقامة، وتعليم
الجاهلين، وتجنب كل بدعة تخالف الدين حتى يأتينا اليقين. نسأل الله لنا ولكافة
عباده الصلاح والتوفيق والاستقامة وحسن الختام.

ولا يستغني أهل اليمن عن أن نؤكد في أذهانهم أن في كل أمة خيراً كثيراً ،
وفي كل قبيلة خيراً كثيراً، وصلحاء ومؤمنين وعلماء وفضلاء. كما أكد أن
في أهل اليمن من لا يرضى الله عن سلوكهم أو عن عقيدتهم، ومن لا خير في

آثارهم، ومن حملوا أوزارًا جسامًا إلى أوزارهم؛ فاليمن من هذه الوجهة كسائر بلاد الله، وغير اليمن كاليمن بهذا الاعتبار، بل الحجة على مسيئهم أعظم، والذنب منه أجسم، حيث لم يغنم، وفاتته خير ساقه الله إليه، وخصّ به قومه ودياره، فلم يقدّر نعمة الله عليه ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٢٢]، والخاسر من خسر نفسه وأهله يوم القيامة.

النظرة الرابعة

نظرة حول:

لَأَخُو النَّبِيِّ وَدَادُهُ وَوِلَاؤُهُ عَلَّمَ النِّجَاةَ عِلْمًا لِلْإِيمَانِ
وما بعده

اعلم هدانا الله جميعًا إلى الحق المبين أن المناقب المشار إليها في هذين البيتين وهي المؤاخاة للنبي، وكون ولآئه علم النجاة والإيمان، وكونه أحبّ إلى الله ورسوله من غيره وكونه لم يفارق القرآن بل دار معه حيثما دار. هذه المناقب الأربع قليل من كثير وقطرة من غيث غزير وهي تدل على ما عداها، وفيها من الدلالة ما كفى، وما تكبو فضائل غيره دونها حسرى.

المنقبة الأولى:

أما المؤاخاة فإن النبي ﷺ آخى بين أصحابه في مكة على أساس مُطَرِّدٍ بأن جعل كل اثنين من عشيرتين، ولم يجمع بين اثنين من عشيرة واحدة؛ فأخى

بين زُهريٍّ وأمويٍّ، وعدَوِيٍّ وِثميٍّ وهكذا. وقد ترك عليًّا بدون أخٍ، فلما سأله قال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة، رغم أنه من عشيرته، ورغم فارق السن الكبير بينهما، ورغم أن هناك مثلاً الحمزة أسدَ الله وأسدَ رسوله أنسب سِنًا لمؤآخاته؛ إذا لا يصلح لمؤآخاته إلا من هو من عشيرته.

ولما استقر النبي ﷺ بالمدينة بعد الهجرة آخى بين المهاجرين والأنصار، فجعل لكل مهاجر أخًا أنصاريًّا، فإن فرضنا أن النبي ﷺ لم يصلح أن يؤآخي أحدا من الأنصار فكان على الأقل سيؤآخي بين علي وأنصاري، لكنه لم يفعل بل قال له عندما سأله: لم تركتني ولم تؤآخ بيني وبين أحد؟ قال له رسول الله ﷺ: (أنت أخي في الدنيا والآخرة^(١))، فكان هذا بتكرره بمثابة أن يقول: لا يصلح لمؤآخاتي غيرك: ولو كنت صغيرًا، ولو كنت من عشيرتي، ولا يصلح لمؤآخاتك غيري وإلا لفعلتُ.

وقد امتعض لهذه المنقبة الحاسدون والمنافقون، وقد حاول البعض الغضَّ من

(١) في مؤآخاة الرسول ﷺ للإمام علي التليّغ عند الهجرة ينظر سيرة ابن هشام: ١١٨، ١١٩، وطبقات ابن سعد: ٢٢/٣، والاستيعاب: ٢٠٢/٣، وابن أبي شيبة: ٣٧٥/٦، والحاكم: ٣/١٤، والمناقب لمحمد بن سليمان الكوفي: ١/٣٢٥، والإصابة/ ٥٠١/٢، الترمذي/ ٥/ص٥٩٥ رقم ٣٧٢١، الإصابة: ٣٥/٣، البداية والنهاية لابن كثير ٢-٣/٢٧٧، فتح الباري ٧٢/٧. عيون الأثر ١/٣٢١، وفاء الوفاء ص٢٦١، السيرة الحلبية ٢/٢٠.

شأنها فزادها وضوحاً، فقال: إن النبي ﷺ قال لعمر: (ادْعُ لَنَا يَا أُخِي). مع العلم أن النبي ﷺ لا ييخل بمثل هذه الكلمة على أحد من أصحابه ولا من المؤمنين من بعده مطلقاً ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، لكن أين هذا من ذلك؟! فمؤاخاة علي هي أخوة خاصة، لها امتيازها، ولا يشاركه فيها مشارك، كالي كانت بين حمزة وزيد مثلاً أخوة خاصة، لها آثارها المترتبة عليها، فهي غير الأخوة الثابتة بينهما وبين سائر المؤمنين عموماً. كما تكلف بعض التقليل من شأنها، فادعى أن النبي ﷺ آخى بين علي وأنصاري، ومصادمة هذه الدعوى المغمورة للروايات المشهورة التي هي أشهر من نار على علم - كقيلة لطالب الحق أن يفهم وأن يستجلي ما انبهم والله من وراء الجميع محيط.

وأغرب من هذا بكثير ما قاله الحلبي رحمه الله عن ابن تيمية في البحث، فإنه بعد أن ذكر أن النبي ﷺ آخى بين أبي بكر وعمر، وحمزة وزيد، وعثمان وابن عوف، والزبير وابن مسعود، ومصعب وسعد، حتى قال الحلبي: وبين سعيد وطلحة، وبين علي ونفسه ﷺ وقال: (أما ترضى أن أكون أخاك؟) قال: بلى يا رسول الله رضيتُ، قال: (فأنت أخي في الدنيا والآخرة).

قال وأنكر ابن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين سيما مؤاخاة النبي ﷺ لعلّي عليه السلام، قال: لأن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إنما جعلت للارتفاق ولتألف قلوب بعضهم ببعض، فلا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري.
قال الحافظ ابن حجر: وهذا ردُّ للنص بالقياس، وبعضُ المهاجرين كان

أقوى من بعضِ بالمال والعشيرة، فأخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى، ولهذا تظهر مؤآخاة النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه؛ فقد كان هو الذي يقوم بأمره قبل البعثة^(١) .

وفي الصحيح في عمرة القضاء أن زيد بن حارثة قال: إن بنت حمزة بنت أخي أي بسبب المؤآخاة. انتهى من الحلبية بلفظه^(٢) .

ووجه استغرابي في غاية الوضوح والأحقية لوجوه:-

أولاً: أنه من البعيد أن يخفى على ابن تيمية ما ظهر لابن حجر، وأن لا يعرف أن الحديث في الصحيح، وفي غيره من الأمهات والسير.

ثانياً: أنه لم يُسَبَق إلى إنكار المؤآخاة، فكيف استطاب أن يكون ابن بَجْدَتِه؟! على حين أنه لم يخطر الإنكار على قلب أي جاحد قَبْلُه؛ لمكان علي في الإسلام، ولمكانته من سيد الأنام.

ثالثاً: لا يخفى على أحد البتة ما في قول الحلبي "سيما مؤآخاة النبي لعلي"، أي إنكار ابن تيمية لمؤآخاهما.

تأمل جيّداً في سيما أولاً، وما في حيزها ثانياً؛ فإنها فيما يظهر حتى للبليد،

(١) فتح الباري ٧/٢٧١ .

(٢) السيرة الحلبية ٣/٦٥ .

الباعثُ الوحيدُ للإلْكار للمؤآخاة من حيث هي.

رابعاً: لا يخفى ما في قول الحافظ هذا رد للنص بالقياس، ولم يقصد

الحافظ القياس الأصولي فليس منه، ولا القياس المنطقي.

فالأول: هو حمل معلوم على معلوم لإجراء حكمه عليه بجامع. والثاني: هو

القول المؤلف من قضايا متى سلّمت بذاتها لزم عنه التسليم بقول آخر.

فالحافظ رحمه الله أراد أنه رد النص برأي رآه، ولا أشد دمعاً لباطل هذا

الرد منها. فما هو هذا الرأي الذي حمّله على رد النص؟ الجواب هو أن المؤآخاة

لا تكون إلا للارتفاق والتآلف، وهما فيما أظهر لا وجود للداعي لهما في مكة،

كما وجد الداعي إلى ذلك في المدينة، وقد أبطل الحافظ زعم ابن تيمية لعدم

الموجب والداعي وأثبتته كما ترى.

وأعتقد أنه لم يخف على ابن تيمية هذا؛ فهو أعظم فطنة وذكاء وأكثر

اطلاعاً وعرفاناً وفهماً من أن يجهل ذلك أو يجهل المؤآخاة بين المهاجرين -

وهي في درجة ورتبة المستفيض في كتب الحديث والتأريخ والسير إن لم تكن

متواترة.

فلا غرابة من استغرابي، فإنه أصر على إنكار المؤآخاة، والباعثُ الأوضحُ

هو ما دلت عليه جملة (لا سيما مؤآخاة النبي لعلي)، ثم برّر إنكاره بما يشبه

دعوى التعارض بين وجود المؤآخاة ووجود عدم الارتفاق الذي ادعاه بين

المهاجرين، أي بعد أن ادعى عدم وجوده، كأنه كالتناقض بين قضيتين منطقيتين

المحدود بقولهم: اختلاف الحملتين في النفي والإثبات بحيث يستلزم لذاته صدق كل واحدة منهما كذب الأخرى، على حين لا تناقض بين الرواية المتلقاة بالقبول بين كافة المحدثين والمؤرخين، وبين ما يمكن بل ما يحسن وقوعه وهو المؤآخاة.

ولتعليل ابن تيمية هذا المتهافت نظائرُ من تعليلاته، فهو عندما وقف على حديث: (إن الله أمر جبريل وميكائيل أن يحرسا عليًا عند رقدته على فراش رسول الله ﷺ عند أن هاجر). - استعظم واستكثر هذه المنقبة على علي عليه السلام ولم يسعه إلا أن يهاجمها من بين يديها ومن خلفها.

فأما من بين يديها فقوله على حراسة الملكين: إنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير، لم يتردد أن يقول: باتفاق أهل العلم، ولم يتورع عن هذه الدعوى لأنه قد أعدَّ في نفسه الجواب على أنه إذا عقب عليه المعقبون بمثل تعقيب الحافظ المذكور آنفًا فإنه سيقول: هؤلاء ليسوا من أهل العلم. وهذا يُذَكِّرُنِي بإنسان عرض فُصًّا للبيع، ورغَّب فيه بأن من خواصه أنه إذا رآه الهر عمي، فجيئ بهر فلم يُعمه النظرُ إليه، فلما قيل له هاهو الهر لم يعم، قال: إنه ليس بهر.

وأما مهاجمة المنقبة من خلفها، فإنه لما أُشْرِقَ بها قال: وأيضًا قد حصلت لعلي الطمأنينة بقول الصادق له: "لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم" فلم يكن فيه فداء بالنفس، ولا إثارة بالحياة. والآية التي جاء بها يعني ابن تيمية في حديث

الفداء وهي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة:

٢٠٧]، أنها نزلت في علي، قال ابن تيمية: والآية المذكورة في سورة البقرة هي
مدنية باتفاق، وقد قيل: إنها نزلت في صهيب لَمَّا هاجر.

هذه مهاجمة للمنقبة من خلفها، يعني أنه سَلَّمَ جَدَلًا، أو لم يصدقه الناس أن
الحديث كذب باتفاق أهل العلم، ففيها مطاعن أخرى.

وقد رَدَّ عليه الحلبي بما في الإمتاع وهو أن النبي ﷺ لم يذكر لعلي أنه لن
يخلص إليه شيء يكرهه؛ فيكون فداؤه واضحًا، وبأنه لا مانع من تكرر نزول
الآية في حقهما معًا، وبأنه لا تُخْرِجُ الآية بنزولها في مكة السورة عن كونها
مدنية؛ لأن الحكم للغالب. انتهى.

وأريد أن أضيف أنه إن صح أن النبي قال لعلي لن يخلص إليك شيء
تكرهه فإنها منقبة لعلي أعظم من منقبة الفداء؛ لأنها منقبة اليقين بما أخبره
الرسول الأمين، أَوْجَدَتْ عنده عينَ اليقين الذي طلب خليل الرحمن من ربه أن
يحصل له، فقال له ربه: ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنَّا جَعَلْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [البقرة:

٢٦٠]، وأعتقد أنه لو فطن لهذه المنقبة أبو العباس لكان عليه الإغضاء على منقبة
الفداء بالنسبة لمنقبة هذه الدرجة من اليقين التي اختص بها كما اختص بها سيد

المرسلين وهو في الغار ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:
٤٠]، ولبَحَثَ عن وجه آخر لتحقير هذه المنقبة واعتبارها شيئًا لا يُعْبَأُ به، كما لو

كانت المنقبة لغير علي لاستغرق إطارؤه عليها مجلدًا كاملاً .
ومن استقرأ هذا في كتابته آمن بصدقه، فإنه وإن ذكر عليًا بخير في كثير من
المواضع، ولكن في إطار الحدود التي رسمها هو ومشايخه، والدائرة التي كبحوا
جماح مناقب الإمام علي عليه السلام إلى داخلها، وثنوا أعتتها عما تدل عليه مفرداتها
ومقتضياتها وجملها، ومن خرج عما تظاهروا عليه فهو من الغلاة بزعمهم،
والغلاة شرعًا من الهالكين.

المنقبة الثانية:

في البيتين أنه الأحب إلى الله ورسوله ممن عداه. جاء في الصحيح عن
رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لما حاصر حصون خيبر كان يبعث رجالاً من صحبه برأية
القتال، فعادوا دون أن يفتح لهم، فقال في الليلة الثالثة: (لأبعثن غداً عليهم
رجالاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار ^(١)).

(١) حديث الرأية روي بعدة طرق منها:- مسلم ١٨٧١ / ٤ ، رقم ٣٤٠٤ ، الترمذي ٥٩٦ / ٥ رقم
٣٧٢٤ ، أحمد بن حنبل ١ / ٣٩١ / ١٦٠٨ ، النسائي في خصائصه / ٣٢ رقم ٩ و ٧٠ رقم ٧٢ ،
الحاكم ٣ / ١٠٨ ، والبخاري ٣ / ١٣٥٧ ، رقم ٣٤٩٨ ، ٣٤٩٩ ، ١٣٥٨ رقم ٣٥٠٠ . وهذه
الرواية : (لأبعثن غداً عليهم رجالاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ولا يولي الدبر يفتح الله عليه) . مجمع
الزوائد ٥ / ١٥١ ، المستدرک ٣ / ٨٣ .

فمن رجال الحديث من رواه كاملاً، ومنهم من روى معظمه، وهو من أحاديث الأمهات.

والوجه في استنباطي من هذا أنه الأحبُّ: أن النبي ﷺ خاطب بهذا الخطاب جميع الموجودين من أصحابه في غزوة خيبر وفيهم أبو بكر وأكابر المهاجرين، وفيهم السَّعْدَانِ وأكابر الأنصار.

كما أنه من المعلوم أن الله يحب كل مؤمن ومؤمنة من أول الدنيا إلى يوم القيامة، وأن كل مؤمن ومؤمنة يحب الله ورسوله من أول الدنيا إلى نهايتها، وأن أصحاب رسول الله في طليعة المؤمنين، فما هي الفائدة من إخبارهم بأن علياً يحب الله ورسوله وأنهما يجبانه مع أن هذا هو حال كل مؤمن ومؤمنة؟ فإذا لم يكن لهذا فائدة غير هذا فهو كقولنا: السماء فوقنا، والأرض تحتنا؛ فالفائدة إذن التنويه بأن حبَّ الله ورسوله لعلِّي من درجة لم ينلها المخاطبون، وأنَّ حُبَّ علي لهما على مستوى رفيع لم ولن يصل إليه أحدُ المخاطبين، حتى لكأنَّ حبهم لله ورسوله وحب الله لهم لاشيءَ في جانب حُبِّ عليٍّ لهما، وحبُّهما له، فَنَزَّلَ حبهم في ذلك المقام منزلة المعدوم.

هذا والأحب إليهما هو الأقرب والأكرم والأفضل حتماً، غير أن الدنيا والحسد أو البغضاء أو التعصب والكبر لا تدعُ حقاً دون أن تُلبسَ عليه وتشوش فيه وتضلّل الناس دونه مهما وجدت سبيلاً إلى ذلك، وإن لم تجد وأمكن الكتم كتمت، وإلا فزعت إلى التآويل الفاسدة، كأن يقال: قتل عمار بن ياسر من

جاء به . وكان تنصب المصاحف فيقال: هذا القرآن حُكْمُ الله بيننا . وكان يقال:
لا حكم إلا لله، وعليُّ أَلحد في دين الله.

وكان يقال: معنى من كنت مولا ه فعلي مولا ه؛ مَنْ أنا ابن عمه فعلي ابن عمه . وأن قوله تعالى في الكلام عن خبث الخمر ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] ، هو سؤال لا تحريم . ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١١٩] ، وبعضهم عن علم ليحقق ما يريد . كما قيل: إن أحد الفلاسفة ولعله هيجل كان يفتعل رسوما لحيوانات أو نحوها ليثبت بها نظرية اعتقدها، ثم اعترف أنها تزوير منه، وأن له نظراء سلكوا مسلكه ليبرهنوا على صحة دعواهم؛ ويلحق بهذا التدليسُ في الرواية، فمن اعتقد صدق الحديث فيقول: أنا سمعته من فلان وليس كذلك.

الْمَنْقَبَةُ الثَّالِثَةُ :

كونه ﷺ علم النجاة علامة الإيمان، وهي في ترتيب النظم الثانية إلا أنني سهوت فقدمت التي بعدها . جاء في الحديث الشريف (أنه لا يجبه إلا مؤمن ولا يُبغضه إلا منافق) ، فحبه إذن علامة المؤمنين والإيمان علم النجاة ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ [٨٨] إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ [الشعراء: ٨٨] .
ومفاد حديث الغدير أنه مولى كل مؤمن، وأن من والاه والى الله، ومن عاداه عادى الله، ومن خذله خذله الله.

ومفاد حديث المؤاخاة في الآخرة أنه مع النبي في الفردوس الأعلى، وأي فوز ونجاة أعظم من هذا، (والمرء مع من أحب)^(١) كما في الحديث الشريف، وهو الداعي إلى الجنة بمقتضى حديث عمار المتواتر: (يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)^(٢)؛ فأتباعه وأنصاره الدعوة إلى الجنة، كما أن أعداءه ومقاتليه وأتباعهم الدعوة إلى النار بنص المختار وبئس القرار.

وهو كاشف كغيره من فضائله عليه السلام أنه على الهدى ، وكما جاء في البخاري عن أبي بكر الصديق: (عليٌّ عِترَةُ رسولِ الله)^(٣) ، أي قرين الكتاب، والثقلُ الأصغرُ لَزِيمُ الثقلِ الأكبرِ الذي هو كتاب الله، وكما جاء في الصحيح: (أنه مع القرآن والقرآن معه يدور معه)^(٤) ، (ومع الحق حيثما دار)^(٥) .

(١) أبي داود / ص ٣٤٥ رقم ٥١٢٧ ، مسلم / ص ٢٠٣٤ رقم ٢٦٣٩ .
(٢) البخاري ١ / ١٧٢ رقم ٤٣٦ ، ٣ / ١٠٣٥ رقم ٢٦٥٧ ، مسلم ٥ / ٤٣٠ رقم ٢٩١٦ عن أم سلمة ، والمستدرک ٣ / ٣٨٦ ، الترمذي ٥ / ص ٦٢٧ رقم ٣٨٠٠ ، المعجم الكبير للطبراني ٤ / ٥٨ رقم ٣٧٢ ، وجمع الزوائد ٧ / ٢٤١ ، ٢٤٢ ، طبقات ابن سعد ٣ / ٢٥٢ .
(٣) لسان الميزان ٧ / ٤٤ رقم ٤١٨ ، ضعفاء العقيلي ٤ / ٣٤٤ رقم ١٩٥٠ .
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣ / ص ٢٤ وقال : حديث صحيح ، الترمذي ٥ / ٥٩١ رقم ٣٧١٤ .
(٥) المستدرک ٣ / ١٣٤ ، وصححه الذهبي .

فقول بعضهم إن عليًّا أقربُ إلى الحق قول في غاية السقوط؛ لأن مفاده أن الإمام لم يكن على الحق وإنما كان قريباً منه، وأن خصمه لم يكن على الحق وإنما كان أبعد من مكان علي منه، فكلاهما إذن على غير الحق، وكلاهما إذا خرجا عن الحق قيد شعرة كانا في الباطل، فالحق في مثل هذا واحد، وآخر حَدٌّ له هو أولُ حَدٍّ للباطل.

ومراد بعضهم بهذا أن يجعل لكل منهما نصيباً من الحق، وليس الأمر إليه إنما هو إلى الله الذي جعل الحق واحداً، والباطل أجناساً وأنواعاً، فإذا نظرتَ في هذا وفيما صح من فضائل الإمام فقد علمت الحق.

فهذا إجماع عَقَدْتُهُ فضائله كرم الله وجهه بإزاء إجماع الأمة الإسلامية أنه من الخلفاء الراشدين، إلى غير ذلك من مناقبه الصحيحة.

وإجماع المسلمين على أنه من الراشدين تجلّى ذلك عند أن رفع الله عنها كابوسَ معاوية وشيعته بالخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي أبطل سَبَّ معاوية وَلَعْنَهُ لعليٍّ والذي استمر أكثر من ستين عاماً تردده المناير كلها في كل جمعة في مشارق الأرض ومغاربها، وهو قول معاوية الذي سنه للناس آخر الخطبة الثانية من خطبتي الجمعة، وهو قوله : اللهم إن أبا تراب قد

أَلْحَدُ فِي دِينِكَ، وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِكَ؛ فَالْعَنَهُ لَعْنًا وَبِيلاً، وَعَذَبَهُ عَذَابًا أَلِيمًا^(١) .

(١) شرح النهج الخطبة رقم ٥٦/رواه الجاحظ والميرد ، وبعد مصرع الإمام علي كان من الطبيعي وقد امتد نفوذ معاوية على أقطار الإسلام إن يجهد في إيذاء علي ومحبيه فأمر بلعنه، ينظر مسلم ٤/ ١٨٧١، والترمذي ٥/ ٥٩٩ رقم ٣٧٧٤ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٤٥٦، وابن ماجه ج ١ = ص ٤٥ رقم ١٢١، وتاريخ الطبري ٥/ ٢٥٤ وما بعدها ، والطبقات الكبرى ٦/ ٢١٧ وما بعدها ، والبداية والنهاية ج ٦ ص ٢٥٢ وما بعدها، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٤٠، وتاريخ الإسلام - عهد معاوية / ص ١٩٣ - ١٩٤ ، ومروج الذهب ٣/ ١٤، وابن حجر في الإصابة ٢/ ٥٠٣ .
وقد لُعن الإمام علي على سبعين ألف منبر، وقد قال ابن تيمية في منهاجه ٣/ ٣: بأن أصحاب معاوية قاتلوا عليا ولعنوه، والحاكم ٣/ ١٠٨، والشافعي ١/ ١٥٥، ومصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٣٦٦ رقم ٣٢٠٧٨، وابن حجر في الإصابة ٢/ ٥٠٣، والأبحاث المسددة للمقبلي ص ٢٤٥، وقد رُوي في نهج البلاغة ج ١ ص ٣١٨، وفي وقعة صفين للمنقري ص ٨٢، عندما قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص ، فقال: يا عمرو إن الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدم عبيد الله بن عمر ، وقد رأيت أن أقيمه خطيبا فيشهد على علي بقتل عثمان وينال منه ، فقال : الراي ما رأيت. فبعث إليه فأتى ، فقال له معاوية: يا ابن أخي إن لك اسم أبيك فانظر بملء عينيك وتكلم بكل فيك، فأنت المأمون المصدق ، فاصعد المنبر واستم عليا ، واشهد عليه أنه قتل عثمان، فقال : يا أمير المؤمنين أما شتمه فإنه علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه، وأما بأسه فهو الشجاع المطرق، وأما أيامه فما قد عرفت، ولكني مُلزمُهُ دم عثمان. فقال عمرو بن العاص : إذا والله قد نكأت القرحَةَ. فلما خرج عبيد الله قال معاوية: أما والله لولا قتله الهرمزان ، ومخافة علي على نفسه ، ما أتانا أبدا، ألم تر إلى تقريظه عليا ، فقال عمرو : إن لم تغلب فاخُلب ، فخرج حديثه إلى عبيد الله ، فلما قام خطيبا تكلم بمحاجته، حتى إذا أتى إلى أمر علي أمسك ، ولم يقل شيئا ، فقال له معاوية: ابن أخي ،

وما أضافه بعضهم من لعنه للحسين وأمهما، فمنع عنها عمر وجعل مكانها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الحل: ٩٠]، وارجع إلى الكشاف في تفسير الآية ^(١).

إنك بين عيٍّ أو خيانة، فبعث إليه : كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان، وعرفت أن الناس محتملوها عني فتركتها، فهجره معاوية واستخف بحقه وفسّقه. وقال عبيد الله أبياتا شعرية منها:

وقد في عليا بان عقان جهرة يجدع في الشحاء أنوف الأقارب

=

=وقد روي مسلم ٤ / ١٨٧٤ رقم (٢٤٠٩) عن سهل بن سعيد قال : استعمل على المدينة رجل من آل مروان فعدى سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا قال : فأبى سهل. فقال له : أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا تراب. فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب، إن كان ليفرح إذا دعي بها، فقال له: أخبرنا عن قصته لم سمي أبا تراب، فذكر له القصة.. الحديث. شرح النهج الخطبة رقم ٥٦ ، رواه الجاحظ ، رواه المبرد .

(١) روى المرشد بالله في أماليه ١/١٥٣ ، أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عندما أسقط من الخطب لعن أمير المؤمنين علي عليه السلام ، قام عمرو بن شعيب وقد بلغ الموضع الذي كانت بني أمية تلعن فيه عليا عليه السلام ، فقرأ مكانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ الآية . فقام إليه عمرو بن شعيب فقال: يا أمير المؤمنين، السنة، السنة، السنة - يجرسه على لعن علي عليه السلام - فقال عمر: أسكت قبحك الله . تلك البدعة لا السنة ، وتم خطبته. وقد روى ابن تيمية في منهاجه ٣ / ٣ ، والعلم الشامخ للمقبلي ص ٤٥٤ وما بعدها: أن من أصحاب معاوية وبني مروان ممن قاتل عليا ولعنه. وقد قال الزمخشري رحمه الله في الكشاف ٢ /

حقاً لقد أدرك عمر - وهو التقي الراشد - أن سبَّ أمير المؤمنين من
الفحشاء، ومن المنكر، ومن البغي الذي سنَّه معاوية؛ فرفعه، ورفع عن المؤمنين
ما كانوا يعانونه منذ عهد معاوية ويزيد إلى عهده من الاضطهاد والتعذيب
والتشريد؛ الأمر الذي لم يمتَّ عمر حتى عاد، ولكن السبَّ لم يُعد؛ لأن
إخضاع الأمة وإرغامها عليه بعد أن تنفست منه الصعداء كان فوق مقدور من
خلفَ عمر من الجبابرة والنواصب؛ لشمول مكان السباب، وشمول الوقت
لجميع مساجد الأقطار الإسلامية، وأنى لهم بذلك، أما التنكيل فمحصورٌ
الأماكن، وكان يتجدد في بعضها متقطعَ الزمان.

٦٢٩: ﴿والبغي﴾ طلب التطاول بالظلم، وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعنين على أمير
المؤمنين علي عليه السلام أقيمت هذه الآية مقامها. ولعمري إنها كانت فاحشة ومنكرًا بغياً ضاعف الله
لمن سنّها غضباً ونكالاً وخزياً إجابة لدعوة نبيه " وعاد من عاداه " . كما ترى ابن سعد في طبقاته
ج ٥ ص ٣٩٣، أخبرنا علي بن محمد عن لوط بن يحيى الغامدي، قال: كان الغلاة من بني أمية =
= قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون علياً رحمه الله . فلما ولي عمر أمسك عن ذلك ، فقال كثير عزة
الخراعي :

وليت فلم تشتم علياً ولم تحف	بريأ ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وإنما	تبين آيات الهدى بالتكلم
فصدقت معروف الذي قلت بالذي	فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

وقد روى الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥ / ١٤٧ اللفظ ، والرواية .

وأمرُ السَّبَابِ والتَّنْكِيلِ بشيعة الإمام كان مما عاهد الحسنُ السبطُ عليه
معاويةَ وتعهد هذا أن لا يُحَدِّثَ منه، كما تعهد وعاهد على غيرهما من شروط
الصلح، فما كاد يدخل الكوفة عقيب الصلح بيوم أو يومين حتى نقض وعده،
ونكث عهده وقال على المنبر كل شرط شرطتموه فهو تحت قدميَّ هاتين.
ورحم الله أمير المؤمنين فقد قال: والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر
ويفجر.

هذا ولم يكن معاوية من المهاجرين، ولم يكن من الأنصار، وإنما أسلم بعد
فتح مكة راهبا لا راغبًا، قال أمير المؤمنين عليه السلام فيه وفي أعوانه: (والله ما
أسلموا ولكن استسلموا، ولقد عرفتهم صغارًا وكبارًا، فهم شر صغار وشر
كبار).

وكما غدر بشروط الصلح فقد غدر بالحسن رضي الله عنه ومات شهيداً
السم ليتمكن من إخضاع المسلمين لمبايعة ابنه يزيد، وما أدراك ما يزيد؟! فقد
حَمَلَهُ على رقاب المهاجرين والأنصار، والتأريخ ينعتة لك، ويصف لك يوم
الحرّة، ويوم الطفّ وغيرهما فَتَقَبُّ في كتب التأريخ عن كل ذلك ^(١).

(١) مروج الذهب ٦٩/٣، ٤/٣٨٧، والعقد الفريد ٤/٣٨٧. والكامل في التاريخ لابن الأثير
٢١٠/٣، والبداية والنهاية ٢٦١/٦ وما بعدها، ودلائل النبوة ٤٧٣/٦ وما بعدها، والطبري
٤٠٠/٤٧٠-، وترجمة الحسين في الإصابة ١/٣٣١ برقم ١٧٢٤ طبعة دار الكتاب العربي ،

هذا وحيث جاء في المنظومة :

فَمَنْ ادَّعَى حُبَّ الوَصِيِّ مُعْظَمًا أَعْدَاءَهُ فهو الجهولُ الماني
والماني هو الكاذب، فلا بد أن تعرف الشبهة التي زخرفوا بها دعواهم،
وهي إيهامهم للجهال أن من صحب النبي فإن صحبته تُكفر جميع ذنوبه السابقة
واللاحقة ولا يضره معها أي ذنب، وأضفوا على هذه الخرافة وأحاطوها بهالة
من التقديس لها والإجلال، فأضلوا بذلك كثيرًا من عباد الله، وسنريك عيانًا أنها

وأسد الغابة ٢ / ٢٤ رقم ١١٧٣ ، والمنتظم لابن الجوزي ٦ / ١٢ وما بعدها ، والاستيعاب
٤٤٢ / ١ . وقد روي ابن الوردي في تاريخه ١ / ١٦٢ قال صاحب معالم الإسلام: روي عن انس بن
الحارث أن النبي ﷺ قال: (إن بُنيَ هذا - يعني الحسين - يقتل في أرض يقال لها كربلاء فمن
شهد ذلك منكم فلينصره). وعندما قعد يزيد فوق كرسي الملك ثلاث سنوات، (٦٠-٦٣ هـ) فقد
أنجز في الأولى قتل سبط النبي ﷺ الحسين ، وسبعين من خيار المسلمين فيهم ٢١ من آل البيت =
= وسبى بنات النبي ﷺ . وفي الثانية فتك جيشه وعدده (١٢٠٠٠) بأهل مدينة الرسول في وقعة
الحرّة بقيادة مسلم بن عقبة المري، فقتل من أهل البيت وأولاد المهاجرين والأنصار (٤٢٠٠)، فيهم
(٧٠٠) من حملة القرآن و (٣) من أصحاب النبي. وافتضت (١٠٠٠) عذراء، واستباحها ثلاثة أيام.
وبويع له على أن أهل المدينة حول - أي عبيد - ، وقد ورد عنه ﷺ قوله : (يقتل في هذه
الحرّة خيار أمتي بعد أصحابي). دلائل النبوة للبيهقي ٦ / ٤٧٣ . والطبري ٥ / ٤٨٢ . وابن الأثير ٣ /
٣١٠ ، ومروج الذهب (٣ / ٧٠). وتاريخ ابن الوردي ١ / ١٦٢ . وفي السنة الثالثة أحرقت الكعبة
ورماها بالمنجنيق بقيادة الحصين بن نمير، فقبح الله من يتعصب لأهل النار بحجة أنه من أهل السنة
والجماعة.

ضلالة وإضلال .

قال الله سبحانه لنييه: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾
وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ
مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ، ثم خاطب نساءه بقوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ
مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتَهَا أَجْرَهَا
مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٧ - ٣١] صدق الله سبحانه .

ففي هذه الآيات الكريمة جعل ذنبهن - إن وقع - ضعف مثله من
غيرهن؛ لأنهن صحابيات، وزيادة على فضيلة الصحبة للنبي، لهن فضيلة اتصالهن
وانضمامهن إليه؛ إذ لسن كأحد من غيرهن من النساء، بل لهن على سائر
النساء فضل وشرف عظيم .

وفي آية أخرى خاطب الله نبيه بقوله: ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا
قَلِيلًا إِذْأ ﴿٧٤﴾ لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ
عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٥] ، وقال له في آية أخرى: ﴿لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ
عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] .

فإذا كان الصحابي على زعمهم يستحق المحابة من الله من أجل صحبة
النبي؛ فلماذا لا يستحقها النبي وهو أعلى رتبة وأكبر جهادًا منه؟! . وقال النبي

مُعَرِّضًا بِخَالِدٍ لَمَّا آذَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: أَلَسْتُمْ تَارِكِينَ لِي أَصْحَابِي؟ إِنَّهُ لَوْ
تَصَدَّقَ أَحَدُكُمْ بِمِثْلِ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدَهُمْ وَلَا نَصِيفَهُ ^(١) .

كل هذه الأدلة دلت على أن حسناتهم أجلُّ من حسنات غيرهم أجرًا، وأن
ذنوبه -م أظفَع من ذنوب غيرهم عقابًا، ولو لم يرد إلا قوله تعالى: ﴿يُضَعِّفُ
لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٦٩] .

وجاء في الصحيح: (أنه يساق بأناس من أصحابه يوم القيامة ذات الشمال
فأقول: يا رب أصحابي أصحابي، فيقول لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك،
إنهم رجعوا أو قال: ارتدوا على أعقابهم ^(٢)) .

فهؤلاء من أصحابه الذين فارقهم وهو راضٍ عنهم، بدّلوا بعده فأوردتهم
الله ذات الشمال، لم تنفعهم صحبة النبي؛ لما أحدثوا بعده، وليس المراد به
المنافقين، فلا يغشك بذلك الغاشون؛ لأن المنافقين أحدثوا في عهده وعرفهم

(١) " لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدًّا أحدهم ولا
نصيفه " . البخاري ٣/ ١٣٤٣ ، مسلم ٤/ ١٩٦٧ رقم ٢٥٤١ ، سنن أبي داود ٥/ ٤٥ / ٤٦٥٨ ،
الترمذي ٥/ ٦٥٣ / ٣٨٦١ ، البيهقي ٩/ ٢٠٩ وغيرهم .

(٢) البخاري ٥/ ٢٤٠٦ ، رواه بثمان روايات وفرّد له باب في الحوض رقم / ٢٦٠٥ - ٦٢١٢ ، ٦٢١٣ ،
٦٢١٤ ، ٦٢١٥ ، وأيضًا البخاري ٦/ كتاب الفتن باب ما كان يجذر الفتن / ٢٥٨٧ رقم
٦٦٤١ ، ٦٦٤٢ ، ٦٦٤٣ ، ومسلم بتسع روايات منها مسلم ٥/ ١٧٩٦ رقم ٢٢٩٤ ، ٢٢٩٧ ،
٢٣٠٤ ، وأحمد بن حنبل ٩/ ٨٤ رقم ٢٣٣٥٠ ، ١٠٦ رقم ٢٤٥٣ ، ورواه غيرهم كثير .

وعلم بنفاقهم، أما هؤلاء فأحدثوا بعده ولم يعرفهم.

إذا عرفت هذا لم يبق لديك شك في باطل زعمهم الذي اتبعوا به أهواءهم، وإذا عرفت مع هذا أن الله خاطبهم فيمن خاطب بقوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، وعلمت مع هذا أن النبي ﷺ قال: (والله لو سرقت فاطمة لقطعت يدها) ^(١)، وعرفت أنه لا هوادة بين الله وبين أحد من خلقه - عرفت أن مَنْ أَسَاءَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَضَاعَفُ الْعِقَابِ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَأَنْ التَّمَّاسِ الْمَعَاذِيرَ لَهُمْ، وَالاعْتِمَادَ عَلَى الْأَوْهَامِ وَالظُّنُونِ، وَتَجَاهَلَ الْقَطْعِي دَلَالَةَ وَسِنْدًا مَا هُوَ إِلَّا ضَلَالٌ وَمَكَابِرَةٌ جَحَدُوا بِهَا الْحَقَّ وَاسْتَيْقَنَتْهُ أَنْفُسُهُمْ.

إنهم يعلمون هذا، ويعلمون أن الله عاتب محمداً ﷺ لأنه أذن للمنافقين بالتخلف عنه، وأن الله أَخَّرَ الْوَحْيَ مَدَّةً لِأَنَّهُ اشْتَغَلَ عَنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ. مَنْ هُوَ فِي نَظَرِهِ إِذْ ذَاكَ أَهْمٌ، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١].. الخ. أفلا حاباه ربه؟، كلا لأن مقامه العالي عند الله يستحق أن يحاسبه أعظم مما يحاسب غيره،

(١) البخاري ٣/ ص ١٢٨٢ رقم ٣٢٨٨، مسلم ٣/ ص ١٣١٥ رقم ١٦٨٨، النسائي ٨/ ص ٧٣ رقم ٤٨٩٨، ٤٨٩٩.

كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولكنهم عكسوا الأمر ليتهم لهم ما يريدون ولا قوة إلا بالله.

أما موالاته أولياء الله، ومعاداة أعدائه فأمر أجلا من ابن جلا، وفي الحديث القدسي: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وهو المراد في البيت: ضدان ما اجتماعا... الخ.

فأنشد الله طالب الحق هل عليّ من أولياء الله؟ وهل عاداه معاوية، وكاده حياً وميتاً، ومات على عدائه ولعنه؟ وما حكم من كان هكذا من الذين عادوا علياً وسبوه؟ هل يتناولهم الحديث القدسي، وحديث: (سباب المؤمن فسوق)^(١) أو لا يدخل في الحديث عليّ إجلالاً لمعاوية؟.

وقد يقول قائل: فعليّ لعن معاوية في القنوت، فلماذا لا تحكمون عليه حكمكم على معاوية؟

والجواب أن علياً مُحَقَّقٌ يدور مع القرآن والحق حيثما دارا، وداع من الدعاة إلى الجنة، فإذا لعن داعياً مآ إلى النار، ومحولاً للخلافة الإسلامية إلى ملك

(١) البخاري ١/ ٢٧ رقم ٤٨، البخاري ٥/ ٢٢٤٧ رقم ٥٦٩٧، مسلم ١/ ٨١ رقم ٦٤، الترمذي ٥/ ٢٢ رقم ٢٦٣٥، النسائي ٧/ ١٢٢، البيهقي ١/ ٢٠٩، احمد بن حنبل ٢/ ٢٨ رقم ٣٦٤٧، ٨٣ رقم ٣٩٠٣، ١٢٩ رقم ٤١٢٦ وغيرهم رواه كثير.

عضوض، والمنعش للعصبية والقومية التي أماتها النبي ونهى عنها - فإن اللعن من الحق لمن يستحق حقاً لا فسوق، كمن لعنهم رسول الله، أو لعنهم الله؛ فإن اللعن لمستحقه لا اعتراض عليه، بينما السب لمن لا يستحق السب لا سيما لأول من آمن بالله، أعظم أبطال الإسلام غنائاً في الغزوات والسرايا، فسبّه فسوق الفسوق بنص الحديث في الصحاح.

ألاً ما أغنى المسلمين اليوم عن إثارة الخلافات بعد أن دفتها مئات السنين وتناسوها، وما أشدّ حاجة المسلمين إلى قيام دعوة تبت بينهم الصفاء، وتوثق الصلّات، وتُقوّي الإخاء في عصر أصبحوا فيه شذر مذر، أما إثارة مثل هذه الخلافات التي لا تعود بأي نفع في حاضر المسلمين ومستقبلهم، بل تزيدهم وهناً وشتاتاً وضعفاً بين الأمم، لا سيما إثارة الباطل منها فهو أمر تستنكره العقول وتأسف له غاية الأسف.

أما في قادة الأمة وملوكها ورؤسائها - ويا للأسف - من يتيقظ لخطورة الأمر على دنيانا إذا كان لا يهمهم أمر ديننا.

أما في علماء المسلمين من يرى من واجبه النصح لزعماء الأمة الحاكمين والمناشدة لهم أن يُكُونُوا بدلاً من مثل هذا جمعية ومنظمة من علماء الأقطار الإسلامية. منظمة لا تقيد بسياسة أو جهة، منتقاة من واسع العلم والإيمان، تُؤَسَّسُ ما من شأنه نُشْرُ الحجة والحقيقة، وما من شأنه القضاء على الرواسب المظلمة.

إن الله لَسَأَلُهُمْ عن ذلك، وعن جاههم الذي ما نفعوا به العامّة، وحصروه في نطاق ما يخصهم؛ لا سيما مَنْ لهم شهرة ولكلمتهم قبول، فالمسؤولية عليهم أعظم. أما في قوله سبحانه: ﴿لُعِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة: ٧٨] .. الخ وقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] .. الخ. أما في هذا ونحوه من وعيد الله ما يكفي لتأدية واجبهم على الوجه الأكمل المجدي، لا بمجرد إبلاء العذر يا علماء كافة الأرجاء؟!!

قال قائل رحمه الله^(١): تصلَّبَ في دين الله رجالٌ فَجَّهَزَ من كلماتهم جنود مجنّدة، وجرّد من ألسنتهم سيوفٌ مُهَنَّدَةٌ، ونُكِّسَ لهم رؤسُ الصَّيِّدِ، وخُفِّضَ لهم أجنحةُ الصناديد، وأوهن آخرون فُضِّرِيَتْ بهم الأكالِب، وبالت عليهم الثعالب، إنما حفظوا وعلقوا وشفقوا وحلَّقوا ليقمروا المال، وييسرُوا ذراريح ختّالة، وذراريح قتّالة، وأكمام واسعة، فيها أصلال^(٢) لاسعة، وأقلام، كأنها أزام. أيها العلماء إن غالبية القادة والزعماء بحمد الله يخافون الله ويرجونه، ويجبون الصلاح والإصلاح بدون شك ولا ريب، ويقبلون النصح ويشكرون

(١) للزمخشري في النوابع.

(٢) شعابين.

أهله، وهذا مزيد من الحجة لله على العلماء إن قصرُوا .
إنكم ملاقوا ربكم فماذا أنتم قائلون إذا فلجكم الزعماء بين يديه بأنكم
قصرتم في تذكيرهم، وفي تعليم الناس أمور دينهم، وفي الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر الذي هو واجبكم؟، ماذا سيكون الجواب ؟ وكيف سيكون مبلغ
الحسرات حينئذ؟.

وتصوروا كيف يكون الحال للرؤساء والخاصة والعامّة لو قام العلماء
بواجبهم وأرزت الرذائل، وانتشرت الفضائل، وسقانا الله ماءً غدقاً، وعمت
السعادة، وعلت كلمة الله، وعزّت الأمة؛ واحترمتها الأمم، واقتدت بها، ورغبت
واقع المسلمين الشريف السعيد الرشيد؛ فدخلت لذلك في دين الله أفواجاً،
وزرافاتٍ ووحداً.

ولكن ويا أسفاه ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿١﴾ مَا
يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَأَهْبِئَةً
قُلُوبُهُمْ ﴿٣﴾ [الأنبياء: ١-٣]، بالعاجل الداني والحطام الفاني .

هذا وفي الوقت الذي نرى فيه الدعاة للفرقة والفتنة، نرى الشيوعية تزحف
من أرض إلى أرض، وتنتقل من نصر إلى نصر، وتتسابق الشعوب إلى متابعتها
حتى عمّت أرجاء الصين وهم ثلث سكان العالم، ثم زحفت فالتهمت الهند
الصينية وطردت منها أمريكا مهزومة، وتغلغلت في أوروبا وابتلعت أفغانستان،
وأرست أساطيلها الجبارة في المحيطات، وأنشبت محالبها في جنوب القارة

الأفريقية وغيرها^(١) ، بينما يرى هؤلاء الدعاةُ هذا، ويرون المسلمين لم يبق فيهم من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، قد أغرقتهم الشهوات في الكبائر والملاذات، وتقبلوا فوادح الشبهات الماحية لجوهر الإسلام وأركانه وأصوله - إذا بهم يشتغلون بمسائل خلافية ظنية: مَنْ أصاب فيها فله أجران، ومن أخطأ عفى الله عنه وكتب له أجر اجتهاده، فيقيمون الدنيا ويقعدونها، ويدعون بالويل والثبور على الذين يدرسون سورة يس قلب القرآن على موتاهم وإلى أرواحهم، ويستغفرون لهم وللمسلمين أجمعين، ويشيعون موتاهم بلا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلى الذين يسبحون الله ويوحدونه ليلاً من المنارات لإيقاظ النائمين للصلاة والسحور ونحو هذا من سُنَّةٍ مختلف فيها، أو بدعة حسنة استحسناها أهلها، ولكن بعض الدعاة يرى أن هذا ضلالة؛ وكل ضلالة في النار.

(١) كانت كما ذكر المؤلف حفظه الله، ولكنها قد اندحرت وتكسرت ومزقتها الله شر ممزق ، وصارت الصولة والجولة لأمريكا وخلال كتابة هذه السطور دخلت القوات الأمريكية بغداد، واختفى صدام حسين رئيس العراق، وذاب حزب البعث خلال ثلاث ليالٍ من الزحف على بغداد. وقبل العراق بأشهر احتلت أفغانستان وأزالت حكم حركة طالبان، وهامي تمدد سوريا وتعربد شرقاً وغرباً ، وهي الآن القوة العظمى الوحيدة يتحكم في قيادتها جورج دابليو بوش وشلة من الصهاينة والصهاينة المنتصرين مثل : رامسفلد و.رايس وكولن باول. أتوقع كما هو منطوق التاريخ أن أمريكا تحفر لحفها بظلفها فهي تدعم الإرهاب الصهيوني اليهودي في فلسطين ، كما تدعم إحدى ولاياتها بل وأعظم.

ومن المحزن جدًا أن التعليم في عموم مدارس العالم الإسلامي صعلوك من تغذية الطلاب بما يحتاجونه كمسلمين اللهم إلا النادر لكنه مع اعوجاج، أعرج.

يمشي على ثلاثة كمشية العرنجَل

أما ما يتلقاه الطلاب في أغلب البلدان فضئيل جدًا، وهذا من كيد المستعمرين، لاقى من المسؤولين فينا تجاوبا بل وإجلالاً وإعظاماً، أضف إلى هذا أن التعليم والإعلام بمختلف وسائله في بلدان الإسلام يهدم الإسلام بكلتا يديه، ويشجع كل منهما على التمرد والخروج عليه؛ تعاطفاً مع التعليم والإعلام في البلدان الكفرية، وإعجاباً بحياتهم الماجنة ومحركاتهم فيها.

هذا والحياة السعيدة الخالصة من الشرور والفساد لا وجود لها في أمريكا أرقى بلدان الكفر، وفي روسيا ولا غيرها، فحياتهم منغصة مشوبة بالشقاء والعناء، ثم هي مفضية بهم إلى أتعس وأشقى. وإن الحياة السعيدة الشريفة الهانئة المفضية إلى أسعد وأشرف وأهنأ لا توجد ولن توجد إلا في ظل الإسلام حين يُطبَّقُ وحيثما يطبق عقيدةً وحكمًا وسلوكًا وأخلاقًا ونظامًا.

أقول هذا وأنا أعني ما أقول وعلى يقين مما أعني، لا جزافاً ولا تنجيماً ولا رجماً بالغيب، فويل للمسؤولين عن التربية والتعليم وعلى الإعلام في بلاد المسلمين جمعاء من يوم يُرْجَعُونَ فيه إلى الله يحملون مع أوزارهم مثل أوزار من أفسدوا من العباد، وويل لهم من السنة وأقلام الأجيال الآتية التي ستصُبُّ عليهم اللعنة وسوء الحساب. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى

برق يمان على قدسيّة الإيمان وهو يماني .
تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَحَطُورِي الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي - صنعاء .

www.almahatwary.org

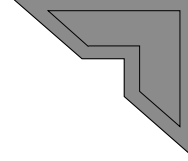
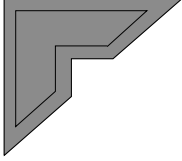
السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ .

اللهم وفقنا جميعا لما فيه رضاك، وأعز الحق وأهله في جميع بلادك وبين
جميع عبادك، وأذل الباطل وأجناده وأجناسه وأنواعه في جميع بلادك وبين جميع
عبادك، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين، وسلام على
المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

٣١ صفر سنة ١٤٠٠ هجرية

برق يمان على قدسيّة الإيمان وهو يمانى .
تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَحَطُورِي الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي - صنعاء .

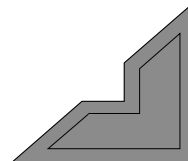
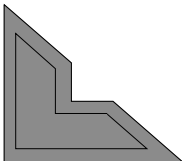
www.almahatwary.org



تعليقات

على

منظومة برق يمانى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمدا يرضاه ويرضى به عنا دائماً بدوام الله رب العالمين، وصلى
الله وسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الأكرمين قرناء القرآن،
وسفراء الديان إلى يوم الدين.

لقيني من جزؤني خيراً على هذه المنظومة "قدسية الإيمان"، وأثناء ذلك لقيني
شاب فقال: أنت صاحب برق يماني؟، قلت: نعم، فقال: قد سمعتُ كثيراً
مرشدين لم يطعنوا في مخالفيهم ولا عابوا مذهبهم، فقلت: أحسنتَ، ولكنك لم
تسمع الجميع، بل ولا شهدت كل مقام قام فيه من سمعَهم، فكيف بمن في سائر
البلاد؟! كما أنني لا أحصي عدد الذين يَتَوَجَّعون، والذين يُحْمَلُونَنا مسؤولية
السكوت، ولقد سمعتُ أنا بعضهم مراراً في أمكنة متعددة وأزمنة مختلفة.

منها أنه قام في مسجد النهريين بين العشائين أحدهم فشرَّح الله تشریحاً
كما يُشرِّحُ الطبيبُ لتلامذته أعضاء الإنسان، واستدل على الجوارح التي
تَوَهَّمَهَا حقيقةً لرب العالمين عز وجل عن ذلك بظواهر من آيات، وأحاديث
ظنية، ومجازات زَعَمَهَا حقائق، وحرفها عن مواضعها، فتحفز غير واحد
لإخراجه وانتهاره، و في الحاضرين الأخ حمود بن عباس المؤيد والأخ يحيى
الصعفاني والأخ يحيى العلفي وآخرون من المتفقهين.

وقد فكرتُ في أنه لو قام إليه أحد لتسابق العامة إلى الرجل بما يسوء،
ولتعذر علينا الدفاع عنه، فأومأتُ إلى كل متحفز بالتوقف، وأوهمناهم بأننا

سرد عليه متى أكمل حديثه. وما أكمل حتى أوعزنا للمقيم فأقام الصلاة مكتفين بأذان المساجد الأخرى، ولم ندع فرصة لأي متكلم. وبعد الصلاة تلقينا اللوم من كثير لعدم إسكاته، وبعد أكثر من ساعة رأيتُه صدفة واقفاً في الظلام على جانب الطريق يتهمس مع معروف عندي من جماعتهم وهو يريد عليه قائلًا: لا، وأشار بيده إلى المسجد إشارةً النفي، أي إنه لم يعترض عليه أحد، وقد لفت وجهه حال كلامه إلى المسجد، فعرفت أن المسألة مدبرة مدروسة. كان هذا حوالي سنة ١٣٨٥هـ أو سنة ١٣٨٦ هجرية.

أما الآن فقد توسعت كثيراً، وتبيّنت مصادرها ومنابعها، لكن قد قال

الأول:

وفي كل شرٍ دعتُه الخطوب شواسعُ منفعَةٍ أو دوانٍ
وأجزاءُ تَرياقِهِم لا تَتم إلاَّ بجزءٍ من الأفعوانِ

وما زالت الدعاة واللوم لنا في تكاثر.

ولقيني البارحة شاب سيماه الصلاح عقيب صلاة العشاء، فقال نحو قول الأول، وزاد أنَّ ثَمَّةً مغرضين يريدون إيجاش الناس من المرشدين، فقلت:- أحسنت، وأود أن نجتمع وتزيدني في وقت أوسع من هذا، واكتفيت بإفهامه أنني لم أعمم كل المرشدين، وبأنني مع الذين يرشدون الناس فيما ينفعهم من التذكير وأحكام الحلال والحرام والخير، ولا يطعنون في الحق ولا يزيفونه، ولا

يزنون الباطل ولا يزخرفونه، فَمَنْ حالهم هكذا من المرشدين فإني لم أقصدَهُمْ
ولا يشير إليهم كلامي، في برق يماني أصلاً، وأرجو أن تتأمله .

هذا وقد شاع وذاع ما ينكر الناس علينا التغاضي عنه من الحملات
المسعورة ضد الحق وأهله، ومن سموم الدعايات الكاذبة المغرضة ضد الزيدية
خاصة، واليمينيين عامة، وتحريف الحقيقة لتضليل الخليفة، فهنا من يتهمهم بعدم
العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهناك من يتهمهم بالشرك وعبادة
القبور، وآخرون يتهمونهم بالكهانة والكهنوت، وغير ذلك كثير مما تنفته سموم
الحقد والبغضاء والجهالة الجَهْلَاء من ألسنة الضالين وأقلام السفهاء مما لا يحتاج
الواقفُ (على مثل هذا) التنبيه على إفلاس المتقولين من المعرفة والعقل والحكمة .
ورغم معرفتي بوقوع وصدور هذا من بعض من أعرف أعيانهم إلا أن
كلامي معهم سلك مسلك الإقتداء برسول الله ﷺ، إذ كان يقول: (ما بال
أناس)، ولا ينكر على معين . وعلى كلٍّ فمرحبا بالنقد الوارد، وأتشرف به
وبالإصلاح لكل خطأ .

ولا أدري ما إذا كان هذا الشاب سيحرص على الاجتماع والمراجعة فيها
ونعمت، وإلا فهذا تأكيدٌ له ولمثله بأننا نُجِلُّ الواعظين الذين لا ينتقصون ولا
يُجَهِّلُون الهداة، ويُعَلِّمون الناس ما يحتاجونه من معرفة الواجبات، والمحظورات،
والمسنونات، والمكروهات، ومكارم الأخلاق وأحاسنها ومكارمها ومساوئها .

فأما ما يتعاطاه بعضهم من التهليك للمسلمين بمسائل خلافية ظنية حَكَمَ رسول الله ﷺ بأنه من أصاب فيها فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ - فإنما يخوضون في الباطل، وفيما نهاهم الله عنه مِنْ زَرْعِ الشُّحْنَاءِ بين المسلمين والتباغض والتدابير، وذلك عكسُ ما أمر الله به من التآخي والتعاون والتوَادِّ، وأن نكون كالبنيان المرصوص، وعكسُ ما حذرنا منه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]؛ لأن المراد بالتفرق المنهي عنه هو تهليك بعضهم لبعض، وتكفيره، ونسبته إلى الشرك والضلال، وليس المراد الاختلاف في الاجتهاد في الظنيات، فهذا قد أَقْرَبْنَا عليه اللهُ سُبْحَانَهُ على لسان من لا ينطق عن الهوى إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، وبتقريره ﷺ لما رآه من اختلاف أصحابه في الاجتهاد، فأقرُّ كُلاًّ منهم: مثل اختلاف عمار بن ياسر وابن العاص، الأول أعاد الصلاة عندما وجد الماء وفي الوقت بقية، والثاني لم يعدها، فقال لعمار: لك الأجر مرتين، وللثاني: أصبت السنة. وعندما صلى بعضهم العصر قبل أن يصل إلى بني قريظة لثلاثين يوماً، وأخرها آخرون حتى أدوها هناك بعد خروج الوقت. وكما قال سبحانه لمن قطع نخيل بني النضير ولمن استبقاها: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]، فأقر كلا

منهم على اجتهاده كما حقق ذلك ورثة الأنبياء عليهم جميعا وعلى آل نبينا
الصلاة والتسليم.

ومن كتب في هذا الموضوع ابن تيمية في رسالة خصّصها بهذا الموضوع
وسماها "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" ذكر فيها أن الخلاف في الظنيات: سنداً
أو دلالةً أو سنداً ودلالةً حاصلٌ وواقعٌ أيام رسول الله ﷺ وأيام الخلفاء
الراشدين وأيام التابعين جيلاً بعدَ جيلٍ ولم ينكر أحدٌ منهم على أحدٍ، ولا هلك
أحد منهم أحداً، ولا زرع ضده البغضاء.

فكيف يجهل هؤلاء هذا وينقمون على من يؤذّن بحجّي على خير العمل،
والحال أنه قد صح لديه أنه كان يؤذّن بها أيام رسول الله ﷺ، وقد قال ابن
تيمية في رسالته المذكورة: "إنه يجب على كل أحد أن يعمل بما صح عنده وإن
كان يراه الآخرون غير صحيح كما فعل أبو بكر وعمر وعليّ فيما اختلفوا فيه،
ولم ينقم أحدٌ على أحدٍ لأنه خالفه في ذلك".

إنهم ليعلمون هذا ولكن بغضهم للزيدية أعماهم وأصمهم وأعمى أبصارهم

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٣﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

إن الحق لواضح، ولكن البغضاء الشديدة تحمل من لا يتقون الله على انتهاز

الفرص، وعلى التعصب بالباطل للباطل على الحق المبين، ﴿إِنَّ الَّذِينَ

تُجَدِّدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا
هُمْ بِبَلِيغِيهِ ﴿غافر: ٥٦﴾ ﴿الَّذِينَ تَجَدِّدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ
كِبْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٣٥] .

والجدال بالباطل في الحق بعد ما تبين أيّا كان نوعه أو جنسه، ومهما
تضاءل أو تعاضم أمره فهو - وإن كان عند صاحبه هيئاً - فهو عند الله عظيم .
وتعصّب هؤلاء وأسلافهم ضدنا و ضدّ أسلافنا منذ القرن الأول للهجرة
إلى عصرنا أبين من أن يُبينَ، لا لشيءٍ إلا لأننا نرى أن عليّاً كرم الله وجهه
تجبُّ موالاته ومحبة أوليائه، وتحرّم معاداته ومعاداة أوليائه كما تحرم موالاته
أعدائه؛ ولذلك قاموا علينا كما قاموا عليه وعلى المهاجرين والأنصار في صفيّين
وما بعدها، وحاربونا كما حاربوه وحاربوهم، واستباحوا دماءنا كما استباحوا
دمه ودماءهم، وهم بذلك يجرحون روايات أسلافنا وينسبونها وإيانا إلى الكذب
والوضع ولا يقبلون حديثنا، ويرون أنّ تشيّعنا لعلّي قاصمةً لديننا، ويبررون
ذلك التمويه بأننا غلاة، وهو محض افتراء يعرفونه في قرارات أنفسهم، فبيننا
وبين العُلُوّ ما بين السماء والأرض، وإنما ذلك مجرد دعوى منهم تتماشى معها
أهواؤهم، ويبررون بها أحقادهم ومواقفهم ضد الإمام علي وأنصاره وذريته في
صفيّين والنهروان والحرة والطف وغيرها.

وحسبك أن تقرأ ما كتبه الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله في كتابه "الإمام زيد"، صفحة (٥١) حتى نهاية البحث، وأيضاً أن تطالع في كتاب (عدالة الرواة والشهود) للدكتور المرتضى بن زيد مبحث التشيع، وأن تستعرض للكلمة:-
مدارسُ آياتِ خَلَّتْ من تلاوةٍ ومنزلٌ وحيِّ مُقْفَرُ العرصاتِ
لآلِ رسولِ اللهِ بالخَيْفِ من منى وبالْحِجْرِ والتعريفِ والجمراتِ
وهذا مجرد تمثيل وليس محل البحث والتحقيق، فالمرشدون اليوم -أي هذا النوع منهم- يثيرون أحقاداً وفتناً قد نامت وهجعت؛ ليحملوا أوزارهم وأوزار من يضلونهم إلى يوم القيامة.

كما نؤكد أننا نتغاضى منذ سنين ونوصي بالتغاضي عسى أن يرجعوا عن غيهم كما قيل:

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه يكونُ وراءَهُ فرَجٌ قريبُ
وكما قيل:

اشْتَدَّيْ أَرْزَمَةٌ تَنْفَرُجِي قَدْ آذَنَ لَيْلِكَ بِالْبَلَجِ
وظلامُ اللَّيْلِ لَهُ سُرْجٌ حتى يغشاهُ أبو السُّرْجِ
وإشفاقاً من الإسهام في المزيد من تفرق أمة محمد ﷺ وتبديد قلوبها، وخوفاً من المشاركة في مسئولية تمزيقها، وأملاً في أن مآسيها قد أفادتها، وأن استهانة جميع الأمم بهم يوشك أن يُوجدَ عندها ردٌّ فعلٍ ويقظةٌ تحمّلها على

سلوك الجادّة، وتلبية القرآن، والراشدين؛ لجمع شتاتها، وتطهيرها من الأدناس،
وردد اعتبارها بين الناس، وتحديد مجدها وعزتها بين سائر الأجناس.

ولكن وبالأسف الشديد يظهر أن يوم اليقظة مازال بعيداً، وأن محاولي
الإصلاح من الراشدين لا يُجَابون كأنهم يُنادون أمواتاً. وأما القاسطون
فُجَابون، ولكنهم يزيدون الأمة فرقة وشتاتاً؛ فقد سلكوا طرقاً شتى كلها
عقيمة، وحاولوا طيلة قرننا هذا الهجري القمري المشرف على الغروب محاولاتٍ
كلها فاشلة، لا يخرجون من فشل إلا إلى مثله فلا يهتدون سبيلاً؛ لأنهم
استبعدوا تجربة: (لا يَصْلِحُ أَمْرٌ آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا).

فِي هُوَّةٍ حُطُّوا وَمِنْ رَأْيِهِمْ أَنَّهُمْ فِي رِفْعَةٍ يَرْتَقُونَ

ولله در ابن دريد إذ يقول:

مَنْ لَمْ تُفِدْهُ عِبْرًا أَيَّامُهُ كَانَ الْعَمَى أَوْلَى بِهِ مِنَ الْهُدَى
وذلك لأنهم جعلوا القرآن بآدابه وأحكامه وأخلاقه ونظامه وراءهم ظهرياً،
واستبدلوا به شيئاً فرياً.

مَنْ نَاطَ بِالْجَهْلِ عُرَى أَخْلَاقِهِ نِيَطَتْ عُرَى الْمَقْتِ إِلَى تَلْكَ الْعُرَى
وإذا نظرت في آية حكومة تحمل لقب الإسلام وجدتها عند الأمم الأخرى
محتقرة، أو أيّ أمة مسلمة وجدتها كذلك. أمّا الحكومات فلأن مصالحها
الخاصة قد أعشّتها عن النظر في المصالح العامة، وأمّا الأمم فلأن استنامتها إلى
الفساد وما يشتهون، وتضييعهم للإسلام ونظامه، وتمردهم على آدابه وأخلاقه

وأحكامه قد أفقدتهم العزة والكرامة وشرف الدارين وسعادتھما، وكلٌّ من
الحاكمين والمحكومين عبيدٌ أهوائهم يجهلون جهلاً مركباً دأهم من دوائهم؛
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ولولا هذا
ما دبَّ في أوصال الأمة الإسلامية الهوانُ والإلحادُ، ولا أضحكتُ إسرائيلُ منهم
العبادَ، ولا بلغ بهم الذل واليأس إلى أبعد مما بلغ بالقائل:

هل يغسل الناسَ من وجه الثرى مطرٌ فما بقوا لم يفارقَ وجهه دنسُ
والأرضُ ليس بمرجُو طهارتُها إلا إذا زال عن آفاقها الأُنسُ
نعم علم الله أننا نغضي سنين على القذى شاعرين بالإثم، إلا أنني أعلل
نفسي برجاء أن يُعذِرنا الله بتخوفنا من أن نزيد الطين بلةً، والحال علةٌ، وأن
يُقبَل منا معالجة الأمر بالنصح في الآذان، والاكتفاء به عن الإعلان، ولكن ما
زاد سكوتنا النارَ إلا اشتعالاً، والحقُّ إلا وبالاً، فاقتنعتُ أننا إنما نعلل أنفسنا بما
لا يعفينا عند الله من التقصير في الواجب نحو الحق والناس أجمعين.

ولما كانت خواطر الفصلين الأولين من المنظومة لا تدعني منذ زمن طويل
كلما خلوت بنفسي من ليل ونهار في كثير من أوقاتي، فقد هجم عليّ نظم نحو
عشرة أبيات عفواً بدون سابق رويّة، فلم أشعر إلا وأنا أترنم بها وأنا أتمشى في
صباح يوم من عشر ذي الحجة الحرام سنة ألف وثلاثمائة وتسع وتسعين هجرية
قمرية في بستان العلمي أروحُ وأفصحُ صُغرى ولدي، وإذا بالأبيات تجري على

لساني بدون كلفة، فلما رأيتها هكذا جاءت بسهولة بادرت بتسجيلها ورغبت في استكمال موضوعها.

ولما كان النكير عليّ لم ينقطع من مختلف الجهات اليمينية لسكوت مثلي عما أشرت إليه وعن غيره من النشاط المعادي للعدل والتوحيد خصوصاً، فقد ألحقتُ بالفصلين ما تلاهما والجميع في حدود فهمي القاصر.

ولما اطلع عليها البعض اقترح أن أمزجها بإيضاحات لمزيد من الإفادة، فكتبت نظرات، وجعلت لها مقدمةً ففاتحةً ذكرتُ فيها تسميتها "برق يمانى"، وترجح لي تنكير الاسم على تحليته بلام التعريف، وإن كان بها ألطف في السمع واللسان، إلا أنه سيكبر الاسم على مسماه، والبرق بأل المعرفة يليق بمجلد ذي تحقيق وتدقيق، لا بسطور تعليق. ولما استعرضتُها بعضُ الأنظار، اقترحَ عليّ بالحاح إعادة كتابتها بخط أوضح وإضافة إيضاحات أخرى يرونها لازمة متخللة للنظم، فكتبت هذه المقدمة وأدجت الزيادات على النظرات أثنائها، وأرجو الله أن يتقبله وأن يغفر ما هو به أعلم، وعذري عند القراء فيما يجدونه من القصور والأخطاء أني لست في العير ولا في النفير، ولهم الشكر على إصلاح ما عسى يجدونه من حطل ويكتشفونه من خلل وزلل وأسأل الله لي ولهم الغفران وحسن الختام.

قدسية الإيمان

عَلِمِي بِرَبِّي شَامِخُ الْأَرْكَانِ
مَا مَرَّ بِي جَهْلٌ بِرَبِّي لِحِظَةً
لَمْ أَدْرِ مَا أَنَا هَلْ أَنَا أَيْ أَنَا أَلِ
أَنَا جُزْءٌ أَوْ كُلُّ أَمْحُسُوسٍ فَحَا
هَلْ مَا تَبَخَّرَ أَوْ تَجَدَّدَ مِنْ وَجْهِ
هَلْ حَدِّي الْجَمَاعُ وَالْمَنَاعُ فِي
أَنَا هَيْكَلِي أَمْ رُوحِي أَمْ نَفْسِي أَمْ أَلِ
إِنْ قَلْتُ مَجْمُوعِي أَقَلُّ أَمْ فِي ذَا
أَلِكُلِّهَا حَشْرٌ وَلِلْكَلِّ الْجَزَا
كُتِبَتْهُ أَوْلَا أَقُولُ: أَمْ فِي ذَا سَيَجِيبُ فَتَانِيَهُ بِالْإِيمَانِ، وَهُوَ صَحِيحٌ فَصِيحٌ،

ومنه قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ، أي فهو يكون.

وأنا أقول: وهذا أرجح إلا أنه قليل الإستعمال، والمعدول إليه مرجوح من حيث إن فمي بالتشديد لم يروها ابن الحاجب في كافيته إلا عن الزجاج، والمعنى إذا سئلت في قري من ربي؟ فهل سأجيب الفتانين بفي هذا الذي أتكلم به الآن بأن تُعاد لجسدي الحياة بالصورة المشاهدة الآن؟ أم سينطق هو لكن على صورة مخفية عن الأحياء؟ أم المجيب الروح أو نحوه؟ .

وإذا كان هذا هو الجيب، فهل يلزم أنه على صورة الجسد على رأي من ادعى أنه كالجسد مُدَاخِلٌ لجميع أجزائه؟ وعلى فرض هذا فليست أنا الجسد ولكني فيه وهو مكاني. أما عَجْزٌ ما كتبتُ أولاً فلعل ثَمَّةَ مَنْ يرجحه فاختر أيهما ترجح لك.

وحد الشيء: الجامع لأفراده، المانع من دخول غيره فيه ، والحَدَثَانِ بكسر الحاء المآسي، وحوادث الدهر: من صغر وكبر وشبابٍ وهرمٍ وأمنٍ وخوفٍ وصحةٍ وسقمٍ وغيرها، والقصد بجميع التعليق الإيحاء للقارئ بمحل الخواطر التي تفتق عنها المنظوم بمثثور يكون أوضح.

هل يقبل العقلُ اعتباري جُثَّتِي
وتفكّري في الروح أو في النفس لا
فالروح ما هي والحياة أهي أنا
أخزائنُ العلومِ جسمي أم سوا
ما حجمُ ذا أم أين ذا أم كيف ذا
ما كُنُهُ ذا ما كُنُهُ ما كُنُهُ
عجباً أجهلُ ما أنا وأنا الذي
اللهُ أشهدُهُ وأشهدُ غيره

كَمَشِيْمَةٍ أَمْ ذَا مَنْ الْهَدْيَانِ
يُفْضِي إِلَى شَيْءِ سِوَى الْمَيْلَانِ
يَاللَّعْمُوضِ وَيَا لَعَجْزِ بَيَانِي
هُ وَأَيْنَ تُصْبِحُ بَعْدَ مَوْتِ عِيَانِي
أَعْظَمُ بِجَهْلِي مَا حَوَتْ أُرْدَانِي
مَا كَيْفُهُ هَذَا الْغَمُوضُ كِيَانِي
بِاللَّهِ بِالرَّحْمَنِ ذُو الْعِرْفَانِ
غَيْرِي وَغَيْرَ حَقِيقَةِ الْحَيَوَانِ

الله أشهده بنصب الجلالة لإفادة التأكيد المناسب لمقتضى الحال بخلاف رفعها. قال البوصيري رحمه الله "ومن شده الظهور الخفاء"

نعم لا يعترني الإنسان شك في نفسه أنه كيانه الحي الناطق الماشي على قدمين، عريض الأظفار، بادي البشرة، مستوي القامة، الضاحك بالطبع، الشاغل للفراغ، المتحرك بالإرادة، المدرك بالحواس الظاهرة والباطنة، وأنه مؤلف من أجزاء وأعضاء، وهكذا كل إنسان؛ فالعلم بهذا ضروري لا يحتاج إلى استدلال، لكنك إذا تَشَعَّبَتْ بك التأمّلات فيما قيل عن الإنسان وماهيته ضِعَّتْ واختفيتَ عن نفسك تماما، مثلا قالوا: إن جسمك يتبدل كل سبع سنين أو نحوها على حسب الخلاف بكماله، وعليه فإذا عُمِّرَتْ سبعين سنة فما سيواري منك القبرُ إلا عُشْرُكَ، أما تسعة أعشار فَسَتُخَلَّفُها على وجه الأرض وهوآئها، وإن أكثر فأقل، وإن أقل فأكثر، ويضاف إلى المتخلف منك المذكور عن باطن الأرض ما قلمت من ظفر، أو أزلت من شعر، وما هرقت من ماء الحياة ودمها^(١).

(١) وما قيل أن ما سبيعت من الجسم هو ما به تقوم الحياة فاجتهاد، وعلى فرض سكون النفس إليه فقد تبدل في المثل مرارا، وكم رددت في خضم التأمّلات قول الشاعر:-

والناس في ظلم الشكوك تنازعوا فيها وما لحوها نهارًا باهرا
وإخالنا في البحر ليس بسالم منه الذي ركب الغوارب ماهرا
❖ في المنجد: ومضارعه للمتكلم المفرد إخال وأخال.

كذلك إذا وقفت على تخرصات الحكماء حول النفس كابن سينا في هبطت إليك من المحل الأرفع

ثم عندما تقتنع أن الإدراك والإحساس على اختلافه غير آلاته، وعندما تقف على تقسيم الأرواح إلى روحاني وجسماني أو تراي . الخ .
وعلى أنظار الأصوليين حول ماهية العقل ومكانه من الأعضاء، وما قيل عن الحواس الخمس الباطنة: الخيال، والوهم، والفكر، والذكر، والحفظ، وأن الحس المشترك في التجويف الأول من الدماغ، وخزائنه الخيال، والفكرة في التجويف الأوسط . الخ .

وعندما تقف على مثل كتاب: جمع الشتيت عن أحوال الموتى، وما جاء فيها من أحاديث يصعب أحيانا ويتعذر أخرى التوفيق بينها، وتود لو رزقت اليقين عن لفظ ومراد رسول الله ﷺ وعن المعنى المتعين في مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] ومثل: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ [النازعات: ٤٦]، هل هو لبث الدنيا، أم البرزخ الذي يرجحه عندي قوله تعالى حاكيا الجواب على الذي مر على قرية حاوية: ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ﴾

[البقرة: ٢٥٩]، وكان قد ظنها يوما أو بعض يوم، وعندما تقف ناظرا إلى بقايا أجساد في قبور جرفتها السيول، أو الحُفَرِ بعد اللبث فيها مئات السنين، وعلى

أجساد محنطة منذ آلاف السنين، وعندما تفكر في أجيال فاتت التاريخ وأجساد
تججرت كما قال:

خفف الوطاء ما أظن أديم الأرز
ض إلا من هذه الأجساد
فلا ترى أثرا لنعيم أو عذاب برزخي، وتجد نفسك منهكة القوى من
الجرى ورآء الحقيقة، وتحس بتزايد الحرص وأنت تحوم وتدور حول الحجاب
العظيم بينك وبينها عسك تجد ثوبا أو نقبا تختلس منه نظرة إلى الحقيقة فتلقّي
عصا الأسفار والتجوال وتستريح من عناء البحث باليقين.

كذلك عندما تقف على دعوى من قال: الإنسان هو جزء صغير محله
القلب، أو دعوى أنه الجسد وحده، وحياته وروحه غيره، أو قول مَنْ زعم أنه
ثلاثة أشياء: الجسد، والروح، والنفس، أو من تكهّن أنه الروح فقط ثم فسر
الروح بالحياة كما قالوا في الجواز المبني على مجاز، ولم يفتن لقوله تعالى:
﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، وأن السؤال والجواب يستبعدان أن يكون
المراد الإنسان وإنما هو شيء غيره.

أو قول القائل: الإنسان شيء ضد الجسم الظاهر والروح الذي يجيى به
ذلك الضد معا، وهما بمجموعهما حيان.

أو تقف على خيال من سلم بهذا وقال به واستدرك بأن الحياة خاصة
بالضد، أما الجسد فموات، ولا تغفل عن أن القائل هما بمجموعهما حيان لم

يذكر الجسد بجياة أو موت، وغير هذه الأقوال التي ذكرها الإمام المهدي رضي الله عنه في شرح الغايات مع شبهها المسماة أدلة.

فإذا ما طوّقتَ بتأملك تلك الأقوال، وطوفت بتلك المعالم، وحططت حولها الرحال استبهم عليك أمر نفسك، وضاعت عنك حقيقتك، وتفرق ما كان مجتمعاً، ولم تعد تنظر إلى نفسك نظرة الفطرة السليمة والتي كنت بها في نجوة من البلبلة والتشكيك، ولو اقتصر الأمر على مصاولة العقول لهان، وأمكن تصفية المعتكر، والتمييز بين الأجر والسليم ولكن الأمر أهم وأخطر؛ إذ هو صراع بين المرئيات والمرويات من جهة، وفيما بين المرويات أنفسها من جهة، وبين المعقولات وحدها من جهة. ومهما كدّت القرائح وكدحت، وجرت وراء كشف الحقيقة جرّي فرس أبي بكر بن دريد الموصوف في مقصورته بقوله:

يجري فتكبو الريح في غاياته حتى تلوذ بالجرائيم السحاحا
فإنها هي الأخرى تجري حتى تني فتلوذ بالجرائيم، ثم لا يبقى معك من معرفتك بنفسك إلا أنك موجود فقط. أما ما يُسأل عنه منك كما يقول المناطقة وأهل البيان بما ومن وأين ومتى وكيف فما إلى تجلّيه من سبيل، فلا حدُّك ولا شكلك ولا كمُّك ولا كيفك ولا مكانك. معلوم أو حتى مفهوم .
ويترتب على هذا الخفاء والاستبهام كثير التساؤلات: منها إن كنت أنا الجسد فقط فماذا ستكون حياتي البرزخية؟ وقد استحالت إلى بخارات

تصاعدت، وذرات تبددت أو عدت عمدًا محضًا على الخلاف في هذا بين المتكلمين، اللهم إلا أن تكون وسائلي الراهنة للمعرفة لا تقدر على إدراكها كالجنين لا يعرف عن أحوال أمه وعن الدنيا شيئًا، وكأننا الآن بالنسبة لأهل البرزخ كالأجنة في بطون الأمهات، أو كالنيام وهم المستيقظون.

أو إذا كنتُ أنا الروح فقط في زَعْمٍ، أو مع النفس على وَهْمٍ، أو الحياة في ظَنٍّ، فهل سيكون لرميم جسدي اتصال بي فيشاركني فيما أكون فيه من خير بفضل الله ومنّه و جوده وكرمه وعظيم إفضاله وإحسانه؟ وما هي وسائلي حين ذاك لإدراك المحسوسات والمعاني والوسائل التي ستسد مسد وسائلي الراهنة؟ وماذا سيقوم مقام اللسان المتكلمة وغيرها من الجوارح الخ من التساؤل العقيم؟ والمهم أنك بإزاء هذه التشعبات والأقوال المُسَبَّبة لها "رغم أنك تمج معظمها بديهة" لا تستطيع أن ترمي شيئًا منها خلفك، فلا تلوي عليه بتأنا - وإن بدا منكرًا مجوجًا وأجاجًا - بل تجد نفسك مشغولة به بلا اختيار كأنه من باب: مَنْ يَسْمَعُ يُخَلِّ؛ وبدافع ما يمليه عليك الإنصاف من الإعذار بالنظر، وإعطاء كل قول حقه منه، ولا أستطيع مع ذلك أن أقتنع به: إما لقصوري، وإما لتقصيري، وإما لأني محجوب، وإما لأني على حق^(١).

(١) وفي حديث السلام على رسول الله ﷺ ما لفظه: (إلا رد الله عليّ روعي.. الخ) ، فإذا كان هذا هو لفظ رسول الله فمفاده أن الروح في البرزخ مزيلة للجسد في البنى، وفي غيره أولى ، وإن رد

والقصدُ بهذا التوضيح أكثر لما تضمنته الأبيات حول الموضوع .
ولصاحب إحياء العلوم أبيات نونية رائعة البلاغة تُعدُّ عندي من السهل
المتنع، تأخذ سلاستها وبلاغتها بمجامع القلب لولا أنه بناها على أحد الأقوال
الخفية، وادعى أنه طائر في قفص جسمه، فليتي أذكر شيئاً منها فأتخف به
القارئ، فهي من سحر البيان، وأهمها قوله:

قل لإخوان رأوني مَيِّتًا فَرَّثُونِي وَبَكَوْنِي حَزَنًا
أَتظنُّون بـأني مَيِّتُكُمْ ليس ذاك المَيِّتُ والله أنا

السلام لا يتأتى إلا بعد ردها، وأنها عنصر من مقومات ذات الإنسان ، ولكن لا يلزم أن الرد يكون
إلى مثل حالتهما في الدنيا، بل يجوز أن يكون على صفة لا نعلمها، وهنا يقال: لا تكاد تمر ثانية من
الزمن خالية من آلاف الصلاة عليه من الأمة، وهذا يقتضي بقاء الروح باستمرار في جسمها كما يقال
أيضا: ما وجه الجمع بين هذا وبين حديث: الأنبياء أحياء في قبورهم؟ وما فائدة الرد وقد انقطع
الثواب على الرد عليه بانقطاع التكليف، ويخطر ببالي أنه والله أعلم مجاز عن استفادة المُسَلِّم عليه
بالأجر، كما لو سلم عليه وردَّ في حياته صلى الله عليه وآله وسلم، وأحفظ من القاضي يحيى الإرياني
حال الدرس في الكشف :

إن حضر القلب لديها أو غفل	ثلاثة مقبولة من العمل
على النَّبِيِّ وآله الهداة	قراءة القرآن والصلاة
وهذه لأنَّه ينقلها	وحسبنا الله إلى آخرها

أنا كز وحجابي طلسم من تراب كان ضيقاً وعنا
أنا عصفور وهذا قفصي طرتُ عنه وبقي مُرْتَهِنَا
كنت قبل اليوم مَيِّتًا بينكم فحييت وخلعت الكفنا
وعياي أي جسمي، وما قيل عن خزائن المعلومات المشار إليه أثناء هذا
الموجز فهو كلام عن محلها لاعن ماهيتها، وهل هي حسية أو معنوية؟ ومهما
يكن فاليقين أنها قَيْدُ الوجود بعد الموت، ولكن هل هي يقظانة، أو نائمة، أو
مختلفة، باختلاف أهلها وأعمالهم؟

وقد تساءلت أين ستكون المعلومات مخزونة بعد الموت إن كان المحسوس
منًا هو خزانها. ولو محا الله معارفنا لكان كل شيء بالنسبة لنا عدما محضا لا
وجود له: لا ذهني، ولا خارجي، ولا كلامي، بل تنتفي الوجودات الثلاثة
بالنسبة إلينا، واليقين أنها ستعود لنا بعد البعث على أكمل وجه، لا يقبل النسيان
كما هو شأنها الآن، لكنها والله أعلم ستظل مجهولة الماهية، ومما تفرد بعلمه
المليك الديان..

والميلان لغة: الزيع عن الحق. والمشيمة: التي يتولد ويخرج فيها الجنين. وقد
عبرت بأشده مكان أعلمه؛ لأنها قد مرت بي في الحياة لحظات قصيرة مراراً
يتجلى فيها يقيني بالله أكثر من يقيني بكل محسوس وملمس، بل ومن يقيني
بوجودي، كما مرت بي لحظات في المنام تماثلها فكان التعبير بأشهد أدل على
ذلك من أعلم.

حَجَبَ إِلَهُ حَقِيقَتِي عَنِي وَعَنْ
جَهَلَتْ جَمِيعُ الْكَاتِنَاتِ حَقِيقَتِي
مَا كَانَ أَوْ سَيَكُونُ ذُو عِلْمٍ بِهَا
إِنْ شَاءَ أَطْلَعُ مَنْ يَشَاءُ أَوْ لَمْ يَشَاءُ
لَمْ يُعْنِ مَا قَالُوهُ فِي الْغَايَاتِ شَيْءٍ
فَهُوَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الدِّ
وَالظَّنُّ مَدْلُولُ الظُّوَاهِرِ لَا سِوَى
فِرْعَوْنَ يُعْرَضُ فِي الدَّوَامِ عَلَى لُظْيِ
وَأَخُو النَّمِيمَةِ فِي الْعَذَابِ وَهَلْ فَمِي
مَجْدٌ لِعِزَّةِ رَبِّنَا سَبْحَانَهُ
كُلُّ الْبِرَايَا إِنْسِهَا وَالْجَانِ
لَا عِلْمَ إِلَّا لِلْعَلِيمِ الْبَانِي
الْعِلْمُ مَقْصُورٌ عَلَى الدِّيَّانِ
فَهُوَ الْحَالُ مَجَاوِزُ الْإِمْكَانِ
تَأْ غَيْرَ قَوْلِ الْبَعْضِ: جِسْمٌ فَايَ
آيَاتِ فِي التَّنْزِيلِ وَالتَّبْيَانِ
وَالْمَطْلَبُ الْقَطْعِيُّ كَالْوُجْدَانِ
أَرْمِيئُهُ أَمْ رُوْحُهُ أَمْ ذَانَ؟
هَذَا الْجَيْبُ: اللَّهُ يَا مَلَكَانَ
عِلْمُ الْغَيْبِ وَعِلْمُ هَذَا الشَّانِ

ثم ثبتت عنان النظر والتفكير نحو الأهم، فقلت:

مالي وماهيتي أنا العمل الذي آتي به في الحشر للميزان
أنا مَنْ تُوعِدُ إِنْ عَصَى بِلُظْيِ وَمَنْ
وسيأتيك التعليق عليها، ولنعد الآن إلى قولي:

حجب الإله حقيقي عني... الخ.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]،
وقال جل جلاله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقد صور

لنا حديثٌ شريفٌ المعلوماتِ التي أوتيناها في جانب المحجوبات عنا بما يعلّق
بمنقار طائرٍ من البحر، وأعظم منه تصويراً للحقيقة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي
الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْحَارٍ مَا نَفَذْتَ
كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، فما لم يطلعنا عليه فمحال الوقوف عليه، وإذا أطلع
من ارتضى على ما يشاء فهو على كل شيء قدير .

ومما لم يطلعنا عليه حقاً ثقتنا؛ فنحن لها جاهلون، والمراد هنا الجهل البسيط
المرادف لعدم العلم، أما الجهل المركب الذي هو جهلنا الشيء، وجَهْلُنَا بأننا
جاهلون به فهو المسمى بذلك لتركبه من جهلين .

قال حمار الحكيم يوماً لو أنصفوني لكنت أركب
لأنني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب

هذا والجهل فيما يتعلق بما كلفنا بمعرفته مما لا نعذر بجهله، ونعوذ بالله منه
هو غير مغتفر؛ لأننا إنما نُؤْتَى من قِبَلِ أنفسنا، فأما متى توفر لدينا الإخلاص في
طلب الحق، وطَرَحَ التعصب جانباً، ووطَّأ أنفسنا على الاعتراف به فقد أخذ
الله على نفسه سبحانه أن يهدينا بهذه الشروط سبيل الرشاد، وأن يجعل لنا
فرقانا .

فإذا رأيت الأمة قد تفرقت فيما لا تعذر فيه عند الله من أصول الدين
والشريعة فاعلم أن الحق واحد، واجتهد في استجلاء الحق فيما اختلفوا فيه
واحذر خطر التعصب لما ألفت أو لمن تحب، فإنك في خطر، وغير مستحق

للألطاف التي تعينك وتزيدك هدىً، وإذا سميتَ مخالفِي الحقِّ علماء بعد أن
يثبتك الله عليه فاقصدْ به الجاز العقلي^(١)، أو فيما أصابوا فيه، لا فيما أخطأوا
فهم جاهلون، فإن قصدتَ الحقيقة كذبت، وإن كنت على وضوء أحدثتَ،
كما يقول بعض العلماء، وكما قالت عائشة أم المؤمنين أو ابن عباس: الحدث
حدثان: حدث من فيك، وحدث من فرجك. وأرواح الناس كما قالوا صنفان.
والنفس أمانة بالسوء، والعقل نَهَاءٌ عنه^(٢) .

وتربية الناس تختلف، وبيئاتهم مختلفة، ومعارفهم تختلف، كما وتصوراً
وتصديقاً اختلافاً كبيراً، وتأثير المدارس، والبيوت، والمدرِّس في تكوين الشخص،
والسلوك والفهم وغير ذلك - قد خالف بين الخلائق مخالفة كثيرة؛ ولهذا كان
منهم: علماء، وجهلاء، وفجرة، وأتقياء، وزانعون، وحنفاء، وكرماء، وبجلاء،
وحلماء، وحمقى... الخ: من قساة، ورحماء، وخونة، وأوفياء.

وإذا تصورنا أعداد المركِّبين من هذه الأشياء ومما لم نذكره منها مضروباً
بعضها في بعض مقادير وكماً وكيفاً - كانت أعداد الناتج أضعافٍ أضعافٍ

(١) كقولك للأعمى يا بصير، أو من باب ؛أدعوهم بأحب الأسماء إليهم.

(٢) وفي معناه قيل:

والجسمُ أصلُ فَرَعَتَهُ قَدْرَةٌ فأبان خالقه حصيً وجواهرها

عدد المركبات من حروف الهجاء التي لا حصر لها^(١)، ولعل هذا والله أعلم وجه من وجوه حكمة تكاثر الأجيال، وتراخي الزمان ربما حتى يستكمل العدد الذي نيّطت به حكمة الله أحكم الحاكمين وأحسن الخالقين^(٢).

ومع هذا فإن القَدْرَ المشترك بينهم هو القدرة والتمكن والفهم لما كلفهم الله به، والتمكن من صعود درجات القُرْبِ من الله، والهبوط في دركات البعد عنه، وهم في هذا على سواء، وما زاد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ﴿تِلْكَ

الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

والعبادة تصفي الأرواح والنفوس في كُلِّ بحسبها كَمَا وقبولاً عند الله، وموقعا، وحلالا في الرزق، ومعرفة لله وإخلاصاً؛ ولذلك يوجد من تذكر عنهم غرائب وكرامات، ومَنْ تتجلى لهم بعض الحقائق، والعلم بأحوال الآخرة

(١) كما قال الأول:

وبدائع الله القدير كثيرةٌ فيخُورُ فيها بُنْنا ويَحَارُ
هذي حروفُ اللفظِ سطر واحد منها يُؤكِّفُ للكلامِ بِحَارُ

(٢) وقيل إن رجلاً نظر إلى القبور وهي مسنمة فشبَّهها بجمال باركة فقال:-

جمالٌ مناخاتٌ بأثقالها نَامَتْ، ولم يستطع أن يتم البيت، فسمع هاتفاً يقول:
أناخت لباقيها متى استكملت قامت.

والبرزخ على تفاوتٍ ويختلف تقويمهم للأشياء والحقائق ظاهرها وباطنها عن تقويمنا.

ومن ذلك قول الإمام علي كرم الله وجهه: " لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا"، وقوله: "إني لمن قومٍ قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل"، وهذا مما علم بالتواتر والنظر، ومن واديه قوله تعالى في حديث قدسي: (ولا يزال العبد يتقرب إلي بالطاعة حتى أكون سمعه الذي يسمع به.. الخ الحديث والعكس صحيح، وقوله تعالى: ﴿فَسَنِيئِرُهُ لَلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٧]، و: ﴿فَسَنِيئِرُهُ لَلْعُسْرَى﴾ [الليل: ١٠]، و: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، و: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

أريد أن الطاعة تنير القلب بحسبها، والمعصية تعمي القلب بحسبها، ومن الصالحين من تنكشف له وتتجلى أمور - ونحن وإن كنا محجوبين عنها بصدأ الآمال والغفلة والريب بما كسبت أيدينا كما أشرت إليه في الآتي من المنظومة وهو: لكنهم لظلام أنفسنا تواروا عن مدار كنا.. - إننا رغم أننا محجوبون نعرف هذا، ومن أنكره منا فمن باب إنكار الأعمى لما يراه المبصرون، والأصم لما نسمع من الأصوات. كما نعلم أن مدار كنا لا تؤهلنا لما أهلتهم له درجاتهم الرفيعة كما نرى على أفئدتهم ووجوههم نضرة النعيم، وسعادة الرضى واليقين،

تلك السعادة التي لا تنال بملك الدنيا في كل زمنها ومنتهى ملاذها كما ذكرتُ
ذلك بقولي آخر القدسية هذه:

وَأَنعَمَ بِمَا فِيهِ الْهَدَاةُ مِنَ النِّعَمِ مِ الْآنَ مَا لِنَعِيمِهِمْ مِنْ ثَانِي
وقول الإمام علي كرم الله وجهه: " قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في
العمل " يفيد هذا فتأمله مليا تجده رطبا جنيا وتقرُّ به عينا إن كنت تقيًّا؛ ففي
عناهم نشوة الانتصار على أنفسهم، ومُتَعَّة الرضى، ولذة الشوق لما أعد الله لهم.
هذا ودلالة الآيات الكريمة في مخاطبة الناس والكلام عنهم مثل:

﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ [آل عمران: ٦]، وإسنادُ الأيدي والأرجل والصَّمَمِ
والبَكَمِ والخروج من الأجدات كُله متوجه إلى أجسامنا أولا وبالذات، وبما أن
التكليف منوط بالعقل ووجوده من عدمه، وبالقدرة وهي محسوسة فيظهر أن
الإنسان هو الجسد وما حوى. قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ
مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

وقد أدى النظر في هذه المسألة إلى وجود من أنكر البعث والجزاء
الجسماني ونعوذ بالله منه فهو ضلال مبين لا يغتفر، ولولا أن دلالة الظاهر ظنية
لا قطعية لما ترددت في اعتبار هذا رِدَّةً ومصادمة للآيات منها: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا
الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

وقد دلت في القطعة الآتية تحت عنوان الحشر بما لا يبقى معه للناظر الخائر أي شك بتاتا، وذلك بأن الحشر والبعث جسماني لا روحاني فقط، وإذا حصل لك القطع بأدلة العقل فإنها تُعَيَّنُ المعنى المراد من ظواهر الآيات لوجوب رد المتشابه إلى المحكم.

أما حَوْلَ الإنسان ما هو؟ فالراجحُ من معاني الظاهر أنه الجسم وما حوى رغم أن مطلبي البرهان القطعي كدلالة الوجدان والتجربة والمعلومات الأولية الضرورية مثل: إن الواحد نصف الاثنين، والنار محرقة، والإسبرو مخدر وأنى لي بذلك.

والذي رَجَحْتُ في قولي: جسم؛ فإني أردتُ بما فيه، ولا يدفعه ما استشعرتُ بعده من إيرادٍ عليه بقولي: فرعون.. الخ كما قال الله سبحانه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

وعذاب النَّمَامِ والذي كان لا يستنزه من البول فإنه وإن لم يظهر على الأجسام فلا يمتنع أن تُخَصَّ الروح والنفسُ أو نحوها بعذاب البرزخ، كما لا يمتنع أن يكون تراب الأجساد هو الآخر في عذاب أو نعيم يحس به ولا ندركه بمداركنا الراهنة، وكلا الأمرين غيب ولا يُظْهَرُ سبحانه هذا إلا لمن شاء؛ ولا يُطَّلَعُ على غيبه أحدا إلا من ارتضى، ونحن وُكِّلْنَا إلى الظنون، ومن أصاب في ظنه الحقيقة فلن ينتقل إلى العلم حتى يأتي الحال المذكور في قوله: ﴿فَكَشَفْنَا

عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصْرَكَ أَلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ [ق: ٢٢] ، وكم ظنون ادعاها أهلها
معلومات فانكشف غلطها وخطؤها .

وفي الثمانينات من قرنا الرابع عشر الهجري القمري أجرى الدكتور
"برنارد" في جنوب أفريقيا عملية نقل القلب من إنسان لآخر لأول مرة في
تأريخ البشر؛ فانقلبت نظريات وتصورات من شبه حقائق ثابتة إلى أوهام كاذبة
خاطئة، كما كشف تفجير "النواة" في هورشيما ونبجازاكي في الخمسينات من
هذا القرن عن كذب نظريات فلسفية كانت نابعة عن اعتقادهم الفاسد الباطل
باستحالة انقسام النواة والذرة وفنائها، وادعوا بذلك بقاء المادة وأزليتها وعدم
قابليتها للفناء فنسف الله هوسهم وزعمهم بتفجيرها، وثاب كثير منهم إلى
الرشد؛ لأن ما استحال عدمه وجب قدمه، وما وجب قدمه استحال عدمه،
كما أجمع على هذا الفلاسفة والمتكلمون ولم يشذ عنهم دهري ولا غير دهري .
فأما قصار النظر من مقلدة الفلاسفة المعاصرين الذين استحكم فيهم الهوى
والشيطان وأنفوا عن التسليم والرجوع إلى الحق: فمنهم من غالط، ومنهم من
سكت بعد أن استيقنت أنفسهم من أن بقاء المادة خرافة انتهت إلى الأبد .
وبعد فإنه وإن كان ما خضت فيه مهماً فإن الأجدر بي أن أتوجه إلى النظر

في الأهم من وجودي ومنقلي فقلت:

مالي وماهيتي أنا العمل الذي آتي به في الحشر للميزان
أنا من تُوعِد إن عصى بلطى ومن ربي براه لدائم الإحسان

حقا ما برى الله مكلفا إلا ليمن الله عليه بإحسانه الأبدي حتى إبليس؛ فهو أرحم الراحمين، وذو الفضل العظيم، الغني عن العالمين؛ فضلا عن تعذيب أحد، العليم باستغنائته، العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة، الحكيم. فَمَنْ آثر الحياة الدنيا فإنما آتى من جهة نفسه، وما دهاه إلا أسفله وأعلاه وانقياده لهواه، وتمرده على نُهاه، ولا يهلك على الله إلا هالك.

أما علمُهُ جل وعلا بهلاك الهالك فلا تأثير له فيما عملوه، واختاروه بمحض اختيارهم، وإرادتهم، ولم يرضه لهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، إلى كثير من آيات الله التي تنفي محبة الله، وإرادته للعسر، والفساد، والعذاب. وكل هذا لا يخفى ولا يخفيه إلا متجاهل لما يستيقنه تعصبا ومحافظة على ما قد استأنس به واستنام إليه من فهم فائل، ومعتقد باطل، حتى إذا جاء الحق وانحسرت دواعي العصبية وجد ما زعم ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ [النور: ٣٩]، وعند ذلك تعظم حسرته يوم الحسرة، وتتفاقم الندامة يوم القيامة حين لا يغنيه ذلك من الله شيئا، وحين يتبين له أن ما كان يظنه في دنياه توحيدا لله وتقديسا إنما كان ذمّا لا مدحا ولا تنزيها ولا توحيدا.

فعلينا أن نخلص لله في البحث عن محض الحقيقة خالصة من الشوائب، وأن نُفِيح من غمرات الحياة وسكراتها قبل ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَنحَسِرْتِي عَلَىٰ مَا

فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴿ [الزمر: ٥٦] ، وعلينا أن نَشْخَصَ بِأَبْصَارِنَا وَبِصَآئِرِنَا إِلَى مَا
أَمَامِنَا أَلَا وَهُوَ الْبَرَزَخُ وَنَعِيمُهُ وَجَحِيمُهُ ، فَهَذَا نَحْنُ جَمِيعًا مِنْهُ عَلَى قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ
أَدْنَى .

مالي وماهيتي أنا العمل الذي آتي به في الحشر للميزان
أنا من توعد إن عصى بلظي ومن ربي براه لدائم الإحسان

حياة البرزخ

الموتُ طفْلٌ والحياةُ ببرزخٍ تُطوى على ما ليس في الحسابِ
مهما يكنُ فالمرءُ حسَّاسٌ متى أضحي رهين اللحد والأكفانِ
وتساؤلي هل يعلمون بحالنا وتعاورِ الأفراح والأحزانِ
أبروننا لكنهم لا يملكو نَ القول أم في عالم النسيانِ
أيسُّرُهُم ما سَرَّنا ويسُّوهُم ما سَاءَ إن صحَّ الحديثُ شفاني
لكننا لظلام أنفسنا توا روا عن مدار كنا توارِي الجانِ
منا عَشٍ عنهم وآخِرُ مُبصرٌ بُتقاهُ والجمهورُ كالعميانِ
منهم نيام كالعروس وشاحصٌ للظلي ونظارٌ لروض جناني
أما الشهيد فلا تسَلُ عن حالٍ مَنْ تبتت له عندية الرَّحمنِ

لعل التواتر المعنوي حاصل على وجود حياة البرزخ؛ للعموم، وثابت
بالنص القطعي في بعض، مثل: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾
[غافر: ٤٦]، و ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [غافر: ٤٦]، فهو قطعي فيمن وردنا
فيه.

وإنما قلت البرزخ ولم أقل القبور؛ لشمول البرزخ لمن أحرقتهم النار، أو
أغرقهم خضيرٌ، ومن نهشتهم السباع، وتخطفتهم الطير ونحو ذلك.

ومن أحاديث البرزخ حديث أصحاب القَلْبِ، وحديث الترغيب في تحسين أكفان الموتى، والتزاور بين الأموات، وحديث احتواشهم للوافدين من الأموات عليهم واستخبارهم عن أحوال أهل الدنيا حتى يسألوا عن الهرة؟ فيقال: فلان تزوج، وفلان بنى، وفلان كذا حتى يقولوا ما حال فلان؟ فيقول: ألم يأتكم قبلي؟ ، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد سُلِكَ به غير طريقنا، أي طريق العقاب.

وحديث إن الميت ليعذب ببكاء أهله، وحديث روضة من رياض الجنة الخ.. وغير ذلك، ومن أحب الإمام فعليه بجمع الشتيت للأمير، وأمثاله للسيوطي وغيره.

ومن قواعد المحدثين أن التصحيح والتضعيف كان عملا بقواعد قَعَدَوهَا وإلا فقد يكون ما ضعفوه أو كذبوه صحيحا في الواقع ونفس الأمر والعكس؛ والقاعدة والتضعيف تقلل الاطمئنان إلى كثير؛ فيفقدان التواتر المعنوي لاسيما مع ورود متناقضات، أو شبه متناقضات، أو ما يحتاج الجمع إلى تكلف فيه أو تعسف للجمع بينها، وفي قريب منه قال أحمد:

جاءت أحاديث إن صحت فإن لها شأنا ولكن فيها ضَعْفَ إسناد وقد جاء في حديث مُنْكَرٍ ونكيرَ قولهما لبعض: نَمَ نَوْمَةَ العروس، وهذا يوحى أنهم لا يعلمون بحالنا فلا يسرون بسرورنا والعكس، خلاف ما في حديث سابق، وفي حديث إن الميت يوصي الماشين في جنازته ما يدل على أنهم يروننا، وفي آخر إن الأرواح على يمين وشمال آدم في السماء إلى غير ذلك، أما

المرآئي المنامية وهي جزء من الوحي فحدّث عن البحر ولا حرج، وظلام الذنوب يحجبنا عما ينكشف لأهل التقوى على تفاوت بينهم في الانكشاف، وهو ما أردتُ بييت: أيروننا... الخ، وبيت: لكننا لظلام أنفسنا... الخ. وفي حديث: (لو بقيتم على تلكم الحال لصافحتكم الملائكة في الطرقات)، وكثافة الحجاب والظلام تتفاوت: فمننا من هو في حكم الأعمى، ومن هو في حكم الأعشى. نسأل الله سبحانه أن يغفر لنا، وأن يرحمنا، وأن يسامحنا، وأن يعفو عنا وأن يتجاوز عنا وأن ينور قلوبنا وبصائرنا ويختم لنا برضوانه آمين.

هذا وإذا كان البرزخ أهم من الموت وما قبله فإنه أهون مما بعده؛ لأن له نهاية هي بداية لما هو أشد وأفزع ألا وهو الحشر والنشر، ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١]، قيل: من تحتهم، أو من منابت شعورهم، يسمع من كل شعرة: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة إن الله يأمرُكُنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء، ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق: ٤٤] ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣]، ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاوَاتُ كَالْهَلِيلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ٨ - ١١]، أي يبصر بعضهم بعضًا فلا يسأله عن حاله؛ لأن لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٢٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٢٥﴾ وَصَلْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٢٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]. وكيف لا يذهل وينشغل بنفسه وقد حُمِلت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة كما قال رب العزة القهار، والملك الجبار: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاوَاتُ فَهِيَ

يَوْمِئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَحَمَلُ عَرْشِ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ
 ثَمِينَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمِئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
 كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَةَ
 ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا
 وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
 بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَهَا
 كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ أَيٰ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُبْعَثْ ، ﴿٢٨﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٢٩﴾ هَلْكَ عَنِّي
 سُلْطَانِيَةَ ﴿٣٠﴾ خَذُوهُ فَعْلُوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
 سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٣﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَحْضُرُ
 عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٥﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن
 غَسَلِينِ ﴿٣٧﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٨﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَمَا لَا
 تُبْصَرُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا
 تُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٣﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾
 ﴿٤٥﴾ أَيٰ لَمْ يَقُولِهِ رَسُولُنَا الْكَرِيمِ وَلَا افتراه علينا ، ﴿٤٦﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٧﴾
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٩﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ
 عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٥١﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٥٢﴾
 وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥٤﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ
 رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٥﴾ [الحاقة: ١٦ - ٥٢] .

الحشر والبعث

وعلمتُ أُنِي سَوْفَ أُنْشَرُ ثَانِيًا
جَسْمِي وَمَا يَحْوِيهِ أَشْهَدُ أَنْ لِي
جَسَدِي وَمَا فِيهِ لِأَشْهَدُ أَنَّهُ
مَنْ مَدَّنِي بِالسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ مَنْ
مَنْ صَاغَ مِنْ عَدَمٍ وَجُودِي قَادِرٌ
مَنْ صَاغَ مِنْ عَدَمٍ كِيَانِي أَوْلَا
مَا خَلَقْنَا إِلَّا كَنَفْسٍ كُلُّنَا
عَلِمَ الْيَقِينِ وَمُنْتَهَى الْإِيقَانِ
حَشْرًا بِنَصِّ الْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ
سَيُعِيدُهُ مِنْ زَانِي بَيْنَانِي
بِالْعَقْلِ كَرَمِي وَنُطْقِ لِسَانِي
أَنْ يَجْمَعَ الْأَنْقَاضَ لِلْبَيَانِ
أَهْوَنُ بِشَأْنِ إِعَادَةِ الْجَثْمَانِ
فَإِذَا أَرَادَ أَعَادَنَا بَثْوَانِي

الإرادة الإلهية

بَلْ لَا ثَوَانِي فَالْمَرَادُ هُوَ الْإِرَا
فَاللَّهُ فَرْدٌ لَا يَحِلُّ وَلَا يُحَا
كَمْ آيَةٍ فِينَا تَشَامَخَ فُهُمَهَا
مَا أَتَقَنَّ الْمَلَكُوتَ جَلَّ حَكِيمُهُ الـ
جَلَّ الَّذِي مِنْ مَحْضِ عَدَمٍ جَاءَ بِي
وَكَمَا يَشَاءُ وَمَتَى يَشَاءُ الْخَلَاقُ مَنْ
دَةٌ إِنَّ هُدَيْتَ لِمَا إِلَيْهِ هَدَانِي
لَ وَلَا يُجَزَّأ. ذِي شَرْوُنُ الْفَانِي
عَنْ فَهْمِ بُقْرَاطٍ وَعَنْ لَقْمَانَ
صَمَدِ الْبِدِيعِ مَفْنَنِ الْأَفْنَانِ
وَبِقُدْرَةِ صِفَةِ الْوُجُودِ كَسَانِي
مِنْ سَابِقِ الْعَدَمِ الْقَدِيمِ بَرَانِي

سيعيد تركيبه كما قد كان للـ
دع عنك زعمَ تقادُمِ الذرات أو
من لوثة الهديان زعمُ تقادم الـ
هذا التناقض لا سبيل لدفعه
لم يَعُدْ ذاك وذا العنادُ أو القصو
ومن المقرر في العقول وفي الأصو
أحرى به وشهادة الإمكان
قَدَمَ الثبوتِ فذا من الهديان
ذرات لا التركيبِ ذي الحدثنان
أبدا لدى الدَّرَاكَةِ الفَهْمَانِ^(١)
ر أو الإبا رُغْمًا لكل بيان
لِ حَدوثٍ غيرِ الخالقِ الديّانِ

(١) توضيحه أن التسليم بحدوث التراكيب يستلزم بحوث المادة؛ إذ لو قَدَمَتْ المادة لم يكن بُدُّ من مؤثر للتركيب الحادث؛ ضرورة احتياج الأثر إلى مؤثر فهو إما المادة أو غيرها ، الأول يستلزم قدم التراكيب؛ لأن ما وجب للذات لا يتخلف عنها فهو مقارن لها في الوجود، وإن تقدمت العلة حكما فالوجود متقارن وذلك ينافي ما اتفق عليه من حدوث التراكيب ، ويستلزم أيضا انتفاء البسيط الذي ادعوا تركيب المركبات منه وهو الهيولى والصورة اللتان زعموا أنهما عرضان بسيطان حل أحدهما في الآخر فتحيزا فصارا جسما. والثاني وهو أن المؤثر غير المادة إن كان مقارنا موجبا لزم قدم التركيب؛ لأن ما وجب للذات لا يتخلف عنها ، وأيضا يحتاج إلى مخصّص له بالتأثير دون المادة ، وإن تأخر كان حادثا كالتركيب ورجع التردد في محدثه كما في محدث التركيب ، وإن تقدم على المادة كان ذلك معنى حدوثها . انتهى باختصار من العصمة عن الضلال للحلال ، وأقول: ذكرهم للهيولى والصورة مجرد احتمال وتصور لا طريق إلى العلم به ، فما أشهد الله أحداً من خلقه كيف فعل سبحانه. بقوله سبحانه: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف:

فهو الذي وجب الوجود لذاته
ودليلنا العقلي أحجم كلّ كفّ
لولا قضى بمعادنا ما كان تكليد
ما للمات بُرِيَتْ كَلاً لَأَ وَلَا
الله من عدم براناثم في الـ
ما آد ربي بَدُونًا ومعادُنَا
ما شد شيءٌ مَّا عن الإحكام في
ما ذرّةً كونتها عبثًا ولا
ومن المحال وجود مخلوق خلا
الجد والإحكام والإحسان من
وخلودنا في فضله ونعيمه
ودوامه الأوّلى فَمَنْ غَيْرُ مِم
ومفادُ آيات الخلود وإنما
ومدللًا أن المعاد ضرورة
وحياتنا فيها التظالمُ فالمعا
وفناؤنا بالفعل قبل خلودنا
فوجودنا وفناؤنا ومعادنا

أزلاً وعزّ وجلّ عن إمكان
إدليل الكون والأكوان
فأولا كنا ولا الكونان
لقصير عيش شأبه الضدان
أطوار سيرنا الحكيم الباني
لكماننا التطوير لا النقصان
ملكوتك اللهم والإتقان
لعبًا ولا لهواً خذوا برهاني
عن حكمة بهرت وعُظُم الشان
طبع الوجود وطابع الأكوان
أولى ببرهانيين لا برهان
نون مفاد الوصف بالمتان
بيّنت حُكْمَ العقل للحيران
لرجوحه وزيادة اطمئنان
دُ ضرورة للعدل والإحسان
أولى من الإبقاء في الإمكان
فخلودنا في غاية الإتقان

وأصولنا حكمتُ بأن فعّاله لن تعدو الموصوفَ بالرجحان
تلك الأدلة آيةٌ أو حكمةٌ يمنيةُ الإيمانِ وهو يماني
الاستعارة بالكناية في "نص العقل" جديرة بلفت نظر القارئ إليها لقوة
مناسبتها، وكذلك الاستعارة المكنية التبعية في "أشهده" أول المنظومة في بيتين
حيث جعلتُ مكان "اعلم" تشبيهاً للمعقول بالمحسوس، وارتفاعاً به إلى درجة
النص القرآني والمشاهدة بالعين الجارحة، فقد أضمر تشبيه الدلالة العقلية بالدلالة
المحسوسة بالعين وبالنص القرآني الكريم، ولم يُذكر شيء من أركان التشبيه،
وُدلَّ عليه بشيء من لوازم السمع القاطع وهو النص هنا، وبشيء من لوازم
المحسوس في "أشهده" وهو الشهادة، ثم تبعت الاستعارة في الفعل الاستعارة في
المصدر مؤكداً بما تحصيل الدلالة العقلية لعين اليقين الذي يحصل بالمشاهدة
وبكلام الله جل جلاله.

والأدلة السمعية القطعية على حشر الأجساد ماثلة في مواضع كثيرة من
الكتاب العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت:
٤٢]، فلم أضف إليه الدليل العقلي لحاجة المؤمن إلى ذلكم كلا، ولكن ﴿وَيَزِدَادَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المدثر: ٣١]، وقد قال
الحق جل جلاله لعبده وخليله عليه السلام: ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِن كُنْتُمْ
لَيْسْتُمْ مِنْ عَابِدِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ثم لحاجة الكافر الذي لا يؤمن بالسمع ولا
يعترف به، ولحاجة الشاك الذي لا يطمئن به ولا تسكن نفسه.

وقد أثرتُ في هذه القطعة السالفة دفائن عقولنا في موضوعها في عدد من الأبيات، كل بيت منها حقيق بالتأمل طويلاً، وأوفيتُ البحث حقه بحيث لا ينتهي الحائرُونَ من كامل الأبيات بامعان كامل حتى يحصل لهم اليقين الحاصل لنا ببعث الله للأجساد، وسأزيد وضوح الأبيات بوضوح في هذا المنثور لبعضها ليتم وضوح على وضوح.

فأقول: القدرة على إعادة شيء أهون عقلاً من القدرة على اختراعه وابتدائه لأول مرة، وقد ابتدع البديع سبحانه تأليف المادة وتركيبها، وهذا على التنازل للشاك والخصيم الممين، أما الحق الذي لا امتراء فيه فإن الله ابتدع المادة ابتداءً وخلقها من العدم المحض ثم أَلَّفَهَا، فلنبق على تنازلنا للخصيم الممين ولُنُجْرِي كلامنا معه في حدود ما يسلم هو به فنقول: وإذا كان قد قَدَرَ على تأليف أجزاءنا، وركبنا وصورنا في الأرحام كيف يشاء؛ فأيسر من ذلك وأهون عليه أن يعيد تركيب أجزاءنا مرة أخرى. هذه واحدة هداك الله وإياي سواء السبيل.

ثانياً: أجمع أهل النظر، ممن آمن وكفر أن الإتيان في الصنع والإحكام المتناهي شمل كل كائن مما جل ودق، وأن النظام مسيطر سيطرة تامة في جزيئات الذرة وما دونها، فما بالناس ما هو أكبر، وسيادة النظام والقوانين الدقيقة المحكمة المهيلة، وخلو الكائنات من الفوضى مطلقاً، وانتفاء العبث مطلقاً في كل ما قد كان - دليلٌ على انتفائه عقلاً وعادة وتجربة في المستقبل أيضاً، ﴿صُنِعَ

اللَّهُ الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٧٨﴾ [النمل: ٧٨] ، و ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾
[السجدة: ٧] ، وإلى هذا أشارت آيات كثيرة منها: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ
تُدرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] ،
فلو لم يقض الله سبحانه برجعنا إليه، ثم يبعثنا ويخلدنا لكان خلقنا عبثاً وهو
ولعبا تعالى الله عنها علوا كبيرا، وكان منافيا لصفات حكيم وغني ورحمن بل
وكريم وغيرها، وقد أشار إلى هذا بيت:
لولا قَضَى بِمَعَادِنَا مَا كَانَ تَكُّ لَيْفٌ وَلَا كُنَّا وَلَا الْكَوْنَانِ
وبيت:

ما للمات بُرِيْتُ كَلًّا لَا وَلَا لِقَصِيرِ عَيْشٍ شَابَهُ الضَّدَانِ
لأن الغرض من خلق الكونين جاء تبعا للغرض من خلق المكلفين بمعرفته
وعبادته فلا يقبل العقل أن يخلقنا حياة نسعد فيها ونشقى ونلابس النعم والألم
والعافية والسقم ثم يفنينا إلى الأبد وهو غني عن خلقنا أولاً، وعن تجرعا
للمكاره، كَلًّا ما كان الله ليخلقنا لهذا؛ وإنما خلقنا للخلود في فضله وإحسانه،
وما نَمَّةً مِنْ شَاهِدٍ يدل على أن الله خلق هذه الحياة وجعلها غاية، بل كل
الشواهد تشهد على أنها وسيلة وممر إلى دار أخرى هي الغاية.

وقد نهنا الله إلى هذا وأنه حكيم لا يعبت ولا يلعب، وغني لا يحتاج إلى
خلقه مطلقا، وتفنن القرآن الكريم في إيصال هذا الشأن إلى عقولنا وتغذية
أفهامنا كقوله جل شأنه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا

﴿ تَرْجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥] ، و﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَوًا لَّاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَعَالِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦ -

١٧] ، وكلمة "لو" كما نعلمه من النحاة حرف امتناع لامتناع إذا لم يكن للحجواب سبب سوى الشرط كما أوضحه الأزهري على قواعد ابن هشام .

ومثل هذه الآية سائر الآيات التي نَفَتِ العِبَثَ واللَّهُوَ بالمنطوق وبالمفهوم، وأثبتت الجِدَّ بالمنطوق وبالمفهوم، وبدلالة الاقتضاء تارة، وبدلالة اللزوم أو التضمن أخرى، وكم من آية كريمة نبهتنا إلى الجِد، والإحكام مثل آيات: ﴿قَدْ

أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] ، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخِرًا فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعِيثُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ

إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٦] ، فقد شرح الله لنا الأطوار التي مرت وتمر بنا، وقصة الإنسان من البداية إلى النهاية، والمراحل التي تَنَقَّلُ ويتنقل: فيها من سلالة، إلى نطفة، إلى مضغة، إلى جنين، إلى مولود، إلى طفل، إلى يافع، إلى شاب، إلى كهل، إلى شيبة، إلى هرم، إلى موت إلى بعث.

وكما أن المراحل كلها معلومة بالمشاهدة لنا تَنَقُّلُنَا من طور إلى طور
ولكنها جادة، ومحكمة، ومنتقنة لم يبق منها إلا أخرى المراحل، فإننا عند النظر
في إتقان ما مضى وما عُلِمَ نعلم أن آخر الأطوار هو طور الكمال والوصول إلى
الغاية لا النقص وهو البعث فالخلود، والله در بن دريد إذ يقول:

مَنْ قَاسَ مَا لَمْ يَرَهُ بِمَا يَرَى أَرَاهُ مَا يَدْنُو إِلَيْهِ مَا نَأَى
وكأنه جل وعلا في عظموته قال لنا: إِنَّ مَا شَاهَدْتُمُوهُ كَافٍ فِي اقْتِنَاعِكُمْ
بِمَا لَمْ تَشَاهِدُوهُ فَهُوَ دَلِيلٌ بِالْفَحْوَى عَلَيْهِ، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين علي كرم
الله وجهه: " لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا".

وَمِنْ لَفْتِ الْأَنْظَارِ إِلَى أَنْ مَا ظَهَرَ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَضْمَرَ وَبَطْنٍ - قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ نُنَجِّيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القيامة: ٤٠]، وقوله: ﴿وَنُحْيِي الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، وهو المشار إليه بقولي:

اللَّهُ مِنْ عَدَمٍ بَرَأْنَا شَمَّ فِي الْـ أَطْوَارِ سَيِّرِنَا الْحَكِيمِ الْبَانِي
صدق الله، وسبحانه وبحمده، فإن ما نشاهده ونلمسه ونحسه بجميع
مداركنا وحواسنا الظاهرة والباطنة من إحكام وإتقان وإحسان وامتنان وانتظام
في أي شيء من هذه الدلائل التي لا تحصى ولا يحيط بها تصور ولا خيال -
فإنه كاف في الدلالة على الله وعلى كماله وتعالیه عن العبت واللهو واللعب
التي هي من شأننا، ولعل افتتاح سورة الأنبياء بوصفنا بالغفول والإعراض

واللعب واللهو والظلم وسوء التقدير والفهم المعرب عنها بقوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ
السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣]، ثم تعقيب ذلك؛ والتعقيب في كل شيء
بحسبه بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ [الأنبياء:
١٦]، لعل من المراد لرب العباد أن نقارن بين ما نحن عليه وما هو عليه، وفيه
من أنواع البديع التضاد.

وإذا تجلّت لنا قدرة الله على بدئنا وهو الأشق في الشاهد، فلم يؤدّه، تجلّت
لنا أكثر قدرته على إعادتنا؛ لأنه أخف وأيسر، على أن الأمرين بالنسبة للتقدير
سبحانه على سواء، إنما يختلف المقدور يسرا وعسرا بالنسبة لنا؛ لأننا قادرون
بقدره لا قادرون لذواتنا ، كما أن تطويرنا هو من أدنى إلى أعلى لا العكس؛
فهو إذن لكماننا لا لنقصاننا؛ لأن النقصان نقصٌ في الكمال لا يليق بذي
الجلال، ولا يشكل عليك مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا
وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]، هذا بالنسبة لحياة الدنيا وهي بأسرها فانية لأنها وسيلة لا
غاية، فالضعف فيها بعد القوة لم يخل من الحكمة إذ هو مؤقت، وهو رحمة وأي
رحمة، لحملة للعبد على تلافي الرجوع إلى الله من فُرطاته في سنّ الشباب
والغرور ، وكما يستحيل وجود أي مخلوق خاليًا عن حكمة في الماضي؛ فإنه
يستحيل مستقبلًا؛ إذ لا تأثير للزمان مطلقًا.

ثم استطردتْ أَوْلَوِيَّةَ خلودنا في فضل الله وإحسانه على انقطاعه عقلا،
وبرهانه الأعظمُ النقلِيُّ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾
[ص: ٥٤]، (وخالدين) وغيرهما، فهما برهانان: عقلي ونقلي لا برهان واحد؛ كل
منهما كافٍ بمفرده لإثلاج الصدر ببرد اليقين، يضاف إلى ذلكم أن وصف الله
بالمنان الحنان وغيرهما من أسمائه الحسنی يقضي بذلكم.

ثم استشعرتُ ما قد يَعْنُ من التساؤل: لماذا لم يُعَفِنَا اللهُ عن العبور بالحياة
الدنيا ويخلقنا حياة الخلود رأساً؟ وأجبتُ بأن حكمة الله اقتضت إفناءنا قبل
الخلود لتخرج القدرة عليه من الكُمُونِ إلى الظهور كما خرجت قدرته على
إيجادنا بالفعل من القدرة بالإمكان فقط إلى القدرة بالفعل، وهذا حق له تعالى
مضاف إلى ما اقتضته الحكمة من التكليف، وسرُّه العظيم الذي منه أن نستحق
الخلود استحقاقاً لا مجرد تَفَضُّلٍ علينا به وذلك لقاء ما قاسيناه في الدنيا من تعبها
ونصبها فتبارك الله خير الحاكمين وأحكم الحاكمين، وله الحمد كما يجب،
وكما يجب دائماً بدوامه.

ولو ظلت قدرته على الإفناء كامنةً، وأنعم علينا رأساً بالخلود في إنعامه -
لما امتنع قطع الخلود، ولما كان أولى من إفنائه؛ بل لكان الإفناء هو الأولى
للخروج من الإمكان إلى الفعل؛ إذ هو حق له سبحانه، ولا حق لنا في الخلود
يتعارض مع حقه، ولو فرضنا محالا التعارض لكان حق الله هو الأولى؛ فأنعم

النظر وأمعنه في هذه الفأئدة القيمة، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ثم عززت ما تفيده آيات الخلود بأن المعاد ضرورة وذلك لرجوحه على عدمه ولجلب المزيد من الطمأنينة للمؤمنين بذكر أرجحيته؛ ولأن هذه الحياة مليئة بالتظالم فلا بد من المعاد للتناصف، والأعواض، والثواب، والإحسان وهو التفضل الرباني بما يزيد على الاستحقاق كما وعد من لا يخلف الميعاد.

ثم لوحث بلؤلؤة الأصول، وواسطة عقد المعقول التي تبارت فيها عبقریات الفحول، تلك قاعدة الرجحان وأن الله لا يفعل إلا الأصلاح والأرجح، وهو حق ما عليه غبار، فقل لمن حار:

قد تنكر العين ضوء الشمس من وينكر الفم طعم الماء من سقم

والمقدار الذي لا يحسن تجاوزه في هذه الخلاصة فيما يتعلق بها هي قولهم: الرجحان هو الذي يدعو الفاعل، ويبعث على الفعل وهو المراد بالحكمة، ويقابلها العيب وهو الفعل لا لداعٍ أو لداعٍ مرجوح، وأحسن منه اختيار المرجوح أو المساوي، وهو في حقه تعالى محال، وهذا توضيح للبيت:

وأصولنا حكمت بأن فعّاله لن تعدوا الموصوف بالرجحان

هذا وقد استطردت أثناء هذه القطعة الإرادة الإلهية بحسب ما اقتضاه السياق، وقد اختلف فيها المتكلمون كاختلافهم في صفات الذات والأفعال، وحسبك للسلامة أن تؤمن أن الله مريد، وأن ما يريد أن يكون فهو يكون، وأن

قدرته على إيجاد المراد لا تحتاج إلى الزمن، فالقدرة الربانية متمكنة من إيجاد كل ما كان وما يكون في لا زمن، وبعبارة أدق لا في زمن. أما إيجادها للأشياء كالسماوات والأرض في ستة أيام، والنبات والأجنة في مُدَدٍ مقدره لها وغير ذلك، فليس ذلك لحاجة القدرة إلى الزمن، ولكنه لِتَطَابِقِ القُدْرَةِ الحِكْمَةِ المُرَجَّحَةِ، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

كما لا يخفى أن إحداث المراد لا يستلزم فهم حدوث الإرادة ولا أزلتها، وأزليتها لا تستلزم أزلية المراد، فإذا وقفت عند هذا فلا أراك إلا قد أخذت بالأسلم ونجوت.

وقد ذكرتها اضطراراً لما جاءت كلمة: ثواني قبلها مقفية البيت وهي توهم الحاجة للزمن فلزم رفع الإيهام ببيت بعده وجعلت له عنواناً لأهميتها. هذا واستطرد بعض الأدلة على وجود الله في سياق الحشر؛ لأن اليقين بالحشر والحساب فرع اليقين بوجود الله وصفاته، وثبوت الحشر يتوقف على ثبوته، فمن المستطرد دليل الحدوث في بيت:

ودليلنا العقليُّ أحجم كلَّ كَفِّ - أَرِ دَلِيلَ الْكُونِ وَالْأَكْوَانِ
لأنه إذا تقرر في العقول حدوث الكائنات وجب وجود المحدث، وخلاصته أن كل جسم تراه: لا يخلو عن أن يكون متحركاً أو ساكناً، مجتمعاً أو متفرقاً، فإذا رأته ساكناً ثم تحرك علمت أن ذلك السكون قد عدم، فإذا سكن بعد تحركه علمت أن الحركة التي كان بها متحركاً قد عدمت وخلفها سكون، فهذا

السكون الأخير هو غير السكون الأول، فإذا تحرك الجسم بعده عدم السكون الثاني ووجِدَتْ في الجسم حركة هي أيضا غير الأولى، فالحركة والسكون إذاً يوجدان ويعدمان، وقبولهما للعدم دليل أنهما محدثان قابلان للعدم، ووجدنا مع ذلك حاجة الجسم إلى أيهما، وعدم استغنائه عن وجود أحدهما بحيث يتعذر أن يوجد خاليا منهما معا، بل كلما ارتفع السكون حلت الحركة فيه والعكس، فلما كان الجسم لا يوجد إلا بوجود أحدهما فيه وهما محدثان علمنا أنه محدث مثلهما، وهكذا الاجتماع والافتراق فتأمل بإمعان.

وعلمنا أيضا وحتمًا أن التغيير من حركة إلى سكون أو العكس مفتقر إلى المرجح وأنه يستحيل بغيره وبغير فاعل.

وإذا عرفت حدوث الكائنات علمت ضرورة أنه لا بد لها من محدث أحدثها لاستحالة وجود أثر بدون مؤثر عقلا؛ وهذا في غاية الوضوح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وجوابنا على نفاة الأعراض، وحماة الأغراض:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
أليس من العجب أن يفهم كل حيوان أنه لا بد من مؤثر ، فلو رجعت كلبًا
نائمًا فإنه يهرب مذعورًا يبحث عن الراحم ليفر منه، ولن تجد كلبًا يظل في
هذه الحال مطمئنًا لا يفهم له غريمًا إلا الحجر؛ فكيف يتبادل بعضنا عمدًا لكي
يقنع آخرين بأنه الغبيُّ وأن الحيوان بالنسبة إليه ذكي؟ .

وأثناء تدريسي قبل سنتين لطلبة وكان في يدي كتاب من أنفس المخطوطات خطأً وحجاً بالذهبة واللآز، وأنواع من المداد نحو تسعة خطوط كل صفحة، كل خط فاصل بينهما أدق من الشعرة لم يختلف، والمؤلف من أجل ما قرأنا، فأجبت على سؤال أحدهم بما يناسب سؤاله قائلاً: لو سألتني إنسان عن هذه النسخة وقد هاله ما هالنا من روعتها فقال: من المؤلف؟ فقلت: يحيى عزيز^(١) ، فضحك الطلبة والسامعون ضحكاً عالياً، ثم سألت: ومن حجه هذا الحجب المعجز؟ فقلت: العزي بابلي، فضحكوا أكثر ، فقال: ومن الناسخ فقلت: علي عنيسة، فضحك الجميع، فقلت: ولو سألنا نحن أمس عندما سمعنا بانطلاق أول صاروخ حمل إنساناً إلى القمر عن صنعته واخترعه؟ وعن أطلقه؟ ومن صعد فيه؟ فأجابنا المسؤول ووزع هذه الأمور على الثلاثة المذكورين، فأغرق الطلبة في الضحك، فقلت: إن الإسناد إلى الصدفة للكائنات أسفه وأسخف بكثير وأكثر مجوناً ومزحاً من الإسناد إلى الثلاثة البله؛ لأن لهم قدرةً ووجوداً وحياءً بخلاف الطبيعة والصدفة فغاية في سفه العقول.

(١) هذا والاثنان الذي بعده أسماء بلهٍ عاصرهم المؤلف.

ولما لم تجد العقول مهرباً من التسليم بوجود الخالق للكائنات، اللهم إلا مَنْ
حبطوا فقد تهربوا بدعوى لا تغني، ولا تستطيع أن تستقر على قدميها أمام
العقل لحظة واحدة.

تلك هي زعمهم الفاسد أن المادة قديمة، والمُحَدَّثُ هو تركيبها فقط،
فساد هذه النظرة ظاهر من قولنا: إذا سلمتم بحدوث التراكيب فلا بد من
مؤثر للتركيب؛ لضرورة احتياج الأثر إلى مؤثر باتفاق، فالتراكيب تحتاج لمركب
لها، فإن كان التأثير من باب العلية بأن تكون المادة هي المؤثرة وجب قدم
التركيب؛ لأن المعلول لا بد أن يكون مقارناً لعلته في الوجود كالشمس وضياؤها
لما حولها، والمصباح ونوره لما حوله؛ كلما أنزنا المصباح أضواء ما حوله: ولا
يتصور أن يتخلف النور عن الإنارة؛ لأن الإنارة علة، ووجود النور فيما حوله
معلول.

وقد بينوا أن الترتيب بين العلة والمعلول إنما هو ذهني لا غير، أي ليس في
الوجود؛ لأن وجود كل منهما مقارن لوجود الآخر، وعلى هذا يلزم أنه لا
وجود للجزئيات والبسائط بل المادة قديمة، وتركيبها قديم لقدمها.

كما أنه يلزم من زعم قدمها عدم فنائها وعدم تغيرها، والواقع خلافه،
وإن كان المؤثرُ ليس علة لزم تقدمه على المادة وهو الفاعل المختار وهذا ما
أشرت إليه في بيت:

مِنْ لَوْثَةِ الْهَذْيَانِ زَعْمٌ تَقَادِمُ الـ ذرات لا التركيبِ ذِي الْحِدْثَانِ

فأما قَدَمُ الثبوت فهو وإن كان قد قال به علماء أجلاء؛ فإنما قالوا به ظنا منهم أنه لا بد للعلم الأزلي من متعلّق يتعلّق به ككل صفة، والمراد غير النحوية، وظنوا لزوم تقدم المتعلّق، وحيث إن المعلوم حدوثة فقد جعلوا له ثبوتا غير موجود؛ ففرقوا بين معنى ثبت ومعنى وُجِدَ، وجعلوا التفرقة مصطلحا علميا لهم، حيث لا فرق بينهما في المصطلح اللغوي، كما فعلوا نحوه بين القديم والأزلي^(١) والحقيقة أنه لا يلزم من تعلق العلم بالمعلوم قَدَمُ المعلوم كعلمنا بالجنة لا يلزم أن يحصل العلم بها حتى توجد، بل يوجد العلم بها وهي في العدم، وكتصورنا للدنيا والعالم بعد ألف عام فإنه يصح تصوّره قبل وجوده، كما يقال لهم أيضا: الثبوت عَرَضٌ كالوجود لا يستقل أيهما بالوجود في غير موجود، ولا محل لهما إلا الأجسام في المخلوق، وأنتم تقولون بهذا، فكيف يصح ما زعمتم، وهذا مجرد تقريب لا أنه محل النظر.

هذا واعلم أيها القارئ ويا أيها الباحث أن الأدلة العقلية وبراهينها الصاعدة لا يحتاجها المؤمن إلا ليزداد الذين آمنوا إيمانا، وإلا لإقناع الكافر المنصف المستعد للإذعان للحق متى وجدته في جانب مُنَاطِرِهِ، وإنما يحتاجها العالم ليحاجج بها الكافر العنيد ليقطع شبهته، ويدحض حجة الملحدين، أو لتثبيت

(١) أي كان قبل الوجود الثبوت.

المؤمن الذي إيمانه على شفا جرف تزلزله لضعف فهمه شبهة الوسواس الخناس، أو سحر بيان الكفور الميين؛ فإن من البيان لسحرا، فأما المنصف الفاهم مؤمنا كان أو كافرا أو حائرا فإنه إذا أمعن نظره في آيات الله البيّنات، وحججه الصادعات التي أودعها كتابه الكريم وتزيله العظيم، واستبطنتها أكثر السور فيما يتعلق بوجود الله، ووحدانيته، وجميع صفاته: من القدرة، والحكمة، والعلم وغيرها.

وفما يتعلق بعباده، وحالهم، ومآلهم، وما يسعدهم، وما يشقيهم في حاضرهم ومستقبلهم، فإن الناظر المنصف يجد في كتاب الله سبحانه ما يُسْتَصْعَرُ بعده كل برهان، ويستسمح مع تبيانه كل تبيان، مع فارق عظيم وهو أن آيات الله كلما تليت بتدبر زادت التالي إيمانا واستحسانا واستعدادا ورغبة وإكبارا واستجلاء لدقائق وغوامض لا تنقضي ولا تنزف، وكلما عاودت تلاوته زادك علما وازددت له إعظاما وبه إعجابا، وكل دليل تطرقت إليه العقول قد اشتمل عليه كلام العليم الخبير.

وعلماء الكلام جزاهم الله خيرا ما دونوا تلکم المؤلفات إلا خدمة لما في كتاب الله، وتفسيرا لمقاصده؛ لأساليب وترتيب في الاستدلال تُقَرِّب من فهمه، وتقطع الطريق على المعاند والمغالط، فحدث مع الأسف تحامل من بعض العلماء المؤمنين الذين خفي عليهم مقصدهم، واستغلق عليهم أسلوبهم؛ فانصدعت الجماعة وصارت حزبين، وكان منهم من أجهد نفسه في الغض من علم الكلام،

والتحذير عنه وعن المتكلمين، وكاد بعض خصومهم أن يُخرجهم من حظيرة الإسلام، وزهّدَ في علومهم، وجعلها من المحقرات بل ومن المنكرات، ونفّرَ منها جهده. ومن المعلوم أن اللدادة في الخصام والجدال والمرآء تخرج صاحبها عن الإنصاف، وتحمله على الغلو في الاعتساف. والمؤمن مُصدّقٌ إلا في سلعته، ومن جهل شيئا عابه.

لذلك أنصحك أيها القارئ أن لا تعتمد ما تقف عليه من هذا القبيل، وانظر في حال نفسك، فإن عرفت أن ذهنك وفهمك وذكاءك تؤهلك للغوص في دقائق علم الكلام، وأنتك ذو قدرة على إدراك الحق والحقيقية، والصدّر من بين الشبّه الدقيقة، وآنست من نفسك هواية للفن؛ فحُضْ في بحاره موفقا معانا بإذن الله على شريطة أن تكون مخلصا دينك لله، وإلا تكن كذلك ففي كلام الله سبحانه غاية المطلوب، والحاجة التي في نفس يعقوب، ولكن لا تنتقص مع ذلك علم المتكلم، ولا تغض من شأنهم فتشارك من فَعَلَ في حرج أقحموا أنفسهم فيه جعلهم الله أجمعين بمنه وفضله ممن قال فيهم جل جلاله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] ^(١).

(١) وللموضوع تنمة في آخر المنظومة لا تتم فآندته إلا بها.

ومما يجدر بنا ذكره هنا وإن كان قد طال الكلام هذه الجملة الرائعة للإمام محمد ابن إبراهيم الوزير رحمه الله في: إيثار الحق على الخلق، فهي تقوم مقام مجلد كبير في علم الكلام، قال رضي الله عنه ص ٥٩ و ٦٠: "ومن أنفع ما تُدفع به الحيرة أنه لا بد من لزوم المحارة في العقول على كل تقدير، والإسلام أقل المحارات من جميع الملل الكفرية، وبالإسلام تندفع كلها وتخرج العقول من الظلمات إلى النور، وانظر إلى هذا العالم المحسوس بالضرورة تجد المحارة العقلية لازمة لوجوده؛ لأنه لا يخلو بالضرورة من الحدوث أو القدم، فالقدم من محارات العقول، والحدوث من غير مُحدثٍ من محاراتها بل من محالاتها، فالمحارات أقرب من المحالات؛ لأن الممكن البعيد أقرب من الممتنع، ولا ثالث لهذين الأمرين إلا الإسلام، وإلى هذا أشار من قال:

صورة الكون محال وهي حق في الحقيقة

لكنه أخطأ في تسمية المحارة محالا، فإن كانت المحارة لازمة للإسلام فهي لما عده أزم، فإن كان هذا اللزوم حقا فالمحارة حق؛ والحق لا يستوحش منه، وإن كان باطلا فالباطل حقيق بألا يستوحش من خشيته؛ لأنه لا شيء حقيقة، فكيف الخوف من لا شيء؟: فمن لم يثبت الرب قديما أثبت العالم قديما، ومن لم يثبت له أسماءه الحسنى بلا سبب أثبت العالم بإحكامه وعجائبه بلا سبب، ومن لم يقبل الإيمان بالبرهان والقرآن قبل الكفر بلا قرآن ولا برهان، وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ حيث قال: (لا يزالُ الناسُ يتساءلون حتى يقولوا: هذا اللهُ

خلق الخلق فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ ؟ ! (١) ، وأمرنا بالاستعاذة والانتهاة حينئذ؛ لأنه يقال للكافر: فإذا أمكن وجود العالم بغير خالق؛ فأولَى منه وجود الرب بغير خالق، ودلّ على أنه لا بد من انتهاء الموجودات الممكنة إلى واجب الوجود عز وجل" انتهى كلام الوزير؛ فخذها بقوة أيها القارئ فإنها والله تحفة لا تقدر بثمن، وكلما زدتها نظراً ازددت فهماً وعلماً.

يزيدك وجهها حسنا إذا مازدتها نظرا
وقول الوزير: لا بد من انتهاء الممكنات إلى واجب الوجود هو المراد من
بيتي:

ومن المقرر في العقول وفي الأصو ل حدوثٌ غير الخالق الديان
والذي يليه:

فهو الذي وجب الوجود لذاته أزلا وعز وجل عن إمكان
لأن البراهين قامت على أن الأكوان متغيرة؛ وأن كل متغير حادث، وأنها
ممكنة الوجود، وكلٌّ ممكن وجوده جائزٌ عدمه، ومستحيلٌ قدمه، وواجبٌ
حدوثه، وواجبٌ وجودٌ محدثٌ له، ومحدثه لا بد أن يكون واجب الوجود، وإلا

(١) الاعتصام ٩/ ١١٩، البخاري ٦/ ٢٦٦٠ رقم ٦٨٦٦، مسلم ١/ ١٢١ رقم ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ابن حبان / رقم ١٥٠، أبي داود ٥/ ٩٢ رقم ٤٧٢١، البيهقي في السنن / ١٠٤٩٧.

يكن واجب الوجود فإنه سيجب أن يكون له في النهاية مهما تعدد الوسط
محدثٌ واجب الوجود، وإنما هو الله وحده.

وقال بعض العلماء: الله هو الذات الواجب الوجود المستحق لجميع
المحامد، أي المستحق لصفات الكمال المطلق وحده، ولم يرض بهذه الحقيقة
آخرون فقالوا: هو اسم لصفات الذات الواجب الوجود، نظرا منهم إلى أن
الاسم الشريف مشعر بالمدح، والأعلام لا تشعر بمدح أو ذم^(١).

والعَلْمُ أيضاً ما وضع لتمييز مسماه من جنسه، والله لا جنس له، أي إن
الجلالة علم شخصي لا جنسي، وعليه فهو حقيقة لأنه استعمل فيما وضع له.
وقال آخرون ليس حقيقة ولا مجازاً؛ لأنهما من خواص الأمور الكلية؛ والأعلام
موضوعة لمعان جزئية، وعليه فهو واسطة بينهما كما في حاشية عرفة على
الشرح الصغير، وقال بعض: قد صار علما بالغلبة بعد أن كان موضوعا بإزاء
صفة ذات.

(١) ولا يرد أن اللقب يشعر بمدح أو ذم ، فهذا لا يصدق عليه حقيقة العَلْم، وهي ما دل على شيء
بعينه غير متناول غيره بوضع واحد؛ لأن هذا يدل بوضعه على مجرد الذات فقط، وذاك يقصد به من
الأصل المدح والذم للذات؛ فالعَلْم أخص من اللقب.

هذا ومن وجب وجوده استحاله عدمه واختص بالأزل، فإذا عاد الفكر بعد هذا يتساءل كما في الحديث الوارد في كلام ابن الوزير أجيب عليه بقوله: إذا أمكن وجود الخلق بدون خالق؛ فوجود الخالق بدون خالق أولى أي أقل استحالة من وجود الخلق بلا خالق؛ فالفكر بين مستحيل بدرجة، ومستحيل بدرجتين، فإذا كان قد قَبِلَ المستحيل بدرجتين وهو وجود الخلق بدون خالق فأولى وأحرى أن يقبل ما هو في نظره أقل استحالة وهو وجود الأزلي المطلق واجب الوجود، وهذا مجرد لفت نظر إلى ما تُجِئُهُ وتُكِنُّهُ عبارات ابن الوزير رحمه الله التي يحتاج تفصيلها إلى مجلد، والجديرة بقول الأول:

ليس البلاغَةُ معنًى	فيه الكلام يطوّل
بل صَوْغٌ معنًى جليل	يحويه لفظ قليل
يظنه الناس سهلاً	وما إليه سبيل



فإلى الخلود وأرتجي من فضل رب	سي أن ينجيني من النيران
ومن العذاب ببرزخي والخوف عند	د النفخ في صُورِي ومن ميزاني
يا من ذخرتَ أجلاً رحمتك التي	وأجلَّ غفرانِ ليومي الثاني
خلاقَ رحمة كل أمٍّ أو أب	في الوحش والحيتان والثعبان
في الصقر يغدو ساغبا من وكره	بعزيمة التموين للفرخان
رحماك بي يا خالقي رحماك بي	يا رازقي رحماك يا ديانِي

عَمَلِي يُجَرِّعُنِي الْمَخَافَةَ وَالْأَسَا طوبى لمن فازوا بحسن خواتم
أَمَلِي بَعْفُوكَ لَا سِوَاهُ أَمَانِي وَيَلُّ مَنْ وَلَّى صَرِيحَ أَمَانٍ^(١)
رَفَهَا وَغَرَّهُمُ الْقَلِيلُ الْفَانِي وَيَلُّ مَنْ فَتَنَتْهُمُ الدُّنْيَا بِزُخْـ
أَلْفٌ مَضَى أَوْ لِحْظَةٌ سَيَّانٍ هَلْ عَنْهُ أَغْنَتْ أَلْفُ عَامٍ قَدْ مَضَتْ
حَذَرْتُهُ فَلِيحْذُرِ الْإِثْنَانِ إِيَايَ بَلْ إِيَاكَ بَلْ إِيَايَ قَدْ
نعم لقد وضح وضوح الشمس في رائعة النهار أن الله سينشئنا النشأة
الآخرة، فهيا بنا إلى الخلود، أيها الشهود.

وَصُورِي: جمع صورة كصوف وصوفة. وُبُسْرٍ وَبُسْرَةٍ: أي صُورٌ أجزائي.
ومن ميزاني: عطف على النيران، وفيه من عيوب البلاغة ضعف التأليف لم أهتد
لأحسن منه، أي من عاقبة ميزاني، ففيه مجاز بالحذف. وصریح أمانی: إما جمع
أمنية وقد ذم الله الأمانی في غير آية، أو تريد به الأمان ضد الخوف، ﴿فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وهل عنه أغنت الخ: يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ
سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

(١) تصلح جمع أمنية بالياء وتصلح بحذفها بمعنى أمان من الأمن ضد الخوف.

يُمْتَعُونَ ﴿ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧] . وَلَمَّا عَلِمْتُنِي أَحْوَجَ مِنَ الْمَخَاطَبِ لِلنَّصِيحِ
والتذكير قلتُ: إياي مرتين وإياك مرة، نفعنا الله جميعا آمين.

وصية ونصيحة

أوصيك بالإخلاص عند البحث عن حَقِّ وَبِالتقوى عن البهتان
وعن اتباع هواك والتقلد أي - أ كان للقاصين أو لللداني
وعن العداة لما جهلت والانخدا ع بشهرة لفلان او لفلان
وانظر لما قالوه لا تنظر لمن قالوا وحاذر فتنة الفتان
مما روى التاريخ أن علياً كرم الله وجهه لما صرع عمرو بن عبد ود وأراد الإمام
أن يُذَفِّفَ عليه - تفله عمرو في وجهه؛ فانصرف علي عنه وقتاً، ثم عاد فأثمهاه؛
ولما سئل عن السبب قال: خفت إن أجهزت عليه تلك اللحظة أن يدخل في
عملي لله شيء من الغضب لنفسي؛ فانصرفت حتى أمنت على عملي من ذلك.
وحاجة العمل للإخلاص أعظم من حاجة الحي إلى التنفس والهواء والماء،
فإنما يتقبل الله من المتقين. فإذا قمت بالبحث عن الحق فاطلب به الحق كما
يطلب الغريق الإنقاذ؛ لا يلوي على شيء سوى النجاة.
وإذا كان اتباع الهوى، وكذلك التقليد بتعصب للأبَاء والمشائخ من
المهلكات، ومما ينبغي محاذرتة ومجانبتة؛ فبالأولى الأبعاد، كما يجب تجنب المعادة
لما يجهله المرء، فعسى أن يكره شيئاً وهو خير له والعكس.

وقد حظي كثير من العلماء بشهرة عظيمة خالدة تربي في النفوس إكبارا لهم، ومغالاة في حسن الظن بهم وبدقة أنظارهم، ولا عصمة لأحد منهم ولا لغيرهم من الخطأ، إنما العصمة لمن أخبر الله أو الأنبياء لا سوى.

فواجب الباحث عن الحق أن لا يتكل إلا على بذل وسعه والإنصاف في بحثه، فإذا وجد له موافقين في اجتهاده كان على ثقة أنه من الوفاق لا من التقليد، سواء كان من توافقه من المحظيين بالشهرة والأتباع، أو من المغمورين. وواجب الباحث عن الحق أن لا ينظر فيمن قال، وإنما ينظر فيما قال، فالرجال يعرفون بالحق، لا أن الحق يعرف بالرجال.

قال الزمخشري رحمه الله في أطواق الذهب: "امش في دينك تحت راية السلطان - أي البرهان - ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان، فما الأسد المحتجب في عرينه أعز من المحتج على قرينه، وما العنز الجرباء تحت الشمال البليل أذل من المقلد عند صاحب الدليل، ومن تبع في أصول الدين تقليده فقد ضيع وراء الباب المرتج إقليده".

وقال في الحث على النظر: "املاً عينيك من زينة هذه الكواكب، وأجلهما في جملة هذه العجائب؛ متفكراً في قدرة مقدرها، متديراً في حكمة مدبرها، قبل أن يسافر بك القدر، ويحال بينك وبين النظر" انتهى.

ولا يقدر هذه النصيحة حق قدرها إلا من تصور واستحضر حاله يوم يقال: ﴿يَنْحَسِرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

وهذا ما توحيه فكرة الأربعة أبيات السالفة. نسأل الله لنا التوفيق أجمعين؛
آمين.

الثقلان

يا حائر استمسك بجبل الله إن خفت الوقوع غدا بدار هوان
لا تعد عن نهج الكتاب ونهج آ ل محمدٍ إن الهدى الثقلان
من مثل باقرهم وصادقهم وكا ظمهم وكالسجاد والإيراني
من مثل زيد يا ترى والناصر ال أطروش أو كالقاسم الرباني
يشير البيتان الأولان إلى حديث الثقلين المتواتر، ولا يشك في تواتره إلا
قاصر الاطلاع، ولا يغمز في صحته إلا من في قلبه مرض؛ والحديث أشهر من
نار على علم، وقد ذكره أكابر علماء السنة بخير ونوهوا بالفضيلة، أذكر منهم
شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في مواضع كثيرة من مؤلفاتهما ، ورددا مثل
حديث: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل
بيتي لحي) ^(١)، وحديث الاصطفاء، والكساء والمباهلة، وآية ذوي القربى، وآية
إذهاب الرجس. ومنهم الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، والإمام محمد بن إسماعيل
الأمير في الروضة الندية ^(٢)، وغيرها، والسيد محمد رشيد رضا في تفسير سورة
الكوثر ذكر معجزة بقاء الذرية النبوية وعدم انقطاعها إلى يوم القيامة. ولو

(١) الترمذي ٦٢٢ / ٥ رقم ٣٧٨٩، الطبراني في المعجم الكبير.

(٢) أعيد طبعتها ونخريج أحاديثها بعناية فائقة بمركز بدر فاطمها.

سردت أسماء من ذكروا حديث الثقلين من علماء الفرق الإسلامية لأملت
القارئ.

ومن يستقري يجد معشار رواته من كل جيل بيننا وبين جيل الصحابة
محصولا للتواتر، كما أن ثمانية وعشرين صحابيا يحصل العلم باتفاقهم على روايته
بصيغة كتاب الله وعترتي، أو أهل بيتي، أو بمعناها، كما لا يخفك أن رواية:
وسنتي بدل وأهل بيتي هي أحادية صحيحة تزيد المتواتر قوة وتعزز مدلوله
ووجوب العمل به، فإن من السنة العمل بموجب الرواية المتواترة.

ومما تواتر في مدلوله حديث: (أهل بيتي كسفينة نوح) ^(١) جزم بتواتره عدد
من أكابر آئمة السنة، وراجع الروضة الندية في بحثه، والعصمة عن الضلال
للإمام الجلال، وراجع تفسير ابن كثير في سورة الأحزاب، وجملاء الأفهام لابن
القيم. ومحاولة الاستيفاء للمؤلفين والمؤلفات التي ذكرته تحتاج مجلدا، وحسبك
ما إليه أشرت.

هذا والبيتان الأخيران ذكرا نموذجا من علماء أهل البيت. وسردُ فضائلهم
ومناقبهم لو فعلته لكان من باب:

وصفاتُ ضوء الشمس تذهب باطلا ❁ ...

(١) سبق تخريجه.

إلى جانب الإخلال بالاختصار المناسب للمقام. ومما عثرت عليه من خطي قديما ما لفظه: رب هفوة تتولد منها هفوات؛ تتناسل غير عقيمة، وتتعاقب عليها الأزمان دهرا بعد دهر، وجيلا بعد جيل.

قالوا: ادعى عليُّ عليه السلام آن نصوص النبي يوم الغدير وفي غزوة تبوك وغيرهما تلزم بإمامته بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فاصل، وهذه الدعوى تستوقف النظر في: هل هو محق، أو مبطل فيها؟ وتتطلب منا النظر في قول الخليفة عمر في حديث الصحيحين: لقد كانت بيعة أبي بكر فلتة.. إلخ. وتستوقف التأمل والإمعان في قوله: لأهل الشورى الستة لا يغلبكم معاوية.. إلخ. هل قالها على فهم صائب بما عليه معاوية من القوة العظمى في بلاد الشام، وما عليه معاوية من الطموح إلى الملك العضوض؟ أم كان مجرد كلام كمن يهرف بما لا يعرف؟ ، هل كان عمر يخشى بذلك تفرق الستة رجال الشورى، كما حدث الذي سيؤدي إلى ملك معاوية العضوض بنص حديث الصحاح، وبنص الحديث أيضا الذي منه: يؤتى بأناس من أصحابي يوم القيامة فيساق بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.. إلى قوله عليه السلام: فأقول: سحقا سحقا^(١).

(١) البخاري ٥/٢٤٠٦، وقد سبق تخريجه.

كما يجب على الباحث في الموضوع أن لا يغفل عن التدليس بأن المراد هم المنافقون، ولو لم يكن إلا قول الحق لعبده إنك لا تدري ما أحدثوا .. إلخ. فإن النبي ﷺ كان على علم بالمنافقين في حياته، وأسرَّ بأمر بعضهم إلى حذيفة بن اليمان.

كما يجب على الباحث أن لا يفلت من يديه معنى حديث: ثم يكون ملكا عضوضا، وهناك حديث: (إن تُؤكَلوا عليًّا تجدوه هاديا مهديا)^(١)، كما ألفت نظر الباحث هل كان علي هاديا مهديا أم لا؟ وأنه بالإجماع أحد الخلفاء الراشدين؟ وإلى حديث: (يكون هلاك هذا الدين على أيدي أغيلمة .. إلخ)^(٢) في الصحيحين أيضا. وحديث: (إن حامل لوآئي في الدنيا والآخرة ..) هل كان حامل لوآء رسول الله في معاركه جميعها إلا في أحدٍ لسبب، وإلا في تبوك لسبب، أم لا؟ وهل كانت بدر إلا لعلي كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه؟^(٣) وهل برز غيره لعمر بن عبد ود بعد تكرار الطلب يوم الأحزاب؟ وهل تفرقت الأحزاب إثر ذلك؟ ؛ ولذلك تأمل جيدا متحريرا بالإنصاف يوفقك الله وإياي.

(١) أحمد في المسند ٢٣٢/١ رقم ٨٥٩، الإصابة ٣٥٠٣/٢، الاستيعاب ٢١٢/٣، وأمالى المرشد بالله ١٤٣/١.

(٢) دلائل النبوة ٤٦٤/٦.

(٣) شرح النهج خطبة ٦٥.

ولما أراد معاوية مبايعة ابنه يزيد وبويع من الأغلب كرها، ومن العامة رغبا في العطاء، وقال خطيب من أنصاره لمعاوية: أمير المؤمنين هذا فإن مات فهذا- وأشار إلى يزيد- فمن أبي فهذا، وأشار إلى السيف، فقال له: أنت أخطب العرب اقعد. وأوصى معاوية يزيد: أنه إن ظفر بابن الزبير قطعهُ إربا، وأما الحسين فليصفح عنه كما صفح النبي عنه وعن والده أبي سفيان يوم الفتح. وقد أشار منصور في أبياته إلى فاجعة كربلاء ولم يتعرض لفاجعة المدينة المهيلة من مسلم بن عقبة المري أيضا، ورمي معسكر يزيد للكعبة، وقتل ابن الزبير، ويقول الحق سبحانه: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ [القم: ٥٣].

قال الزمخشري في الكشاف عند قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] ولعمري لقد كان شتم علي على منابر الجمعة فحشا وبغيا ومنكرا، وقد استمر هذا حتى أزاله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعد قرابة سبعين عاما.

ولمنصور بن سلمة بن الزبرقان النمري سبعة عشر بيتا لم أقف على أروع منها من كل جهة اعتبار، فكل بيت منها قائم بنفسه، ويحتاج شرحه لكراريس. وفي تأريخ المسعودي، وابن كثير وابن جرير الطبري وغيرها مثل: الإمامة والسياسة لابن قتيبة ما يكفي. وهي:

شَاءَ مِنْ النَّاسِ رَاتِعٌ هَامِلٌ يعللون النفوس بالباطل
تُقْتَلُ ذُرِّيَةُ النَّبِيِّ وَيُر جـون دخول الجنان للقاتل

ويلك يا قاتلَ الحسين لقد
أيُّ حِبَاءِ حَبَوْتَ أَحْمَدَ فِي
بَأْيِّ وَجْهِ تَلَقَى النَّبِيَّ وَقَدْ
تَعَالَ فَاطْلُبْ غَدًا شَفَاعَتَهُ
مَا الشُّكُّ عِنْدِي فِي حَالِ قَاتِلِهِ
نَفْسِي فِدَاءُ الْحُسَيْنِ حِينَ غَدَا
ذَلِكَ يَوْمٌ أَنْحَى بِشَفْرَتِهِ
يَا عَاذِلِي إِنِّي أَحَبُّ بَنِي
كَمْ مَيِّتٌ مِنْهُمْو بَغْضَتِهِ
مَا انْتَحَبَتْ حَوْلَهُ قَرَابَتُهُ
أَذْكَرُ مَنْ هُمْ وَمَنْ أَصَابَهُمْ
مَظْلُومَةٌ وَالنَّبِيُّ وَاللِّدَاهَا
أَلَا مَصَالِيْتُ يُغْضِبُونَ لَهَا
قَدْ ذُقْتُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فَمَا
مَنْ دِينَكُمْ جَفْوَةُ النَّبِيِّ وَمَا الـ

بُؤْرَتَ بِجَمَلٍ يَمِيلُ بِالْحَامِلِ
حُفْرَتِهِ مِنْ حَرَارَةِ الثَّائِلِ
دَخَلْتَ فِي قَتْلِهِ مَعَ الْقَاتِلِ
أَوْ لَا فَارِدْ حَوْضَهُ مَعَ النَّاهِلِ
وَلَا أَرَانِي أَشْكَ فِي الْخَاذِلِ
إِلَى الْمَنِيَا غُدُوًّا لَا قَافِلِ
عَلَى سَنَامِ الْإِسْلَامِ وَالكَاهِلِ
أَحْمَدَ فَالْتُرْبُ فِي فَمِ الْعَاذِلِ
مَغْتَرِبُ الْقَبْرِ بِالْعَرَا نَازِلِ
عِنْدَ مَقَاسَاةِ يَوْمِهِ الْبَاسِلِ
فِيْمَنْعُ الصَّلْبُ سَلْوَةَ الذَّاهِلِ
تُذِيرُ أَرْجَاءَ مَقْلَةٍ حَافِلِ
بَسَلَّةِ الْبَيْضِ وَالْقَنَا الذَّابِلِ
رَجَعْتُ مِنْ دِينِكُمْ إِلَى طَائِلِ
حَافِي لَالِ النَّبِيِّ كَالْوَاصلِ

ومن يتأمل في أبيات منصور يعلم أنه كان ملما بذلك التاريخ وتلك الأحاديث، وبما ترتب عليها من مآسيها وما تلتها من المآسي - رحمه الله وإيانا والمؤمنين .

ولما دون الخليل بن أحمد أوزان العروض رآه ابن له فخرج يقول للناس: إن أبي قد جُنَّ، فقال أبوه:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أجهل ما تقول عذرتك
لكن جهلت مقالتي فعذرتني وعلمت أنك جاهل فعذرتك
إن تمحيص الحقيقة يحتاج إلى إمعان وتدبر في هذا وفي ما دبت عليه
الوقائع، وفي ما دلت عليه آحاديث أخر، ومن تتبع كل ذلك فإنها ستوصله إلى
برد اليقين فيما يريد الوقوف والتوقف عليه.

هذا والإمام محمد الباقر مات بالجحفة، ودفن في البقيع في قبة أهل البيت
مع أبيه علي السجاد والحسن سيد شباب أهل الجنة وغيرهما، وفي تاريخ وفاته
اختلاف، قيل سنة مائة وثمانية عشر.

وابنه الإمام جعفر الصادق مولده سنة ثمانين، ووفاته سنة مائة وثمانية
وأربعين، دفن في قبة أهل البيت بالبقيع.

والإمام موسى الكاظم ابنه توفي ببغداد، وابنه الإمام علي الرضى في مشهد
طوس، وهو مرادي بالإيراني، وقد سبق إلى بعض الأذهان "ونعم ما سبق إليه"

أن المراد الإمام آية الله الخميني حفظه الله وأطال في عافيته وتأييد عمره، ونعم الإمام هو، ونعم الخلف لخير السلف^(١) .

والسجاد زين العابدين مولده سنة خمسين، ووفاته بالمدينة سنة أربع وتسعين، دفن في قبة أهل البيت صلوات الله وبركاته على جدّهم الأمين وعليه وجميع آل الأكرمين.

والإمام الأعظم زيد الشهيد شقيق الباقر خرج للجهاد في سبيل الله سنة مائة وإحدى وعشرين، واستشهد ودفن، ثم استُخرج وصُلِبَ أربع سنين، ثم أحرق بالنار في الكوفة، ومشهده مزور معروف شرقي الكوفة.

والإمام الناصر سمي الأطروش لطرش كان في أذنه، ولد سنة مائتين وثلاثين ومات سنة ثلاثمائة وأربع، وكان آية في الشجاعة والعلم والزهد والكرم، وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أجمعين.

والإمام القاسم ترجمان الدين ونجم آل محمد مولده سنة مائة وسبعين بعد قتل الإمام الحسين بن علي الفخري بأشهر، ووفاته سنة مائتين واثنين وأربعين، وقيل: وأربع وأربعين. قال قائل فيه:

(١) حال إعادة الكتاب للطبع قد كان توفي الخميني قبل ١٢ سنة.

ولو أنه نادى النادي بمكة بخيف مني في من تضم المواسم
من السيد السباق في كل غاية لقال جميع الناس لا شك قاسم
وهو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن
علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم وعلى جدهم سيد المرسلين وعليهم وعلى
جميع الآل المطهرين.

وهذه الكوكبة التي ذكرناها من آل محمد بعض من كل، فلا يخلو زمان
عن القائمين بحجة الله مصداقا لقوله صلى الله عليه وآله : (لن يفترقا حتى يردا علي
الحوض)^(١).

ومصداقا لما قاله محمد رشيد في تفسير سورة الكوثر : إن الله بشر نبيه
بثلاث بشارات فيها: إحداها أن ذريته لا تنقطع إلى يوم القيامة؛ فما هو
بالأبتر، إنما الأبتر شانيه العاص بن وأئل السهمي.

ونزين هذا البحث بكلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه الذي أورده أبو
الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل في كتابه عين الأدب والسياسة، وهي
أيضا موجودة في النهج وغيره. قال كرم الله وجهه لكميل بن زياد: "إن هذه
القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك ؛ الناس ثلاثة: فعالم

(١) سبق تخريجه.

رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعا ع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، ها إن هاهنا لَعَلِمًا جَمًّا -وأشار بيده إلى صدره- لو أصبت له حَمَلَةٌ بلى أصيب لَقْنَا غير مأمون عليه، مستعملا آلة الدين للدنيا، ومستظها بنعم الله على عباده، وبجحجه على أوليائه، أو منقادا لَحَمَلَةٍ الحق لا بصيرة له في احنائه، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة، ألا لاذا ولاذاك، أو منهوما باللذة، سلس القيادة للشهوة، أو مغرما بالجمع والإدخار، ليسا من رعاة الدين في شيء، أقرب شيء شَبَّهًا بِهِمَا الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامله. اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهرا مشهورا، وإما خائفا مغمورا؛ لئلا تبطل حجج الله وبيئاته، وكم ذا وأين؟ أولئك والله الأقلون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيئاته حتى يودعها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه".

هذا بيان للناس يهدي للتي هي أقوم، خرج من المشكاة التي خرج منها كلام من لا ينطق عن الهوى ﷺ ، تبهرك بلاغته بمقدار ما يبهرك هُداؤه، نصب الأعلام على جوانب المحجة، وأوضح المحجة، وقوله: ألا لا ذا ولا ذاك،

أي: لا ذا أهلٌ لاستيداع العلم ولا ذاك فأودِعُهُمَا إياه، كما أن الصنفين
الآخرين كذلك؛ فلم يبق إلا نزر يسير أشار إلى قلتهم بقوله: وكم ذا؟، وإلى
خفتهم بقوله: وأين؟.

ونظير هذا الكلام الجليل من بعض الوجوه قوله عليه السلام: "يا ابن الكوّ"
حفظت المسألة فافهم الجواب؛ السنة والله سنة محمد ﷺ ، والبدعة والله ما
خالفها، والجماعة والله أهل الحق وإن قلوا، والفرقة والله متابعة أهل الباطل وإن
كثروا"، وبهذا نفهم معنى يدُ الله مع الجماعة؛ ومن شدَّ شدَّ إلى النار. وعلى مثل
هذا تَرَكْنَا النبي ﷺ على بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ما غارب إلا وآخر طالع
مرضاة ربك في لزومهما وإن
إن الكتاب وإن آل محمد
إياك تقدم أو تأخر عنهما
أنظر بإنصاف إلى أنظارهم
في العدل والتوحيد تعلم أنهم
قل لا غضاضة في الرجوع إلى الصوا
هم باب حطة والسفينة والأما
هم حجة الله التي قرّن الكتاب
فعليك بالثقلين تنج ولا تُبل

بالسنة الغرا وبالقرآن
شن القلاة عليك حرب عوان
يا عابر الدنيا سبيل أمان
واعلم بأن هلاكك الطرفان
والنص والتأويل بالإمعان
أهل الهدى والعلم والإيمان
ب عن الخطا ومزالق الشيطان
ن وهم أدلتنا إلى الرضوان
ب بهم بلا ريب مدى الأزمان
إن أنكروا الملووان والثقلان

وعلي الكرار والحسنان والـ
وبنو علي هم وشيعتهم تَرَا
تلك السفينة في خِضَمِّ هَائِجٍ
وحذار من تأويلٍ أو تحريفٍ أو
جعلوا الحقائق والهدى تبع الهوى
لأخسو النبي وداده وولآؤه
لَهُوَ الأَحَبُّ إِلَى النبي وربه
فمن ادعى حب الوصي معظما
ضدان ما اجتماعا ومن زعم اجتماعا
ومآل من عاداه قعر جهنم
كم حَجَّه متواترٌ وصحيحٌ آ
فأبي قبول الحق ثاني عطفه
ووسيلتي يا رب حُبُّ محبهم
حيي لشيعته وبغض عدائهم
والسنة الغراء سنة رسول الله ﷺ ، أي هم كالنجوم كلما غرب نجم طلع
آخر لاستمرار حجة الله على عباده بهم كاستمرارها بالثقل الأكبر.

وبيت: إياك تقدم أو تأخر عنهما... الخ، أي عن الثقلين، ولفظ الحديث: (فلا تقدموهما ولا تأخروا عنهما فتهلكوا)، وهو مما دار في كتب ابن حجر الهيثمي، وابن القيم، وابن تيمية. وكلمة الأمان تشير إلى حديث: (أهل بيتي أمان لأهل الأرض، والنجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب أهل بيتي من الأرض أتى أهل الأرض ما يوعدون، وإذا ذهب النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون)^(١).

وفي وسع القارئ أن يقف على تخريج أي حديث ذكرناه أو نذكره من كتب التخريج، أو الروضة الندية للأمير، أو ذخائر العقبى أو من ذكرهم آنفاً. والرضوان: صالح لأن تعني به رضى الله، أو خازن الجنة، فتكون الألف واللام للمح الأصل، والثقلان الأولان الكتاب والعترة، والأخيران الجن والإنس، وربان السفينة قاندها عبر أمواج البحار بكفاءة، وهو بالنون فقط، وبياء بعدها أيضاً، والتحذير من التأويلات الباطلة والتحريف والتزوير جاء فيه حديث شريف لفظه: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) والكتب الإسلامية في الحديث والتاريخ وعلم الرجال دخلها كثير من هذا. ومن أخلص دينه لله هداه الله حتى يميز الخبيث من الطيب.

(١) الصواعق المحرقة ص ١٥٢.

والباغض لعلي أو شيعته الراشدين منافق، وقعر جهنم يشير إلى قوله تعالى:
﴿ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] ، و ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ
وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠] ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْبَغْضِ يَحْسُنُ التَّأَكُّدَ
هل مات على ذلك ولم يتب؟ وإلا تاب الله عليه ما لم يكن قد حضره الموت:
﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَلَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٨] .

وفي حديث عن العباس بن عبد المطلب قال له النبي ﷺ : (والله لا
يؤمنون -ثلاثا- حتى يجبوكم الله ولأجلي)، وفي حديث قال له ﷺ : (والله لا
يدخلون الجنة)؛ وهذا نص في عدم إيمانهم المعتد به؛ لبغضهم لآل النبي وفي عدم
دخولهم الجنة، وفي حديث عمار: (يدعونه إلى النار)، دليل أنهم أهلها إن لم
يتوبوا وإلا فالحديث لغو لا معنى له .

وفي بعض الآثار: أوحى الله إلى نبي من الأنبياء ﷺ: (قل لفلان الزاهد:
أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة، وأما انقطاعك إلي فقد اكتسبت به
العزة، ولكن ما عملت في ما لي عليك؟ ، قال: يا رب وما لك عليّ بعد هذا؟
، قال: هل واليت فيّ وليًّا أو عاديت فيّ عدوًّا؟ ، انتهى).

وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

إِحْوَانُهُمْ أَوْ عَشِيرَتِهِمْ ﴿٢٢﴾ ، و [المجادلة: ٢٢] لحديث: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

وفي حب شيعة علي وآله أحاديث كثيرة: من بواعثها عَلِمَ اللهُ تعالى بما سَيُكذَّبُ عليه، وَيُؤمَّرُ بسبه والبراءة منه. اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك ويجب نبيك وآل نبيك يا ذا الجلال والإكرام، واجعلنا مع حبيبك ومجتباك سَلْمًا لمن سالم حَرْبًا لمن حارب.

والمراد بتراجمة البلاغ تراجمة القرآن الكريم، والبلاغ من أسمائه، قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، والملوان الليل والنهار، والإسناد إليهما مجاز عقلي علاقته الظرفية، والهادي في البيت هو "الإمام الأعظم الهادي إلى الحق".

الإمام الأعظم الهادي إلى الحق

يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأم إبراهيم بن الحسن المثنى هي فاطمة بنت الحسين بن علي، وإبراهيم سليل السبطين الحسن والحسين، ولدته فاطمة الزهراء وعلي المرتضى مرتين، وسيدُ الخمسة أهل الكساء وأعظمهم، أفضل مَنْ حملت الغبراء وأظلت السماء محمدُ المصطفى؛ هؤلاء ولدوا كلهم إبراهيم الشبيه برسول الله مرتين.

وقد ذهبت جماعة من أهل اليمن إلى مدينة رسول الله ﷺ قاصدين إلى الهادي يحيى عليه السلام لَمَّا اشتد البلاء بأهل اليمن من جرأ الفتن، وتطاحن الرؤساء فيما بينهم واشتدت وطأة الظالمين على الضعفاء حتى كان اليأس، وعظُم البأس، وبلغ الحال إلى أن بعض الأجناد كانوا لا يكتفون باغتصاب النساء؛ فرما رأوا غلاما وسيما فيأخذونه من بين الناس، واختفى الأمن والاستقرار عن طول اليمن وعرضها على الأنفس والأعراض والأموال.

فلما وصلت إلى يحيى تكلم الجماعة وأقاموا عليه الحجة، أجابهم وشرط عليهم الطاعة ما عمل بكتاب الله، وعلى نفسه أن لا طاعة له إذا عصى الله، ولبث في اليمن عامين فكان من بعض الجند نهبُ فاكهة على بعض الرعايا، فقام الهادي فيهم وقال: إن هِيَ إلا سيرة محمد ﷺ وإلا فالنار، ولن أكون فيكم كالمصباح يحرق نفسه ليضيء غيره، وانكفأ عائدا إلى المدينة؛ فتعاضمت

الحن، وتفاقت الفتن، فاضطر أهل اليمن إلى الذهاب إليه ثانياً، وبعد إلحاح أقنعه فعاد سنة أربع وثمانين ومائتين، واستمر إلى سنة ثمان وتسعين يقاتل في سبيل الله في زمرة من الخيرة الأبرار من اليمنيين ومن مختلف الأقطار^(١) .
وإلى جانب قتاله بالسيف لم ينقطع جهاده بالقلم واللسان، وتخلدت انتصاراته بهما إلى يوم القيامة حيث طهر اليمن من رجس الجبر والتشبيه والقرمطة؛ ونشر فيها العدل والتوحيد، والعمل بكتاب الله وسنة نبيه، ومنع من التقليد، وفتح باب الاجتهاد وأبواب الجهاد، وقاتل في إحدى وثمانين معركة كان في كل منها في مقدمة المجاهدين كما شرط هذا على نفسه في كلام عظيم. ولا يعرف قدره، وينزله في المنزلة التي بوأه الله إياها إلا من قرأ سيرته، واستشف من كلامه ورسائله سيرته، فهو في اليمن يعسوب المجاهدين المحققين، وإمام آئمة الجهاد والاجتهاد الراسخين المحققين، أقواهم حجة، وأهداهم محجة.

(١) كانوا رضوان الله عليهم مصداق ما جاء في حديث أبي ثعلبة: "الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل أجر خمسين يعملون مثل عمله. قلت: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟، قال: أجر خمسين منكم كانوا غرباء في الناس". وكثير منهم كانوا غرباء عن أوطانهم، غرباء بتقواهم وصبرهم الذي لا تتحمله الجبال، غرباء بشباههم على هذا حتى لقوا الله شهداء. وجاء في حديث شريف: (طوبى للغرباء).

قيل له وقد كاد يكبر تكبيرة الإحرام: ممن المعاصي؟ ، فالتفت وقال: ومَن العاصي؟ !، فأحجم السائل الذي تحيّن ذلك الوقت لسؤاله لعلمه أن يجيى يرى الكذب من نواقض الضوء.

وما انهزم في معركة قط. قائم ليله، صائم أكثر أيامه. من أزهد الناس: في مأكله، وملبسه، ومسكنه. وبيت: انظر بإنصاف إلى أنظارهم... الخ، والبيت الذي يليه شاهدهما سيرة يجيى، وسيرة زيد بن علي، وثروتهما، وثروة القاسم بن إبراهيم العلمية وغيرهم من علماء أهل البيت عليهم جميعا سلام الله ورحمته وبركاته.

ومن قرأ وأنصف علم أنهم مصداقُ حديثِ الثقلين أهل الهدى والعلم والإيمان، وإذا أحببت أن تزداد يقينا من هذا فقارن بين أخلاق وسلوك أهل هذا البيت النبوي وغيرهم، فبضدها تتبين الأشياء، وستجد العجب العجاب من حلمهم وعفوهم وكرمهم ومروءتهم وزهدهم وعدلهم. فقارن مثلاً بين أخلاق علي وسلوكه وضميره وبين أخلاق وسلوك وضمير خصمه يوم سبق خصمه إلى شرعة الماء بصفين فمنع علياً وأصحابه أن يستقوا، وحاول أن يقتلهم عطشاً؛ فاضطر أصحاب علي للقتال على الماء، فلما أجلوا خصومهم وأرادوا أن يعاقبوا بمثل ما عوقبوا أمرهم علي أن يتركوهم يستقوا، وقسمًا برًّا بفضل الله: لو تمكنوا من منع علي لأهلكوه وأصحابه عطشاً، ودليل هذا ليس من ذلك اليوم ببعيد؛ فإنهم قتلوا الحسين وأطفاله وصحبه عطشاً يوم الطف، وكانوا

يلوحون لأصحاب الحسين بالماء وقد أشرفوا على الموت عطشا ويقسمون لهم
أن لا يذوقوه حتى يفارقوا الحياة، وفعلا لم يذوقوه. وقد استعطفهم الحسين
لِطِفْلَيْنِ؛ إذ اشتد بهم سعي العطش فرفع لهم أَصْغَرَهُمَا وهو في نحو عام ونصف
أو عامين وناشدهم أن يسقوه فكان جوابهم أن سدّدوا سهما إلى فم الطفل
فقتله بعد أن جاد بنفسه ينازع والدم ينبعث من داخل حلقه من الرمية والسهم،
وكان جوابهم لابن الأربع سنوات أن رموه بسهم في ثغرة نحره فمات بعد
معالجة سكرات الموت في حوض أبيه بالسهم والعطش معا، وفي ذلك يقول عبد
الباقي العمري:

شن بنو حربٍ على ابنِ سِلْمِهِمْ للحرب يوم الطف خيلا شُرْبَا
للحرب نارا أوقدوها فاغتمدوا - ويل لهم - لنار ربي حطبا
وقطعوا وشآئج الأرحام في ماضٍ بتامور القلوب انشعبا
لا بكت السماءُ أحداثَ الألى أبكوا على فقد الحسين زينبا
تالله مايفعل هذا غيرُ مَنْ أنكـر حشره غدا وكذبا
صدوه عن ماء الفرات صاديا فاختر من حوض أبيه مشربا
وقد ماتوا جميعا وهم يرون ماء الفرات تتمرغ فيه كلاب السواد وليس
بينهم وبينه إلا سد منيع من جيش الأمويين.

وقارن أيضا بين رسول الله ﷺ يوم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وكذا
بين موقف علي وقد ظفر بمروان وشيعته يوم الحمل، وموقف ابن زياد ويزيد

من أسارى الطف، وعدم اكتفائهم بقتل الحسين؛ بل حَمَلَهُمْ شِدَّةُ الحَقْدِ
والبغض للخمسة أهل الكساء المتمثل في عبثهم بالمنع من الماء، وسفك الدماء،
ونهب النساء، والتعزير بهم بين الملاء، والتطواف بهم في الشوارع، وإركابهم على
الأقتاب من الكوفة إلى تخوم الشام.

لم يكتفوا بهذا بل سَخَّرُوا عَشْرًا من الخيول تدوس ذاهبة وآية مرارا عديدة
جسد الحسين الشريف، وماذا الذي أفادوه من هذا كله؟ وماذا كان عليهم لو
سقوا الأطفال؟ بل الجميع، هل كانوا يخشون أن يموتوا عطشا إذا شربت هذه
الجماعة الصغيرة الأسيرة بين أربعة آلاف فارس؟ كلا إنها الضمائر، والأخلاق،
والسلوك، والجرأة على الله؛ وكل إناء بالذي فيه ينضح.

وأوصى عليٌّ أن يحسنوا إلى ابن ملجم، وهو مَنْ تَعَلَّمَ!

وفي الجليس والأنيس قصة: خلاصتها أن ابنا لهشام بن عبد الملك كان
يتخفى من المنصور الدوانيقي، فعرف المنصور أنه بين الحجيج، فلما أكمل الناس
الصلاة بالحرم قام الحرس على الأبواب وأغلقوها إلا بابا، كان لا يخرج أحد إلا
بعد أن يعرفوا أنه غير المطلوب، وكان من ضمن الجمع رجل من ذرية زيد بن
علي رأى بجانبه إنسانا قد تغير وجهه واستطار لُبه، فلما سأله عن السبب ؟
قال : أنا المطلوب وهذا من أجلي، وسأله من هو ؟ قال: أنا فلان، فأيس

الرجل وقال في نفسه: أَبِي قَاتِلُ أَبِيهِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنَ الْمَنْصُورِ ، فطمأنه الزيدي وأعمل الحيلة حتى أُنجاه^(١) وقال: أنا إلى مساعدتك وإنقاذك أحوج^(٢) ، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ . وكم هناك من حوادث تدلك أن آل محمد أهل الأخلاق والتواضع والرحمة والعدل وغيرها .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، واجعلنا مهتدين مقتدين بمن بعثته متمما لمكارم الأخلاق محمد ﷺ .

ولما مُنِعَ عثمانُ عن الماء لقي الحسنان مالقيا في إيصال الماء إليه والدفاع عنه؛ بينما أمر معاويةُ الزاهبين من الشام لنصرته أن لا يغادروا دومة الجندل حتى يلحقهم؛ مكيدةً منه لعثمان؛ لأنه لا يريد نصرته إنما يريد أن تتم الجريمة؛ لأنها وسيلته للغاية التي هدف إليها .

(١) يروى أنه قال له : تظاهر أنك عبدي، وأقوم بسحبك وضربك وشتمك وخرج به من أمام عساكر المنصور وقد سأله ماذا صنع هذا؟ فقال: هذا الخبيث عبدي فعل كذا وكذا قبحه الله من عبد سوء فحاولوا تهدئته، ونصحووا العبد الذي هو مطلوب بطاعة سيده وهكذا أنقذه من الموت وأمنه حين انتهك أبو الدوانق حرمة البيت الذي يأمن فيه الخائف .

(٢) أي إلى فعل المعروف وعمل الجميل الذي يعشقه دائما آل بيت النبوة .

وإذا كان الزبير قد قتل بالبصرة بعضَ الثَّائرين فإن معاوية لم يعاقب أحدا منهم أدنى عقوبة لما صاروا تحت حكمه، ومثلُ هذا مغتفر عند النواصب كاستلحاق معاوية لابن زياد - وإن رد بذلك حكم رسول الله^(١) - وكحمله ليزيد على رقاب المهاجرين والأنصار، وأمره لابنه أن يولي عبيد الله بن زياد، وإن رابه شيء من أهل مدينة النبي فيبعث عليهم مُسَلِّمَ بَنِ عَقَبَةَ المُرِّي الذي فعل بهم ما تعلمون.

وكتأسيسه للعن الإمام علي على جميع المنابر كل جمعة، وأمره باستمراره، فإن كل هذا مغتفر عند النواصب - وإن نهي النبي عن إيذاء المؤمنين؛ خصوصا أصحابه، وخصوصا صنوه، وحامل لوائه يوم القيامة، وهارونه، وولي كل مؤمن ومؤمنة، وإن نهي الله عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [٥٧] وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مُبَيِّنًا﴾ [الأحزاب: ٥٧ - ٥٨]. وإن كان معاوية مع هذا قد عاهد الحسن السبط على ترك اللعن فنكث، وإن قتل حجر بن عدي وأصحابه، وإن قتل عمارا ونحو

(١) وهو قوله: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

سبعين ألفا من جيش الحق، وغرر بنحو مائة ألف من جيش البغي فقتلوا - كل هذا وغيره كثير مغتفر عند النواصب، وجُرْحُ معاوية عندهم جُبَارٌ^(١)، وإن كان الله تعالى قال في حديث قدسي: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)، وإن كان الله سبحانه قال في فرقانه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وإن كان النبي ﷺ قال لعلي: (لا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ)^(٢). وإن كان علي أحد المبشرين بالجنة. وإن كان داعيا إلى الجنة، وإن كان معاوية داعية إلى النار؛ فكل هذا مغتفر عند النواصب لا يلتفت إليه ولا يقيمون له وزنا. قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣: ١٠٤]، وحبك للشيء يعمي ويصم.

(١) يشير إلى العجماء جرحها جبار "أي لا شيء في جناية الدابة".

(٢) الترمذي ٦١١/٥ رقم ٣٧٣٦، مسلم ٨٦/١ رقم ٧٨ وشرحه النووي ١-٦٤/٢-٦٥ رقم الحديث ١٣١، ابن ماجه ٤٢/١ رقم ١١٤، فتح الباري ١/٦٣، تأريخ الإسلام عهد الخلفاء ص ٦٣٤، تذكرة الحفاظ ١٠/١، المستدرک ٣/١٢٩، الاعتصام ١/٤٢-٤٧، أمالي أبي طالب ٤٩، أسد الغابة ٤/٣٠، والخصائص للنسائي ص ١٠١-١٠٢، مجمع الزوائد ٩/١٣٣ وغيرهم كثير.

وعين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبدي المساويا
وما أساء كرم الله وجهه وحاشاه وهو المطهر من الأدناس، ولكن قضى
الله على لسان نبيه أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق، وإذا أهملنا
بالغلو، وادعو مع ذلك حبه لعلّي فهو مجرد مغالطة ونعوذ بالله من الغلو في
حبه، والله يشهد إنهم لكاذبون.

وفي حديث شريف: (الكِبْرُ غَمَطُ النَّاسِ وَبَطْرُ الْحَقِّ) ^(١) ، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ
مَا خُفِيَ وَمَا نُعَلِنُ وَمَا تَخْفَى عَلَيَّ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾
.[إبراهيم: ٣٨].

اللهم وإنا نشكو إليك بالظالمين الذين يعظمون من صغرت، ويوالون من
عاديت أمثال الأسود العنسي وعلي بن الفضل، ويصغرون من عظمت،
ويعادون من واليت أمثال عبدك يحيى بن الحسين بن رسول الله، ويعرفون نعمة
الله ثم ينكرونها، بل بلغ الحال ببعض إلى أن قال كما قيل: قد تركت الصلاة
على محمد في الصلاة من أجل آله كما تركها ابن الزبير على النبي نفسه لئلا
تشمخ أنوف بني هاشم على حد تعبيره وتصوره.

(١) مسلم ١/ص ٩٣، ابن حبان ١٢/ص ٢٨٠ رقم ٥٤٦٦، المستدرک ١/ص ٧٨ رقم ٩٦،
المستدرک ٦/ص ٢٠١ رقم ٧٣٦٦، أبي داود ٤/ص ٥٩ رقم ٤٠٩٢، الترمذي ٤/ص ٣٩١/١٩٩٩.

وبلغ الحال بسفهاّتهم الجهال أن لعن البعض فاطمة؛ لأنها أنجبت الحسين.
أقامه الله، وأنا أعرف واحدا من هؤلاء عاش بعد ذلك سنين تعيسة أشمتت
عدوه، وساءت صديقه، ولما أدخلت جنازته إلى الجامع للصلاة عليها تهرب
الناس من الصلاة عليه فكان موقفا محرجا لأهله ويوما مشهودا، وإذا لم تستح
فاصنع ما شئت ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ﴾
[الحجر: ٣]، وفي مثلهم أيضا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ
وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ أَن لَّنْ نُخْرِجَ اللَّهَ أَضْعَفَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَלَعَرَفْتَهُمْ
بِسِيمَتِهِمْ ۗ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٢٨ - ٣٠].

والله يشهد على ما تبطن سريري من أنني أحب لهم أن ينيبوا إلى ربهم وأن
يسلموا له، وأن نسير جميعا إلى الله في طريق واحدة هي صراطه المستقيم، وأن
لا يقنطوا وأن لا أقنط أنا أيضا من رحمة الله بما أسرفنا على أنفسنا ﴿إِنَّ اللَّهَ
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فليراجع كل منا ضميره، وفهرس أعماله وأقواله؛ فهناتي وذنوبي التي
خفيت على الناس بستر الله الحليم الرحيم أكثر وأكبر من ما انكشف وظهر،
وكما أحب لنفسي التوفيق للمتاب أحب ذلك لجميع الناس لافرق بين من

يودني ويغضني، ولنحمد الله على نعمته بقبول التوبة والتمكن منها فيما بقي
من الحياة. وفي أمالي المرشد بالله لأبي بكر العلاف رحمه الله:

ما عذر من جرّ خاليا رسنه ما عذره بعد أربعين سنه
أكلما طالّت الحياة به أطال عن أخذ حذره وسنه
ما عذر من لم يكف منتها عن ذنبه قبل لبسه كفته
يا ساكن القصر في بلهنية أما رأيت الثرى ومن سكنه
عجبت من ذي أخ يسر به يسر من بعده وقد دفنه
طالت به في الحياة بهجته فلم يطل بعد موته حزنه
يا لازم الذنب لا يفارقه والروح منه مفارق بدنه
قل لي إذا مت كيف تنقص من سيئة أو تزيد في حسنه
وكيف للنفس بالنجاة غدا وهي بما قدمته مرهنته
كم مسلم يسكن الجنان غدا عليه فيها تسلم الخزنه
طوبى لمن لم يخن أمانته والويل عند الحساب للخونته
كم بين من خصه برحمته ذو العرش منا وبين من لعنه
والأمانة في هذه الأبيات هي نفسها التي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا

الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ

مِنْهَا وَحَمَلَهَا إِلَّا نَسْنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وفي الحديث: (

الصلاة أمانة .. وعدد أشياء) فالمراد بالأمانة التكاليف الربانية فعلا وتركا.
ومما أعجبني كثيرا قول أبي حازم رحمه الله أحد التابعين: "ما أحببت أن يكون معك غدا فقدمه اليوم" وقوله: "كل عمل تكره من أجله الموت فاتركه لئلا يضرّك متى مت". فليمعن كلنا النظر في هذا فعسى ولعل. ألا وما أغنى الناس عن الكتابة في ما كان من الفتن والحن في الصدر الأول، وما أشد حاجة المسلمين إلى إغفالها وتناسيها، لكن ماذا تقول لمن يحشون نارها، ويشيرون المسلمين بإثارتها، ويرمونهم بالشرك وبكل داهية^(١)، ولو تُرك القطا ليلا لنا، والله القائل:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكذرا

أيها الملحون علي بطلب هذا التعليق لبيان الحق فيما يتهموننا به من الابتداع والخروج عن جماعة الحق في عقائدنا وعباداتنا هذا ملخص لمجموع ما ورد إلي من أسئلة خلال تسع سنوات تقريبا إلى التأريخ، فأقول: يجب أن تفهم أن البدعة المحرمة هي ما خالف حكم الله باتفاق، ولو عمل بها وقبلها الأغلبية

(١) كقولهم فينا: نحن الخوارج، وإمامنا زيدٌ خارجي، وجده الحسين خارجي، وزيد أمير المؤمنين ونحن روافض. ومن أشد السب أو أشده إذا سب بعضهم بعضا أن يقول له: يا زيدي.

الساحقة من المسلمين؛ فإنها ضلالة، ولأهلها النار كما أفادته كلمة علي عليه السلام المذكورة آخر التعليق الذي قبل هذا. فأما ما لا يخالف حكم الله، أو كان محل خلاف واجتهاد: فإن كان عملا رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وذلك فيما لا نص فيه من المشرع صلوات الله عليه وسلامه، وإن كان عملا يراه المسلمون قبيحا فهو كذلك عند الله إذا لم يكن فيه نص من الشارع عليه السلام .
مثلا ذكر المقرئ رحمه الله أن الحشيشة لم تعرف إلا أوائل القرن السابع في مصر، فلم يُحكم بتحريمها إلا بعد وقت، وبعد يقظة الناس إلى تأثيرها في متعاطيها، فلما كثر مستقبحوها حرمت بالقياس عند القائلين به، أو بدخولها في العمومات والمطلقات عند المانعين منه.

وقد وجدتُ أنا في مصر من الدكاترة الأطباء المتدينين في أوائل الثمانينات من قرننا هذا الرابع عشر الهجري القمري من ينكر تحريمها ويستنكر ذلك، ومثل هذا يعتبر شاذًا بالنظر إلى اقتناع الجمهور بتحريمها، وأعني جمهور العلماء من جميع المذاهب، فأما ما لم يرد فيه نصٌّ كأن تجد حديثا شريفا يقول: مَنْ قَالَ كَذَا عَشْرًا، أَوْ سَبَّحَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمَّ مِثْلَهَا، وَكَبَّرَ مِثْلَهَا، أَوْ مِنْ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ فِي كَذَا، وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ بِكَذَا فَعَمَلَتْ ذَلِكَ وَوَجَدَتْ رَغْبَةً فَزَدَتْ عَلَى ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنْتَ مَدَاوِمَةَ ذَلِكَ طَلِبًا لِلْمَزِيدِ مِنَ الثَّوَابِ، أَوْ لِمَجْرَدِ الرِّغْبَةِ فِي الطَّاعَةِ، أَوْ عَظَّمْتَ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ كَمَا يَعْظُمُ الْيَمِينِيُّونَ أَوَّلَ جُمُعَةٍ مِنْ رَجَبٍ؛ لِأَنَّهُ يَوْمٌ إِسْلَامِهِمْ، أَوْ يَوْمٌ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، إِعْظَامًا لِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا بِإِرْسَالِهِ

أو إيقاظا للناس إلى ذلك؛ ولما يصحب ذلك من قرآءة لسيرته، وانتفاع بالتذكير
واتعاظ، ولما يتبع هذا من بر بالأقارب وصلة للأرحام وتأثير في سلوك ما، فمثل
هذا لا يخالف بل يشاكل ويوالف ما أمر الله به وهو من جنسه.
ألا ترى أن النبي ﷺ لما سمع أحد المؤمنين به في الصلاة قال: ربنا لك
الحمد حمدا كثيرا... إلخ^(١) لم ينكر عليه بل بشره بأن أحد عشر ملكا استبقوه
لرفعها، ولم يقل له: لماذا لم تَقْتَدِ بي؟ أو لماذا قلت ما لم أشرعه لك؟ ولهذا
نظائر أقر النبي أهلها، بل أثني عليها؛ ودلت أن لكل طاعة أجرا: أخبر به النبي أم
لا، هदानا إليه النبي أم لا، كحديث ركعتي بلال كلما أحدث وضوءاً^(٢). وكقوله
بالمعنى أو اللفظ أو أكثره: "لم يأت أحد بأفضل من ذلك إلا من زاد" فجعل
المجال للزيادة مفتوحا والأجر بحسبه^(٣).

-
- (١) مسلم ١/٤١٩/٦٠٠، ابن خزيمة ١/٢٣٧/٤٦٦، وفيها أنه أثنا عشر ملكا أو بضع وثلاثون ملكا ، ابن
حبان ٣/١٢٥/٨٤٥، المستدرک ١/٣٨٤ .
- (٢) مسلم ٤/٢٦٩٢، النسائي ٦/١٦٤ رقم ١٤٣٠، الترمذي ٥/٥١٣/٣٤٦٩، أحمد ٢/٣٨٢١ .
- (٣) فإن قال قائل: قوله (إلا من زاد) تشريع . فهو مكابر أو بليد، ولما ألزم ابن عمر نفسه أن يصوم الدهر
لم ينهره لأنه ابتدع ما لم يؤمر به، بل نصحه أن يصوم صوم داوود، ومن كثير نحو هذا يستفاد عدم
الحجر والتحجر .

وكان ابن مسعود يصلي على النبي بصيغة أَلْفَهَا هو مع أنه ممن سمع الصيغة التي علمهم إياها النبي. وكان النبي يلي وآخرون يزيدون وينقصون دون رجوع إليه فلم ينكر. وكم من أمثال لهذا مما يدل على أن البدعة الضالة هي ما ليس عليه أمر الله. ومن فعل من هذا شيئاً فهو رد عليه لأنه من الضلال.

أما تفسير الجامدين للبدعة وتزمتهم فهو وَهْمٌ وسوء فهم لمقاصد الشرع واللغة. وكلامٌ أوليهم ومتأخر يهيم مضطرب، والتراجعُ ممن حسن فهمهم مشوب بالتعصب والأنفة عن الاعتراف، كاختراع الكسب^(١)، وكقولهم: وجّه لا كالأوجه؛ إذ لامناص من التشبيه بقولهم (لا كالأوجه)، ولا من خوضهم في ذات الله سبحانه المنهي عنه ، ولا مجال عن التسليم بالجواز ولا نجاة بغيره ، ولا مناص من الجبر يزعم الكسب إذا لم يكن هو العمل بالاختيار. والأنفة الداخلة في حديث: (الكبر غمطُ الناس وبَطْرُ الحق)^(٢) والاعتراف فضيلة عند

(١) الذي قال به الأشاعرة حين وجدوا قول شيخهم أبي الحسن الأشعري بأن العبد في فعله كالورقة في مهب الريح، والقلم في يد الكاتب، كلام لا يقبله العقل ولا النقل، فقالوا: عن عمل العبد خلّق الله كسبُ للعبد. لما ظهر لهم بشناعة نسبة القبائح إلى الله قالوا: بالكسب؛ ولكن ما زال الإشكال باقياً؛ لأن الكسب إن كان من فعل العبد فلم يخرجوا عن الاعتزال، وإن كان من فعل الله فلم يخرجوا عن الجبر، وقولهم بالكسب بمثابة فعل بين فاعلين وهو مستحيل.

(٢) سبق تخريجه.

الله وعند خلقه. وكلامي في هذا اقتضته السؤالات الموجهة إليّ وإن لم تشر إليه المنظومة^(١).

وأختم هذه القطعة من التعليق بقولي للقائلين: ماذا نعمل في مواقف يختلف أهلها؟ فأقول: انهُوهُم عن الخوض فيما يختلفون فيه، وإلا فقوموا عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، ولا تماروا، ولا تردوا على من ترونه مخطئاً مصراً، واسكتوا ما لم يكن مسترشداً فقولوا الحق بالتي هي أحسن، وأقول للسائل: هل يجب لعن الفاسق؟ إن كان قد مات فقد قَدِمَ على ما قَدِمَ؛ ولا وجوباً مطلقاً للعن فاسق أو كافر، وإن كان حياً فاجعل النصح مكان اللعن، والدعاء له بالهداية. وإن كان المراد هو الجواب: فبالنسبة للميت لا بد أن تتحقق من أنه مات مصراً غير تائب، والآيات الواردة في مثل لعن الله والملائكة والناس، ومثل حديث ستة أو سبعة لعنتهم، وكلُّ نبي قبلي... الخ^(٢) تدل على الجواز.

(١) كما يقتضيه الرباط الوثيق بينه وبين ما في المنظومة.

(٢) ابن حبان ٦٠/١٣ رقم ٥٧٤٩ ، المستدرک ٩١/١ رقم ١٠٢، المستدرک ٥٧١/٢ رقم ٣٩٤٠، والمستدرک ١٠١/٤ رقم ٧٠١١، الترمذي ٤٥٧/٤ رقم ٢١٥٤، المعجم الكبير للطبراني ١٢٦/٣ رقم ٢٨٨٣، المعجم الكبير ١٧/ص ٤٣ رقم ٨٩ بلفظ: "سبعة لعنتهم" وزائد: " والمستأثر بالغي". بلفظ " ستة لعنتهم ولعنتهم كل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والسلط بالجبروت ليدل بذلك من اعز الله ، وليعز به من أذل الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم، والتارك لسنتي". وفي المعجم الكبير ١٧/٤٣ برقم ٨٩ بلفظ: (سبعة لعنتهم) وزائد: (والمستأثر بالغي) .

وأقول للسائلين عن قولي ومعتقدي فيمن عادى عليا وقاتلوه وماتوا على هذا، فأقول: قولي فيهم ومعتقدي هو قول علي عليه السلام فيهم ومعتقده، فإن لم تكونوا قد وقفتم عليه فتتبعوه في مظائنه، وعليّ قرين القرآن كما سبق، ويأتي بعض من ذلك ويسعني ما يسعه، وعلي كرم الله وجهه أتقى الله من المتحرجين بجهالة وتعصب كتحرّج الخوارج، وفهمهم السقيم، وأمّهم معلوم، على أن تَحْرَجَهُمْ مُنَافٍ لما أوجب الله من موالاته أوليائه، ومعاداة أعدائه. وعليّ أهدى سبيلا.

ومن بحث فيما سبق ويأتي مخلصا لله عرف الحق. وعجبي كثير من السائلين؛ أليس في وسعهم أن يقرأوا كتابا من كتب أهل البيت عليهم السلام في أصول الدين، فهل بلغ ضعف الهمم بنا إلى حد أن نكتفي بما يجيب المسؤول. زد على هذا أن الاعتماد عليه وحده لا يكفي لما فيه من شائبة التقليد في العقيدة. وفي الحديث: (مَنْ أَخَذَ دِينَهُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ، وَالتَّدْبِيرِ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَالتَّفْهَمِ لِسُنَّتِي - زَالَتِ الرُّوَاسِي وَلم يَزُلْ. وَمَنْ أَخَذَ دِينَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ، وَقَلَدَهُمْ فِيهِ - ذَهَبَ بِهِ الرِّجَالُ مِنْ يَمِينٍ إِلَى شِمَالٍ؛ وَكَانَ مِنْ دِينِ اللَّهِ عَلَى أَعْظَمِ زَوَالٍ)، وأنا^(١) فيما أحرر إنما أنصب لكم الأعلام الدالة على الطريق؛ فأكتفي لذلكم

(١) قد سألت المؤلف حفظه الله وأفادنا بعلمه عن تحريم التقليد، ثم قولنا بوجوب متابعة عقيدة آل البيت في العدل والتوحيد وافترضنا شخصا يبحث مخلصا عن الحق ، فخالف أهل البيت في الرأي، وكان =

بمجرد الإشارة إلى الدليل: من الكتاب، والسنة، والعقل، وعليكم أن تأخذوه من مكانه كاملاً، وتمعنوا النظر سائلين الله سؤال المضطر للهداية، وفي وسعكم أن تقرؤا من المختصرات مثل عقائد آل محمد للدليمي، ولم أطلع عليه وإنما قيل: إنه مختصر مفيد، أو البدر الساري لعز الدين بن الحسن، أو ينابيع النصيحة، أو الثلاثين المسألة لابن حابس^(١)، فهناك التحقيق، وهنا مجرد دلالة على الطريق، وبحسب ما عندي فقط ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧].

واعلموا جميعاً أن ما صح عن رسول الله ﷺ هو لاحق في حجته بحجة كتاب الله سبحانه؛ لأن النبي لا ينطق عن الهوى، وهو لاحق بالثقل الأكبر الذي وصانا به رسول الله قبل الثقل الأصغر الذي هو آل محمد. وكم تمنيتُ - ولو

=الجواب أن هذا لن ولم يحدث طالما وجد الإخلاص والانقياد للحق؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿فَسُنِّيئِرُهُ لِيَسْرَى﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ نَجَلَ وَاسْتَعْنَى﴾ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿فَسُنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ وبهذه الآيات وغيرها يتبين أن الإخلاص الخالص موجب للوصول إلى الحق، فإذا خالف فقد أتي من جهة نفسه وتبين أن في إخلاصه شيئاً؛ لأن الحق أبلج واضح.

(١) عقائد آل محمد للدليمي، والبدر الساري لعز الدين بن الحسن، والثلاثين المسألة لابن حابس.

أن التمني مذموم - لو يمحو الله من بطون الدفاتر كلّ ما كُذِبَ به على رسول الله، وكلّ تأويل مخالفٍ لمراد الله ورسوله كما فعل سبحانه بصحيفة قطيعة قريش لبني هاشم، وما أبقى فيها إلا الحق خالصاً، إذن لخفت البلوى، وتضاءلت الكتب الدينية إلى أقل من معشارها؛ فالعلم نقطة كثّرها الجاهلون، وشغلوا طالبي الحق بباطلهم، وضيعوا عليهم أعمارهم، ولات حين مناص من ذلكم؛ فما أشد حسابهم، ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]، ورحم الله القائل:-

فلا تكتب بكفك غيرَ شيء يسرك في القيامة أن تراه^(١)

ويبقى الدهرُ ما كتبت يداؤ.

(١) قبله: وما من كاتب إلا سيفنى

العدل والتوحيد أو الجبر والتشبيه والمجاز إلى المفاز

في الخلق كُنْ مُتَّفَكِّرًا تُبْصِرُ وَمَنْ
قَدَّسَهُ عَنْ جَبْرٍ وَعَنْ جِسْمٍ وَعَنْ
دَعَّ عَنْكَ رَأْيِي فَلْيُ وِزَعَمِ فَلْيُ^(١)
لا تنخدع بالاشتهار وشبهة
لا تسلبن الذكر أجملاً حلة
صفه بما وصف الكتاب وما عني
وانعتة نعتهما المطابق للحقيـ
واحذر تبالد أو تعصب ضالع
صفه بما وصفاه منه حقيقة
ألحق فيما قلته لك واحد
لا يفتننك بالخطابة قائل
ذا القول تشوية خطابي لتـ
فهمي سيقدر قدره فهامة

في الله فكَرَّ صَارَ فِي الْعَمِيَانِ
فَعَلَّ الْقَبِيحَ وَسَاءَتْ النِّقْصَانِ
فَالْحَقُّ مَفْتَقَرٌ إِلَى الْإِمْعَانِ
صِيَعَتْ بِزُخْرَفَةٍ وَسِحْرِ بِيَانِ
مِمَّا بِهِ فَضَّلَ الْجَهُولَ الْفَانِي
وَصَحِيحُ أَخْبَارٍ مِنَ الْحُدْثَانِ
قِيقَةَ فِي مَقَامٍ أَوْ مَجَازٍ مَعَانِي
وَتَنَكَّرًا لِنَهَاكَ وَالتَّبْيَانِ
وَكَنَايَةً وَكَذَا مَجَازٍ مَبَانِي
مَنْ زَاغَ عَنْهُ بَاءً بِالْخُسْرَانِ
ذَا يَقْتَضِي التَّلْبِيسَ فِي الْقُرْآنِ
فِرَّ عَنْ جَلِيِّ الْحَقِّ فِي الْمِيزَانِ
عِلَامَةً مَتَّوْفَرٌ إِلَى الْإِمْعَانِ

(١) أصله: فلان فحذفت النون للعلم بها ولاستقامة الوزن.

متوفّرُ الإخلاص في طلب الهدى
أمثالُ نعمانِ بنِ قائدِ بنِ را
في فضله والنبيل والتحقيق من
لا تصرفنك عِزَّةً بالإثم عن
في الحق عِزُّكَ والتعصبُ ذلَّةٌ
ماذا سيغني عنك من قلدت أو
ما خلَّةٌ إلا تعود عداوةً
والبغضُ مثلُ الحبِّ كم أعمى وكم
يا ويلَ مَنْ صدفوا ومَنْ صدوا عن
الجهلُ ليس بعاذرٍ أحدًا غدًا
في مثلهم قال النبي لأقتلنَّ
لم يُعِينِهِمْ طَلَبُ لِحَقِّ أَحْطَأَوْ

لا ينحني للكبير والشنان
جح^(١) الذي لم يختلف اثنان
حلي ابن يعقوب إلى بعدان
حق أتاك بنيّ البرهان
في الدين والدنيا وثوب هوان
أيّدت أو عظّمت بالبطلان
إن لم تكن بالحق يوم رهان
باع النجاة بأبخس الأثمان
مُنْتَلَى وَسَلُّوا صَارَمَ الْعِدْوَانِ
في مثل ذا يا معشر الخُلَّانِ^(٢)
ه فهمو كقتلِ ثمودَ يا ثقلان

(١) كان زميل المؤلف في مجلس الشعب، كان فقيهاً علامة عرفه في ذمار؛ إذ كان رهينة لأبيه من

بيت الوجيه من بعدان.

(٢) مناسبة نداء الثقلين هنا وهما الإنس والجن، أن الحكم هذا مما تعم به البلوى علما وليس مجرد

تفجيل، وفي الآتي يعمهم المقول.

ما سبق أن حررته في النظرات السابقة عن الجبر والتجسيم يكفي. والحدثان بضم الحاء جمع حديث. وقد ذكر الله نفسه وخلقه في القرآن بالحقائق والمجازات، ومن ذلك ما مثلتُ به في نظرة سابقة، ومن ذلك: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ فالمراد باليد هنا النعمة، ومرادُ اليهودِ غيرِ المجسمة منهم أيضا بـ "يد الله مغلولة" نعمة الله مقبوضة، وهذا مجاز عن بسط النعمة وقبضها، وفي مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ [الإسراء: ٢٩]؛ فإنه مجاز في حق الخلق، وفي مثل قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: ٤٤] المراد الحقيقة، وفي مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢]، المراد عمى البصيرة، فهو مجاز. والأولى ركبوا رؤوسهم عنادا وأنفة عن الرجوع إلى الصواب من الخطأ كي لا يعترفوا به فيرى الناس لغيرهم فضلا عليهم؛ فهم لذلك يتمحلون ويتعسفون تعسفا واضحا، وهذا أحد أسباب الاختلاف المنافي لوجود الإخلاص النقي، فلو شمل الناس الإخلاص نقيا ما اختلفوا فيما لا يغتفر فيه الخطأ، ولكنه مشوب بما كدره من حيث يشعر بعض ومن حيث لا يشعر آخرون. وإن لسوء الظن ببعض من جهة، ولحسن الظن ببعض من جهة، ولسرعة التصديق من جهة، ولاعتماد حديث غير صحيح من جهة، ولرد صحيح من جهة أثرا كبيرا في الاختلاف، بالإضافة إلى أن الأكثر في كل عصر بين محب للفساد، أو مغرم

بالعناد، أو قاصر النظر كما جاء في حديث شريف: (إنك لعريضُ الوساد^(١)) ،
﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ، وعليها يحيون وعليها يموتون .
والشيطان إنما يأتي كلاً منا من الجهة التي عرّف أنه يُزَلُّ منها، فالجريء
على الله يزين له شهواته، والمتدين قد يأتيه من جهة حثه على التمسك بما قد
قبّله من زيغ باسم الدين كما فعل مع الخوارج، أو باسم الغيرة على الدين أن
تنتهك حرّماته، وتُضَيِّعَ سننه، أو باسم أن هؤلاء ابتدعوا من الدين ما ليس منه،
ويصور لهم ما لا يخالف الدين بأنه مخالف وضلال يجب القضاء عليه وعلى
أهله، وأن هذا العمل لله وفي الله ومن الجهاد في سبيل الله، فيظل المغرورون في
إسار كيده دون أن يفهموا أنهم قد وقعوا في أسره .

قال أحد التابعين: "إن الشيطان يأتيني في الصلاة فيشككني في الوضوء
لعلك نسيت غسل كذا، فأقول: أبلغ بك النصح لي إلى هذا؟ ، وإن الشيطان
ليأتيني وأنا متردد بين عمليين فيرجح لي أقلهما أجرا ليربح مني شعيرة"^(٢) .
وفي زماننا هذا عبأ كثيراً من المتدينين بالحث على نصرة دين الله، ومحاربة
البدع، وأدخل تحت اسم البدع الضلالة ما ليس منها، وفسرها بما تعمق في

(١) الدارمي ٥/٢ باب متى يمسك المتسحر من الطعام والشراب، آخرون بلفظ "إنك لعريض الفقا" البخاري
٦/رقم ٤٢٤٠، ابن خزيمة ٣/رقم ١٩٢٦ .

(٢) في الكشاف في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ﴾ .

أذهانهم؛ كما تعمق في أذهان الخوارج كُفْرُ علي بن أبي طالب، حتى قال
عمران بن حطّان:

يا ضربةً من تقّي ما أراد بها إلا ليلغ من ذي العرش رضوانا
وهؤلاء استحكّم الوسواس فيهم حتى عدوا كل من خالفهم في عمليّ ظني
مبتدعا ضالا، وإن كان له دليل، فالحق عندهم ليس إلا ما هم عليه، وفرضوا
على الناس أتباعهم أي تقليدهم باسم أنهم العاملون بالكتاب والسنة، وأن
غيرهم مقلدون للرجال وكعابدين للأوثان، ويلوثون هنا فهمهم للآيات
والأحاديث، ولا يستطيعون أن يفهموا أن كل مسلم يعمل بالكتاب والسنة؛
ويرى مخالفتها عمدا كفرا.

ونحن إنصافا لكل مسلم نقول لكل مسلم: لا يجوز لك أن تقلدنا فيما
تستطيع معرفته من الأحكام، وعليك أن تعمل بما يترجح لك وإلا أمتت، وإن لم
تكن أهلا فقلّد مَنْ يترجح لك من العلماء مِنّا أو من أي مذهب:

فكلهم من رسول الله ملتمس غرfa من البحر أو رشفوا من الدسم
ولقد امتحن الله الإسلام بأقلام علماء أعلام نالوا درجة عليّة، وحظوا
بشهرة كبيرة وبثقة غالية، وسخروا مواهبهم وبياناتهم الخلاب في مسائل لم
يكونوا فيها مصيبين، وهم يحسبون مع ذلك أنهم يحسنون صنعا، فلا تقل: فإذا
كانوا بهذه المثابة من العلم والبيان والشهرة والثقة فكيف نصدقك؟ لأني أقول:
هناك أمثالٌ أجلُّ منهم قَدْرًا في كل هذا، خالَفُوهُمُ وبينوا خطأهم، وقد

أوصيتك سابقا بالإخلاص، وأكدت بعد بأن الحق يفتقر إلى الإمعان، وأنه لا يغنينا من الله شيئا تقليدنا وتعظيمنا وثقتنا بمن أحبينا بالباطل، وأشرت إلى مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۖ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨] وأن المراد بالحرث الدّين، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [الشورى: ٢٠]، فهلاك دين الله أن يُعْمَلَ بخلاف كتاب الله، وهلاك عباد الله أن يعمل فيهم بالجور فلا ينكرون ذلك فيهلكون، كما في حديث شريف، وقد أشكل عليّ فيه إثبات نون الخمسة في ينكرون ويهلكون، والظاهر أنهما منصوبان، فإذا كان الحديث هكذا ولا غلط من الناسخ فعلى تقدير: (هم لا ينكرون). كما أشرت لك إلى قوله تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

ومن أحسن ما وقفتُ عليه أن شابا تقياً متدينا ولعَ بجارية لنحاس، فكان كثيرا ما يُعَرِّجُ عليه ليراها، وكانت هي أيضا قد أحبته أكثر، وما كلم أحدهما الآخر بما في نفسه، فجاء مرة فلم يجد إلا الجارية، فقالت له: إني أحبك، فقال

وأنا، فقالت: وأشتهي أن تُقبِّلني، فقال: وأنا والله، قالت: فما يمنعك والمكان حال، قال: يمنعني قول الله تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ﴾... الخ، فأنا أكره أن آتي يوم القيامة وأنت في كفة سيئاتي وأن أكون في كفة سيئاتك يوم القيامة، ودمعت عيناه وانصرف.

أما أمرُ الخوارج، وعبادتهم، وحُسنَ مقصدِهِم؛ وهلاكِهِم مع هذا بخطئهم فأمرٌ معلوم. وأضيف أن الحكم ثابت لمن احتذى بجذوهم في أخطاء مثل خطئهم، وقد استرلتهم الشبهات. وما سميت الشبهة شبهة إلا لأنها تشبه الحق، وقد صدَّقوا أولاً الخدعة بالنصب للمصاحف لضعف فهمهم، ولم تنجع مراجعتهم بقول الحقيين: إنما جئنا وقاتلنا على بصيرة بحكم الله، فقال فيهم النبي ﷺ: (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود) ^(١)، وإنما نهى الإمام عن قتالهم بعده بقوله: "لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه" فإنما نهى ليبين لنا أنه يجب تقديم الأهم، وأن الأولى بالقتال أهل الباطل نيةً وقصدًا وعملاً مع ذلك إذا استطاعوا، وهم الذين اتخذوا عباد الله خولاً، وماله دُولاً، وجعلوا الإسلام سُلماً لإشباع نزواتهم من الحياة

(١) البخاري ٣/١٢١٩/٣١٦٦، وأيضاً/١٥٨٠/٤٠٩٤، مسلم ٢/رقم ١٠٦٤، ابن حبان ١/ برقم ٢٥، النسائي ٥/٨٧ برقم ٢٥٧٨، ٧/١١٨. وأحمد بن حنبل ٤/١٤٦ برقم ١١٦٩٥، ومسند أبي يعلى ٢/١١٦٣.

الدنيا، ولعله كان لدى الإمام عَلِمَ من النبي ﷺ أن القاسطين سيقاتلون المارقين ويكفون المؤمنين المؤنة؛ فأراد أن لا يعينوا الأضلين على الضالين. وكأني ببعض من يطلع على هذا يتميز من الغيظ ويسب ويلعن، وأمثلهم طريقة يسكت على مضض، ولو كانا يخافان الله حق خيفته لأمعنا بحثًا عن الحق، فإن وجداه هنا وإلا هدياني. وكم شكى المقبل رحمة الله من مثل هذا كما حدث له في حرم الله المحرم كما ذكره في كتابه. والثقلان ليست تقفيلًا فحسب بل لأن الحكم يعمهما بالبلوى:

النار تنتظر اللدود ومالك	في الانتظار وسائر الخزان
ونعيم جنات الخلود مهيب	لك في قصور الحور والغلمان
والشاكرون من العباد أقلهم	إياك تجهل قلة الشكران
أو أن تغرك كثرة مفتونة	أكثر بمفتون وكم فتان
يوم التبري يوم يلعن بعضهم	بعضًا وتعظم حسرة الندمان
رضوان ينتظر الجميع بجنة	مع قاصرات الطرف والولدان
هذي النصيحة تحفة يمنية	قدسية الإيمان وهو يماني

الآيات والأحاديث والآثار في قلة الشاكرين وكثرة الغافلين لا تحصى ،
والقلة هنا بكسر القاف. وأكثر: مثل أسمع بهم وأبصر: إحدى صيغتي التعجب
المشهورة، و"كم" في البيت: خبرية للتكثير، وفي قدسية الإيمان، ويمان مقابلة
بديعية جاءت صدفًا لا قصدًا.

وإتماما لما في المنظومة من تذكير أختمها بما يلي:

إن الصراطَ عقيبَ هَوْلٍ عُمُرُهُ
لولا بأن الموتَ ماتَ لما احتملُ
أو قبَله يا هَوْلَ ماذا قبَلَهُ
أو بَعْدَهُ أَعْظِمُ بأمرٍ بَعْدَهُ
فانظر لنفسك ما يحوطك من رَدَى
أنظر لنفسك وَاَسْعَ في تَخْلِصِهَا
تُبِّ واجتنب ما عشتَ كُلُّ مَحْرَمٍ
وَأَنعَمِ بما فيه الهداةُ من النعيمِ
قَسَمًا بربك لو تذوقُ سعادةً
قسما بربك إن لذةَ طاعةٍ
ما المالُ ما الأبناءُ ما جَاءَهُ وما
ما أجدرنا لو تدبرنا آيات الله حق تدبرها لاسيما فيما يتعلق بالقيامة،
والبعث والحساب، وهول الانتظار، والصراط، والموازن، كآيات سور إبراهيم،

(١) شديد الحرارة والغليان.

ومريم، وطه، و ق، والزمز، وغيرها، فما أجدرنا أن نصعق كما صعق همّام^(١)،
أو أن نعيش كالحسن البصري وزين العابدين وبشر الحافي ورابعة وإبراهيم بن
أدهم.

والخمسون هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].
ما أهول الوعيد بقول العزيز الحميد: ﴿سَنَفَرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]،
ويا ليت شعري هل ضم عصري وجيلي أقسى مني قلبا وأشد غفلة وهوا؟!
وكلما راجعت عمري وعملي أسبح الله على حلمه ورحمته، فسبحان الله الحليم
الأحلم، وتبارك الله الكريم الأكرم الرحيم الرحمن الأرحم. ومن عظيم رحمته
سَتْرُ عِبَادِهِ، ومناداته لنا بقوله: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا
تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
﴿٥٢﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ ﴿٥٣﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي
عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾... الخ الآيات. [الزمر: ٥٣:٥٥].

(١) صاحب أمير المؤمنين، سأله أن يصف له المتقين، فوصفهم وصفا بديعا صعق همّام على إثره.

وأصح مخلصاً أن نلّين قلوبنا وننورّها بملازمة تلاوة القرآن، وتدبر آياته
كل يوم وليلة، وبمطالعة الأحاديث النبوية، ومثل نهج البلاغة، وكتاب الزهد في
عيون الأخبار، وأدب الدنيا والدين^(١) ونحوها؛ وسنعرف السعادة التي عجلها الله
للصالحين في الدنيا التي لا يَعدُلُهَا كل نعيم فاز به أهل الدنيا.
اللهم إني أسألك بأن لك الحمد وحده لا شريك لك، الحنان المنان بديع
السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، أن تصليَ على محمد
وآله، وأن ترزقني ومن أحب توبة نصوحاً، وأن تحتّم لنا برضوانك، آمين.

(١) للماوردي.

دعاء الختام

أفدّم بين يديّ دعاء الختامِ التعليقَ على بعضها بالآتي عكس ما سبق ليكون الدعاء الشامل خاتمة مرضية؛ كما راعى هذا علماء البديع، وتستحسنه السنة النبوية نهاية للجلسة. وعطفُ السنة هنا من باب: هُنْدُ قَمَرٌ بَدْرٌ شَمْسٌ. والواقع أن التأسّي بالسنة لم يخطر ببالي إلا بعد أن كتبتُ: علماء البديع، وخشيةً مما أتربق من النقد المرّ الذي ربما يُوجّهه إلى الرسالة من حيث هي، وتتبع هنا كما اضطررتُ للدفع بذكر الترقّي، ولا أتردد في الاعتراف أنها تحمل أغلاطا كثيرة لم أفطنُ لها، فهذا يحدث في مؤلفات العلماء الأكابر، فما بالك بمن لا يستحق صفة العلماء الأصاغر، والذي يشجعني هو علم علام الغيوب بالسراثر.

نعم أدام الله علينا جميعا نعمه وحرسها عن الزوال.

الأكوان: جمع كون والمراد الكائنات، وأجزاؤه المفردات التي تتركب منها المركبات، وأصغر جزء هو الذي لا يقبل القسمة، ولا التحيز كما ذكروا. إذا فهمت هذا كحد له - والحد عند الأصوليين ما يميز الشيء عن غيره - فلا مشاحة بعد ذلك في المصطلحات سواء سمّيته: هيولى، أو صورة، أو نقطة، أو جوهر، أو جسما، أو إلكترونات، أو بروتونات، أو وحدة، أو أيونا، أو غيره، فالمراد به ما لا يقبل التجزئة، وليس له حيز كما زعموا، وقد سبق في هذا التعليق الكلام على أن أجزاء الكائنات محدثة حتما كتركيبها المسلمم بحدوثه واستحالة التفريق بدعوى قدم الأجزاء وحدوث التركيب.

والوحداني: في البيت هو الواحد، أول مراتب العدد، أي كان الله ولا شيء، بفتحة البناء على همزة شيء أي لامها، وأرادوا بذلك النفي لكل فرد مما دل عليه العموم هنا على سبيل التنقيص لا على سبيل الوحدة، أي كان الله وثبت وجوده الأزلي وما هناك حتى جُزِيَءٌ واحد شاركه في الأزل.

والبيت الذي يليه نفى وجود الطبع الذي يغالط به سفهاء الجاهلين عن علم بكذب الدعوى، وأعقب النفي دليله وهو أن مرتبته في الوجود متأخرة حتما عن وجود المطبوع، فيقال للذين يسندون الخلق إلى الطبيعة: أين كانت الطبيعة قبل وجود المطبوعات عليها؟ وسيكون جوابهم: لا وجود لها ولا مكان قبل ذلك، وإنما توجد بعد وجود المطبوعات عليها، فنقول لهم: فكيف تسندون الخلق إليها وهي لم توجد إلا بعد وجود المطبوعات؟!

وإذا قلنا لهم: هل للطبيعة إرادة وقدرة واختيار وعلم؟ قالوا: لا، فنقول: فكيف جاز عندكم إسناد المقدورات إلى غير قادر بتاتا! والمحكمات المنظّمة غاية الإحكام والتنظيم إلى ما لا يفهم ولا يريد ولا يعلم! فإن قالوا: بل تعلم وتريد وتقدر وتختار، قلنا لهم: هذا هو الله سبحانه وتعالى، ولا يصح الإسناد إلى سواه.

وأرجو أن يضع القارئ الكريم هذه السطور جانبا ويتناول المصحف الكريم ويتلو من سورة الطور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ [الطور:

٣٠] أو من قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] إلى آخر السورة، ومن قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿قُلْ إِنِّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠] إلى آخرها. ثم يقوم إجلالا لكتاب الله بكل احترام يليق به فيضعه بكل إجلال ثم يأخذ هذه السطور فينظر فيها من خلال ما أشرق في قلبه من ضياء الآيات الشريفة.

ومما لاح لي عند تلاوة قول الله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ^ع إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ^ع ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ^ع إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ [العنكبوت: ١٩]، لاح لي أن الاستعارة التبعية في انظروا، كما أرى أنه خاص بنظر العين لغة، وكذلك أولم يروا حيث عبر عن التأمل والتفكير والتدبر العقلي بالنظر والرؤية، وهما حسيان؛ تنزيلا للمعقول بمنزلة المحسوس في الإفادة، كما أن عطفَ النشأة الآخرة على بدأ وهي مستقبلة، وذلك ماضٍ قد وقع، وكذلك عطفُ الإعادة على البداية في الآية التالية، وأيضا تأكيد المعنى والطلب في آيتين متتابعتين في أسلوبهما المختلف، وجعله للإعادة في منزلة المرئي المنظور بالأعين وهو الابتداء؛ كل هذا التأكيد لتحقق وقوع الإعادة، والتأكيد بأنها فيما تفهمه العقول السليمة أكد في المشاهد من البداية، فمن قدر على

الأشق وهو البداية قادر على الإعادة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. وبهذا أيقظنا إلى أن العقول تدرك الحقائق جليلة كما تدرك عن طريق البصر. والمراد في الآيتين بالنظر والرؤية القلبيتان كما لا يخفى. إذا عرفت هذا، فما هو دليل النهاة عن قراءة علم الكلام، وآيات الله تأمر به فيما لا أحصي من آياته؟

واعلم أن القرآن اعتمد في المحاجة على منطق العقل؛ أكرم ما خلق الله، وأعظم ما ميزنا به عن سائر الحيوانات. ولم يعتمد القرآن في محاجتنا أو إفادتنا على مجرد كونه من عند الله، فلم يكتف فيه مثلا بأن يقول لنا: أنا الخالق، بل أبان الدليل الذي يقنع به العقل، فقال مثلا: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، ولم يقل مثلا سأبعثكم، بل جعل هذا بمثابة الدعوى؛ وأردفها بمثل: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩] ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مرم: ٦٧]، وغيرهما؛ ولولاها ما أقام الله علينا الحجة كما ذلك على وحدانيته بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فإنها برهان على وحدانيته وعلى صمدانيته. بمثل سورة النمل وغيرها.

ومنها: ﴿أَمِنْ تُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، فالعجب ممن استغلق عليهم الواضح؛ فتورطوا في المكابرة، وغالوا فيها حتى أنكروا ضروريات كالشمس ما عليها غطاء؛ فأنكروا صحة الاستدلال بالعقل،

وأنكروا أنه يدرك الحسن والقبح، وأنكروا أن شيئاً حسن أو قبيح لذاته، مع أن العقل يكشف أسرار الحقائق التي ذُكرت في القرآن جملة لا تفصيلاً، فإذا اكتشف العقل بالوسائط المخترعة بواسطته عملية التأليف بين أجزاء المركبات، أو التفريق بين المجتمعات كما حدث عند تفجير النواة في هيروشيما ونجازاكي، وهو ما يعنيه المتكلمون بعرضي الاجتماع والافتراق في دليل الحدوث، وإذا ما شاهد العقل الأنظمة والقوانين التي تحكم الكائنات ولاحظ المراحل التي تمر بها في تطورها، وأصبح ما كان معقولا فقط معقولا مشاهدا من أن الكائنات خاضعة لقوانين تحكمها كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [الفر: ٤٩] ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وغيرهما كثير، كما اكتشف أن الذرة التي كان يظن أنها لا تقبل التجزئة مركبة من جزيئات كثيرة مختلفة الأعداد باختلاف خواصها: هذا ثابت وذاك متحرك كحركة المجموعة الشمسية حول مركزها، والذرة في مجموعها خاضعة لنظام دقيق للغاية، وأن الجزيئات التي في باطن جزيئتها لا تخضع، بل لكل منها سلوك خاص فوضوي، فاستدلوا على أن خروج هذا النظام المهيل للغاية صادر عن فوضى ضاربة، وجزمت عند هذا العقول أن خروج النظام المدهش من لا نظام يستحيل أن يكون صدفة في ذرة واحدة، فما بالنا بأكثر، فما بالنا بجميع الكائنات! إن هذا ونحوه اكتشاف للمدلول المحمل في مثل قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]

﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ﴾ [البقرة: ١١٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ونحوها كثير جدا لا يناقض ولا يعارض، بل كبيان للمجمل وخدمة للقرآن ومزيد من العلم المراد في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فهل نعتبر من آمن بالله عن هذا النهج أنه إيمان هرآء مبني على هرآء، وما أكثر الذين آمنوا بهذا النهج؛ أندعي كذبا أن الإسلام لا يعترف بإيمان العقل ولا دليله في حين أنه القائل مثل: ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، لو فعلنا هذا لعدنا جميع العقلاء معتوهين. ومما يؤسف له أن يكابر من يُعدُّون علماء في دليل الحدوث الذي صاغه أبو الهذيل رحمه الله، بل في كل مقدمة من مقدماته الأربع، حتى أُطلق عليه دليل الدعاوى. لذلك فإن هذا ليستغرب من بسطاء العلماء، فما بالك بالأجلاء. ولا يُطلقُ الجهلُ على عدم العلم إلا الأقلون. أما الجهل المجمع على أنه هو الجهل فهو الاعتقاد الفاسد وهو المسمى الجهل المركب، وهو عقدة المشكلات، وقد سبق كلام في الموضوع هذا، والكل يكمل بعضه بعضا.

اللهم ما أصبت فيه فلك الحمد السرمدي، وما أخطأت فيه فأستغفرك
اللهم وأستهديك، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام

يا صانع الأكوان إذ لا جزء لا
إذ لا هيولى مطلقاً أو صورة
لا طبع فالمطبوع يأتي أولاً
إذ ليس يعقل قط مطبوع بلا
فلذا استحال وجود طبع قبل مط
يا من ذخرت أجل رحمتك التي
خلاق رحمة كل أم أو أب
في الصقر يعدو ساغياً من وكره
رُحْمَاكَ بي يا خالقي رُحْمَاكَ بي
جهة ولا زمن من الأزمان
أو سالب أو موجب وخذاني^(١)
فيما ترى والطبع يأتي الثاني^(٢)
طبع ولا طبع بغير مكان
بوع وهذا المنتهى لبياني
وأجل غفران ليومي الثاني
في الوحش والحيتان والشعبان
بعزيمة التموين للفرخان
يا رازقي رُحْمَاكَ يا دياني

(١) هو الواحد بمعنى المنفرد لا سواه ، لا أول مراتب العدد .

(٢) يقال للذين يسندون الخلق إلى الطبيعة : أين كانت الطبيعة قبل وجود المطبوعات عليها؟ الجواب :
لا وجود لها ولا مكان، وإنما توجد بعد وجود المطبوعات عليها .

فنقول لهم : فكيف تسندون المخلوقات إليها وهي لم توجد إلا بعد وجود المطبوعات .

وإذا قلنا لهم : هل للطبيعة قدرة وعلم وإرادة ؟ قالوا : لا. فنقول : فكيف جاز إسناد المحكمات
المنظمات غاية الأحكام إلى ما لا يفهم ولا يعلم ولا يريد .

فإن قالوا : بل تعلم وتريد وتقدر ، قلنا : هذا هو الله ولا يصح الإسناد إلا إليه سبحانه.

غُفْرَانِكَ اللَّهُمَّ لِيْ وَلِوَالِدَيَّ وَمَنْ أَحَبُّ فَأَنْتَ ذُو الْغُفْرَانِ
فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْ وَسَامِحْ أَنْتَ ذُو فَضْلِ الْعَظِيمِ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ
وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَالسَّلَامِ يَعْ شَى الْمُصْطَفَى وَالْآلَ كُلِّ أَوْانِ
وَمَشَائِخِي وَأَصُولَنَا وَفُرُوعَنَا وَالْأَصْدِقَاءَ وَسَائِرَ الْإِخْوَانَ

محمد بن محمد بن إسماعيل مطهر المنصور

غفر الله لهم آمين

ذو الحجة الحرام سنة ١٣٩٩ هـ - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
والحمد لله رب العالمين آمين.

تمت مقابلته بإملاء فضيلة الدكتور / المرتضى حفظة الله على الحقيير كاتب
هذا مؤلفه وحضور آخرين بمركز بدر وهم يقصون ٢٦ / صفر سنة ١٤٢٢ هـ .

محمد بن محمد المنصور

الفهرس

أ.....	مقدمة بقلم الدكتور المرتضى بن زيد المخطوري
د.....	ترجمة المؤلف
د.....	نسبه
د.....	مولده ونشأته
هـ.....	مشائخه
ط.....	وظائفه وموقعه في المجتمع
ي.....	صفاته
ي.....	نشاطه العلمي
ك.....	شعره
ر.....	مؤلفاته
ر.....	مصادر ترجمته
١.....	برق يمان على قدسيّة الإيمان وهو يمانى
٢.....	المقدمة
٣٩.....	الدآء الدوي:
٤٠.....	الدواء النافع:
٤٦.....	قدسية الإيمان
٤٩.....	حياة البرزخ
٥٠.....	الحشر والبعث
٥١.....	الإرادة الإلهية
٥٥.....	وصية ونصيحة
٥٥.....	الثقلان

٥٨	العدل والتوحيد، أو الجبر والتشبيه، والمجاز إلى المفاز
٦٢	دعاء الختام
٦٤	نظرات حول منظومة برق يمانى
٦٦	النظرة الأولى
٧٧	النظرة الثانية
٨٤	النظرة الثالثة
٩٠	النظرة الرابعة
٩٠	المنقبة الأولى:
٩٧	المنقبة الثانية:
٩٩	المنقبة الثالثة:
١١٧	تمليقات على منظومة برق يمانى
١٢٨	قدسية الإيمان
١٤٧	حياة البرزخ
١٥١	الحشر والبعث
١٥١	الإرادة الإلهية
١٧٤	وصية ونصيحة
١٧٦	الثقلان
١٩١	الإمام الأعظم الهادي إلى الحق
٢١٠	العدل والتوحيد أو الجبر والتشبيه والمجاز إلى المفاز
٢٢١	دعاء الختام
٢٢٧	دعاء الختام
٢٢٩	الفهرس